محمد رضوان



أحمد خميس

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : أحمد خميس: شاعر الشراع التائه

اسم المؤلف: محمد رضوان

رقم الايداع / ٢٠١٦/٢١٥٢٠

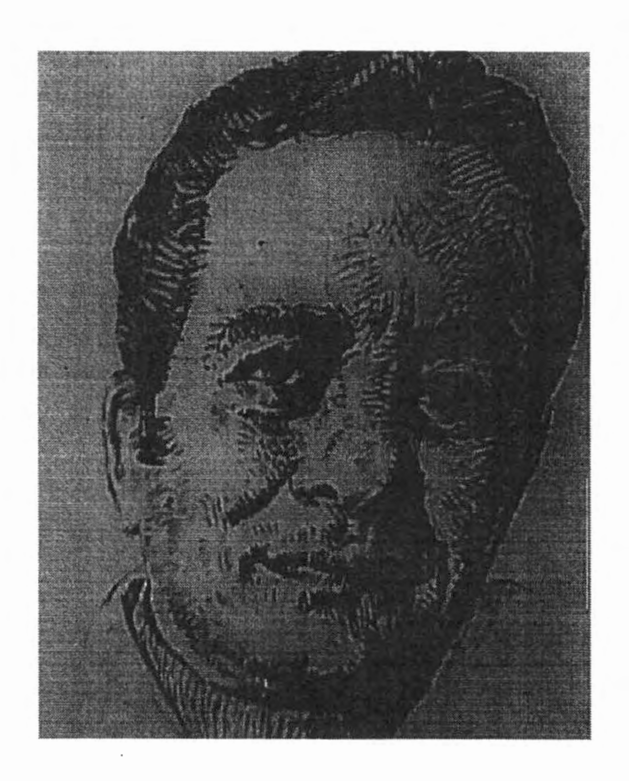
الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com



أنـــا يـــا فاتنـــة الـــدنيا ويـــا رجـــع الأناشـــيد
شراع تـــاه في بحـــر شريـــد المـــوج عربيـــد
بـــشطيه خيـــالاتي وأحلامـــي وتغريـــدي
تنـــاديني نـــداء الحـــب للعـــشاق والغيـــد

أحمد خميس

مقدمة

محمد رضوان وشاعر الروابي الخضر !

بقلم الشاعر الكبير: فاروق شوشة

في صمت وهدوء ، وفي أحداث صاخبة ومفتعلة رحل عنا الشاعر والإذاعي أحمد خميس الذي اتسعت حياته - في بواكيرها - للعمل الإذاعي في إذاعة الإسكندرية والقاهرة ، قبل أن يصبح واحدًا من نجوم التمثيل في الإذاعة والسينما والتليفزيون . أما الشعر فقد ظفر منه بمجموعة شعرية واحدة أصدرها عام ١٩٩٥ ، سماها باسم أشهر قصائده وأكثرها دورانا وهي قصيدة «الروابي الخضر» التي تغني بها الموسيقار محمد عبد الوهاب ، فلفتت الأنظار إلى الشاعر ، وعرفت الأوساط الأدبية والشعرية به وبشعره ، وبخاصة عندما جعل الإذاعي الكبير وجدي الحكيم من أبياتها الأولى المغناة لحنًا مميزًا لسهرته الإذاعية الشهيرة «ليالي الشرق» في إذاعة صوت العرب .

وأحمد خميس - في دماثته الإنسانية والشعرية والفنية - واحد من الأصوات الشعرية التي ظلت عاكفة على محراب القصيدة الرومانسية ، بعد رحيل أقطابها من شعراء جماعة أبوللو: إبراهيم ناجي ، علي محمود طه ، أبو القاسم الشابي ، محمد عبد المعطي الهمشري ، محمود حسن إسماعيل ، أحمد رامي ، أحمد فتحي ، صالح جودت ، ومختار الوكيل ، وغيرهم ... ولم تكد أصوات هؤلاء الرواد تخفت حتى كانت الموجة الأولى من رواد حركة الشعر الجديد أو الشعر الحر - منذ أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات قد بدأت تعلن عن ميلاد النماذج الأولى في تيار الشعر الواقعي التي ارتبطت به قصيدة التفعيلة وتغيرت ذائقة الجمهور الأدبي ، الذي بدأ يتابع إبداعات عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور في مصر ، والسياب ونازك الملائكة والبياتي في العراق ، متوقفًا عند

(1) رحل أحمد خميس عن الحياة في ٥ من أكتوبر عام ٢٠٠٨م في مدينة القاهرة .

مغامراتهم وكشوفهم وصياغتهم - على اختلافهم - لنمط جديد من القصيدة الشعرية ، لم يكن معروفًا من قبل .

وفي ظل هذا الانحسار الرومانسي والتفجر الواقعي كان شعر أحمد خميس وأضرابه من الشعراء : إبراهيم عيسى ومحمد الجيار وعبده بدوي وعلى الصياد وغيرهم يمثل من ظلوا يحيون على ضفاف القصيدة الرومانسية ، وينفخون في جذوتها ، مؤملين أن يكون لها الدور والتأثير الذي حققه شعراء أبوللو من الرواد . واختار أحمد خميس أن يكون الأقرب إلى نموذج الشاعر الملاح على محمود طه ، في هيامه بالطبيعة والجمال ، وبخاصة في رحلاته الصيفية المتتابعة إلى أوربا ، وبحثه عن مواطن الفتنة والانطلاق ، وتصيد لحظات المتعة والنشوة . ويبدو أن تغني الموسيقار محمد عبد الوهاب بقصيدتيه : الجندول وكيلوباترا قد جعل من شعره نموذجًا يستهوي الشعراء الشباب ، يحاولون محاكاته وترسم خطاه ، واقتباس صيغة الرباعيات التي اختارها لكثير من قصائده البديعة. وكان أحمد خميس من هؤلاء الشعراء الذين اجتذبهم هذا القالب الشعري يضمنه نفثات وجدانه وأشواق روحه . يقول محاكيا لغة على محمود طه وتقسيماته النغمية والإيقاعية في قصيدة عنوانها «رقصة» .

أي همس حالم الإيقاع نشوان الصدى
طاف كالفرحة ، كالنجوى ، كلألاء الندى
حين ناداني وحيا وهو يلقي لي يدا
قلت : أهلا ، فتثني ورنا
وتبدي لي الرفيق المحسنا

* * *

نظرة ثم دعاني قائلاً في همستين
أيها المفتون ماذا لو شربنا قدحين

قلت : هات ، فأنا سمع وأصداء وعين

وصولاً إلى «النغمة» التي طالما عزفها على محمود طه ، في تصويره التقابل بين «الشرق» الذي يسري في دمائه ، و«الغرب» الذي يجتاحه بحريته وانطلاقه ، يقول أحمد خميس :

يا أخا الغرب ليالي الشرق عشق وهوى
وضفاف ظمئ الحب عليها وارتوى
وشباب خالد الفتنة معبود الروا

* * *

فتعال اسكب على روحي وقلبي غنوتين
وترفق يا أخا الغرب وخذها قبلتين
فأنا سمع وأصداه وعين

والتفاتًا إلى رباعياته التي مزج فيها بين إصغائه العميق للخيام وعلى محمود طه حين يقول :

عش كما تحيا فراشات الزهر
تلثم العطر وتلهو بالسنا
ما تراها بين أهوال السفر
تمزج النور بمعسول الجني!

* * *

ويرحل أحمد خميس الذي طغت شهرته الفنية في التمثيل على شهرته الشعرية بعد أن توقف عن مواصلة أنفاسه الرومانسية في زمن لم يعد يتسع لها أو يفسح لها من اهتمامه ، تاركًا في أسماعنا شدو عبد الوهاب بأبيات قصيدته «الروابي الخضر» وهو يقول :

يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء
فالروابي الخضر تشدو والسنا حلو الرواء
والأماني هتاف، عزفته الضفتان
فجرى في مقلة الأرض، وفي قلب السماء!

* * *

وبعد رحيل أحمد خميس يضيف الأديب الباحث محمد رضوان إلى سجل دراساته عن شعراء الرومانسية في أدبنا الحديث وكتبه المتابعة عنهم كتابًا جديدًا عن أحمد خميس : «شاعر الروابي الخضر» ، بعد أن قدم لقارئه من قبل شاعر الأطلال : ناجي ، وشاعر الجندول : علي محمود طه ، وشاعر النيل والنخيل : صالح جودت وشاعر الكرنك : أحمد فتحي وشاعر الهمسات : أحمد عبد المجيد وقد صدرت هذه الكتب عن عدة دور نشر في القاهرة ودمشق .

وقد سبق الناقد الكبير الدكتور عبد القادر القط إلى تسمية هؤلاء الشعراء وغيرهم بشعراء الاتجاه الوجداني الذي يرى له جذورًا في شعرنا العربي على مدار عصوره المختلفة مؤثرًا هذه التسمية بديلاً للتسمية التي أطلقها النقاد عليهم وهي شعراء الرومانسية ؛ لأنه رأى في الرومانسية، مصطلحًا أدبيًا حديثًا منتزعًا من سياق الآداب الأوربية له مواصفاته وخصائصه وأسباب نشأته ويخطئ حتى بعض نقادنا الكبار الذي ينظرون لمصطلح الرومانسية من وجهة نظر ضيقة لم تتسع لدراسة البعد الثوري التجديدي فيه حين كان شعراء الرومانسية الغربية أصحاب نزعات وطنية وإنسانية ثورية وخروجًا على التقاليد الكلاسيكية التي قيدت من قبلهم من الشعراء والأدباء وظل بعض نقادنا - المصريين والعرب - لا يرون في هذه التسمية له إلا بعديه العاطفي والخيالي ، وإسرافه في التعبير عن الوجدان وابتعاده عن الرؤية الواقعية والتناول الواقعي ، وهو وهم كبير وخلط فادح، فلا شعر يخلو من هذه الجذوة الرومانسية أو الوجدانية مهما كان تياره أو اتجاهه ولو خلا منها لكان فاقدًا لروحه المشعة وجوهره الشديد التأثير .

والشاعر أحمد خميس في سياق هؤلاء الشعراء جميعًا لا يكاد يعرف عنه إلا مشاركاته الإذاعية في مطالع حياته باعتباره واحدًا من جيل المؤسسين لإذاعة الإسكندرية منذ عام ١٩٥٤ ومشاركاته الفنية ممثلاً له طبيعته وأداؤه واختياراته الخاصة في عدد من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية وحين امتد به العمر ، وأصبح عازفًا عن ممارسة الإبداع الشعري الذي كانت ذروته بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٤ ، وكان وقتها ينشر قصائده في مجلة «الهلال» طغت شهرته ممثلاً سينمائيًا وتلفزيونيًا على معرفته شاعرًا ، وبخاصة حين أصبحت له أدواره المؤثرة في أفلام مثل : رسالة إلى الله والأيدي الناعمة وأين عمري وحكاية حب وعذاب الحب وفجر الإسلام وثالثهم الشيطان والشك يا حبيبي ، وفي مسلسلات تلفزيونية مثل : الطبري وللزمن بقية والزيني بركات والوديعة وغيرها من عشرات الأفلام والمسلسلات .

وساعد هذا النشاط الفني الواسع ـ كما يقول الأديب الباحث محمد رضوان ـ في إسدال الستار على شعره وشاعريته ، كما حدث بالنسبة لشعراء آخرين كانوا جديرين بالتقديم والتنويه مثل : أحمد فتحي والهمشري والشرنوبي وغيرهم .. وأصبح الناس لا يذكرون له ـ إذا ذكروا ـ إلا مقاطع من قصيدته «الروابي الخضر» التي لحنها وتغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب الذي تحمس لها حين رأى فيها امتدادًا لشاعرية شاعر الجندول علي محمود طه ولغته الشعرية المرهفة وخيالاته المحلقة وامتلاء القصيدة بجمال التقطيع الموسيقي ، وكأن الشاعر كان يلحنها وهو يصوغها بالفعل.

من الواضح أن لغة الشاعر أحمد خميس ومعجمه الشعري ، هما امتداد لصنيع شعراء الرومانسية أو الاتجاه الوجداني للكبار من أمثال إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل ومحمد عبد المعطي الهمشري ومن تابعوهم من أجيال الشعراء الذين عكفوا على تصوير ما لاقوه من عذابات ذاتية فهم طيور جريحة مغردة ، وقلوب حزينة ضارعة تشكو وتتألم ونفوس شفيفة مرهفة يصرعها الوجد ، وتغلفها «الحيرة الخالدة» التي جعل منها الشاعر أحمد

خميس عنوانًا لقصيدة موغلة في التيار الرومانسي .

ولعل الأنفاس التي تتردد في شعره قادمة تهب من عوالم الرومانسيين الكبار، وبخاصة الشاعر الملاح علي محمود طه ، الذي يبدو أن شاعرنا قد اتخذ منه المثال والمنهج والخطة والطريقة واللغة والصورة . لعلها قد جعلت الدوي والشهرة الطاغية للشاعر الأول ، الذي أحرز قصب السبق ، وسبق شعره شعر الآخرين إلى أسماع الناس حين تغني به الموسيقار عبد الوهاب في رائعتيه الجندول وكيلوباترا ، ثم في قصيدته اللافحة وطنيًا وقوميًا عن فلسطين ، فلم يعد للناس حاجة إلى شعر غيره ، حتى لو كانوا من أخلص تلاميذه وعشاق شعره ومتابعيه ولا قدرة على تأمل شعر الرائد والمتابع ، ووضعه في ميزان التأمل والبحث عن السمات الخاصة في شعر كل منهما، والفروق التي ميزت بينهما ، والمغامرات الشعرية التي قام بها أحمد خميس من خلال استلهامه في عدد من قصائده البديعة مستلهما شخصيات أحاطت بها هالات سحرية ودوائر تاريخية وأسطورية مثل : قطر الندى وشهرزاد وكيلوباترا وعمر الخيام (الذي حاكاه في رباعياته واقترب من تمثيل فلسفته وفكره) وفي قصائده الغنائية التي شجعه على إبداعها شهرة قصيدته المغناة «الروابي الخضر» وهي القصائد التي تغنى بها فريد الأطرش ونجاح سلام وسعاد محمد والمطرب السوري نجيب السراج .

* * *

ويبقى للأديب الباحث محمد رضوان ـ المكب دومًا على ما أهمله التاريخ الأدبي كشفًا وجلاء وتحقيقًا وتقديمًا ـ أنه أتاح لنا رؤية أحمد خميس الشاعر والإنسان عن قرب من خلال حياته وشعره وما جمعه عنه من مصادر لم يكن ممكنًا أن تتاح لغيره شأنه في كل إصداراته السابقة ، وهو أمر يكفيه في دائرة البحث والتوثيق ولغيره ـ من النقاد ـ أن يعكف على هذه المائدة العامرة الشهية التي كان له فضل تقديمها لقارئه في هذا الكتاب المتميز .

القاهرة – ٢٧ مارس –٢٠١٢ — فاروق شوشة

مقدمة

هذا الشاعر الرومانسي الغنائي

بقلم : محمد رضوان

كانت قصيدة «الروابي الخضر» التي يتغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب هي أول ما نبهني إلى الشاعر أحمد خميس مؤلف القصيدة ، لما تحتويه هذه القصيدة من عذوبة ورقة وجمال في اللفظ والمعنى .

وكنت مفتونًا بهذه القصيدة أرددها دائمًا مع الموسيقار محمد عبد الوهاب وأشعر فيها بعزة مصر وشموخها وتاريخها التليد وغدها المشرق المضي .

ولم أتعرف على الشاعر أحمد خميس إلا عام ١٩٧٣ أثناء حرب أكتوبر المجيدة حين كان يحضر إلى مجلة «الهلال» للالتقاء بصديقه القديم صالح جودت. ، بعد غيبة طويلة عاشها أحمد خميس في ألمانيا الغربية منذ عام ١٩٦٨ عمل فيها مذيعًا في القسم العربي هناك، مع زوجته وابنته الوحيدة «راندا» وعاد أحمد خميس إلى مصر سنة ١٩٧٣ مع انتصارات حرب أكتوبر المجيدة ، ليعيش في أجواء النصر والعزة والكرامة .

وكنت أعرف أن أحمد خميس قد سبق له أن عمل مذيعًا بإذاعة الإسكندرية سنة ١٩٥٤ حيث يعتبر هو المؤسس الحقيقي لها ، كما شارك في تمثيل عدد من الأفلام العربية منها فيلم «رسالة إلى الله» والأيدي الناعمة .

والتقيت بالشاعر أحمد خميس عدة مرات بمكتبي بمجلة «الهلال» ، واستطعت الحصول منه على بعض المعلومات عن سيرة حياته وثقافته ، لعمل دراسة عنه وكنت ألح عليه دائمًا ليجمع ديوانه الشعري ، ولكن لم أجد حماسًا لديه، بل وجدت عزوفًا لا أدري سببه ، أغلب الظن بسبب المستوى الهزيل الذي وصل إليه مستوى الشعر ، ووجدت السيدة زوجته أكثر حماسًا لجمع

أشعاره في ديوان .

وشرعت أراجع المجلات الأدبية خاصة مجلة «الهلال» القاهرية التي نشرت له بعض قصائده بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٤ لعمل دراسة عنه ، ونشرت دراستي عنه في كتيب صغير بعنوان «شعراء الرومانسية» صدر عن وزارة الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٦ ، وحاولت بهذا الكتاب أن أدعو الشاعر الرقيق الهامس أحمد خميس ليعود إلى جنة الشعر ليضيف لديوان الشعر العربي الكثير من المعاني والأساليب العذبة الرقيقة التي تتصف بها قصائده ، ولكن دون جدوى وقد تابعته وهو يشارك في تمثيل الكثير من الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية التي استغرقت جل وقته .

وتواصلت لقاءاتنا وبعد أن سافرت للعمل بسلطنة عمان لتأسيس مجلة السراج العمانية مطلع سنة ١٩٧٦ استمر التواصل عن طريق الرسائل ، ونشرت له بالمجلة عدة قصائد كما نشرت عنه دراسة بالمجلة فضلاً عن بعض اللقاءات الصحفية عن طريق مراسلنا بالقاهرة ، وبعد أن عدت إلى القاهرة سنة ١٩٨٠ تواصلت اللقاءات والاتصالات الهاتفية ثم استمر ذلك بعد سفري الثاني إلى السلطنة (١٩٨٢ ـ ١٩٩٤) وبعد عودتي إلى القاهرة في يونيه ١٩٩٤ لأواصل عملي الصحفي بمجلة الهلال كنت أحثه على نشعر شعره في ديوان حتى أصدر سنة ١٩٩٥ ديوانه الأول «الروابي الخضر» على نفقته الخاصة وأحدث صدى طيبًا عند المهتمين والمقدرين لأصالة شاعريته ، لكن الشاعر اصطدم بمسألة توزيع الديوان ولقي من جراء ذلك عنتًا كبيرًا وخسارة مادية فادحة.

وللأسف لم تشفع شاعرية أحمد خميس وقيمته الفنية الكبرى أن تخترق ذلك الحصار الذي أقامه بعض سدنة الشعر الحديث وما يسمى بشعر الحداثة وقصيدة النثر فلم يحصل على أية جائزة محلية أو عربية حتى جائزة الدولة التشجيعية ، وكم كان هذا الموقف يثير الألم والحسرة والمرارة في نفس الشاعر وفي نفس محبيه ومقدري أدبه .

وقد لا يعرف الكثيرون أن الفنان أحمد خميس المذيع والممثل السينمائي والتليفزيوني صاحب الأدوار الشهيرة القصيرة، بل المؤثرة على الشاشة البيضاء مثل دوره في أفلام مثل «رسالة إلى الله» و «أين عمري» و «حكاية حب» و«حب على هضبة الهرم» و«عذاب الحب» و «فجر الإسلام» و «ثالثهم الشيطان» و«الشك يا حبيبي » وفي بعض المسلسلات التليفزيونية مثل : «الطبري» و«للزمن بقية» و«الزيني بركات» و «الوديعة» وغيرها من عشرات الأفلام والمسلسلات التليفزيونية أقول: قد لا يعرف هؤلاء أن هذا الفنان المذيع الذي أسس إذاعة الإسكندرية هو شاعر رقيق مبدع لم يأخذ حقه من التقدير والتكريم.

وميزة الشاعر الفنان أحمد خميس أنه ظل مخلصًا وفيًا لأصول الشعر وأصالته، لم ينحرف إلى ما يسمي شعر الحداثة أو ما بعد الحداثة أو ما يسمى بقصيدة النثر، وكيف تسمى قصيدة وهي نثرية!

والملاحظة الجديرة بالوقوف عندها أن هناك تعتيمًا على هذه الرموز الشعرية الشامخة سواء على من رحل عن دنيانا أو من لا يزال بيننا وأصدق مثال على ذلك الشاعر المبدع الكبير صالح جودت (١٩٠٨ ـ ١٩٧٦) الذي أسدلت على سيرته وشعره ستارة كثيفة من التجاهل والنسيان وكأن هناك مؤامرة على الأصالة الشعرية والفنية والأدبية مثله مثل على محمود طه وإبراهيم ناجي وأحمد فتحي والهمشري وغيرهم من أقطاب هذا الفن الشعري الخالد الذين تمسكوا بأصالتهم ودافعوا عن أصول الشعر العربي وقواعده، فكان مصيرهم التجاهل والنسيان !

أقول: إن هذا الشاعر الذي ظل يكتب الشعر منذ أكثر من نصف قرن، وهو في صومعته الفكرية يكتب ولا يجد من ينشر له شعره حتى رحيله في الخامس من أكتوبر عام ٢٠٠٨ لم يأخذ أية جائزة أدبية من جوائز الدولة أو الجوائز الأدبية العربية التي أصبحت مقصورة على أسماء معينة توزع عليهم بالترتيب، حتى أصبح الواحد منهم ينال أكثر من جائزة من عدة جهات في وقت واحد وكأنه لا يوجد غير هؤلاء الشعراء الذي لا يتجاوز عددهم أكثر من

أصابع اليدين ما دامت لجنة التحكيم واحدة تمد ذراعيها هنا وهناك دون وازع من ضمير أدبي أو أخلاقي .

أقول: إن هذا الشاعر الرومانسي الرقيق لم يغلق على نفسه الباب ويعبر عن مشاعره الذاتية بل شارك في العديد من الأحداث القومية في مصر والعالم العربي، فقصائده بعد قيام ثورة يوليو (١٩٥٢) « البعث الجديد» أو «الروابي الخضر» وحرب أكتوبر ١٩٧٣ « هنا القاهرة » وغيرها تؤكد انفعال هذا الشاعر بأحداث وطنه مصر ووطنه العربي الكبير ، ومع ذلك يمكن أن يطلق عليه دعاة التخريب أنه «شاعر كلاسيكي» حتى يغلقوا الباب أمام أية رغبة في تكريمه أو خروجه من الشرنقة التي وضعوها حوله خوفًا من أن تكتسح سيل موهبته الشعرية المبدعة ذلك الركام الزائف الذي أصبح يتصدر واجهات الإعلام المقروء والمسموع والمرئي .

***

وبعد ، فقد آثرت أن أقدم دراسة سريعة عن هذا الشاعر الرومانسي المحلق الذي أبدع لنا هذا الكم الشعري البديع خلال مراحل تطوره الشعري الذي ينقسم إلى ثلاث مراحل هي كالتالي: المرحلة الأولى التي سميتها في «زورق الملاح التائه» .

والتي تأثر فيها بأستاذه وصديقه الكبير شاعر الجندول على محمود طه أواخر أيامه قبل وفاته (١٩٤٩) .

حيث اتسمت تلك المرحلة بالذاتية والرومانسية الحالمة والتغني بالحب والجمال والسباحة في بحار الحب الحالم في خيال محلق مع أسلوب مشرق مفرط في الموسيقا والنغم العذب والجرس الغنائي الهامس .

والمرحلة الثانية كانت مرحلة «الروابي الخضر» وهي القصيدة التي تغنى بها موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب والتي يقول في مطلعها :

يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء

فـــا لـــروابي الخـــضر تـــشدو .. والـــسنا حلـــو الـــرواء
والأمـــــــاني هتـــــــاف .. عزفتـــــــه الـــــــضفتان
فجـــــري في مقلـــــة الأرض .. وفي قلـــــب الـــــسماء
وجئـــــا التـــــاريخ يـــــستروح أمجـــــاد الغـــــد
فـــــوق واد عـــــاطر التربـــــة ... فيـــــاض الـــــسناء

وهي القصيدة التي أبدعها في مطلع الخمسينيات (١٩٥٤) مستبشرًا بقيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ والآمال المعقودة لتنهض مصر والشرق إلى عهد جديد مشرق وهذه المرحلة جمعت بين الشعر العاطفي الرومانسي الحالم والشعر القومي والوطني الذي يواكب الأحداث القومية وينفعل بها ويعبر عنها .

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الرباعيات ، وهي تلك الرباعيات التي تأثر الشاعر فيها برباعيات الخيام الشهيرة لكنه تجاوزها إلى تأمل ذاته وتأمل فلسفة الحياة والدنيا .. ففي هذه الرباعيات حيرة المؤمن ، وتأمل الفيلسوف ، ويقين القلب الحائر ، والتعلق بدنيا الحب والغرام حتى يهرب من واقع الحياة وأساها وعذاباتها حتى يمكننا أن نطلق عليه لقب «الخيام المصري».

في سنواته العشر الأخيرة عكف الشاعر في بيته بشارع عبد الخالق ثروت بوسط القاهرة مع رفيقة عمره السيدة ليلى أحمد موسى يقرأ ويكتب الشعر إلا من بعض الزيارات هنا وهناك فضلاً عن بعض المشاركات التليفزيونية والسينمائية وكان الهاتف هو نافذته على الآخرين ، وقد روى لي أنه هو الذي اقترح إضافة شخصية أمير الشعراء أحمد شوقي إلى مسلسل أم كلثوم ، وقام هو بدوره بصورة أقرب إلى الحقيقة .

واستمرت الاتصالات بيننا على الأقل مرتين أسبوعيًا ، وكنت كلما سافرت إلى الإسكندرية أو المنصورة بين الحين والآخر أو خارج مصر وأغيب عن الاتصال به وعندما أعود أبادر بالاتصال به فأجده يعاتبني عتاب المحبة على تأخري في الاتصال به .

وكـان أحيانًـا يبـادر بالاتـصال بي ، ليقـرأ لي أحـدث قـصائده أو رباعياتـه الجديدة بصوته الشجي الرخيم .

وبين الفترة والأخرى كنت أزوره في شقته الهادئة ليروي لي بعض ذكرياته مع بعض نجوم الأدب والفن مثل على محمود طه وصالح جودت وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب فأجد فيضًا زاخرًا من المعلومات الثرية خاصة ذكرياته مع الشاعر الأثير على محمود طه الذي عرفه في سنواته الأخيرة قبل رحيل شاعر الجندول في نوفمبر عام ١٩٤٩ .

وفي مطلع أكتوبر عام ٢٠٠٨ سافرت إلى مدينة الإسكندرية وأمضيت عدة أيام للاستجمام ثم عدت في الثامن من أكتوبر وبادرت كعادتي بالاتصال به مساء وطال رنين الهاتف دون رد فاتصلت مرة أخرى وإحساس داخلي يؤرقني خشية أن يكون هناك مكروه قد أصابه وبعد لحظات مرت كأنها دهر ردت على رفيقة عمره السيدة ليلى وسألتها عن الأستاذ أحمد لأكلمه كالمعتاد ، فأجابتني بصوت مرهق حزين البقاء لله .. لقد تعب أحمد ونقلناه إلى مستشفى (...) بالدقي وتوفي يوم الأحد الخامس من أكتوبر ونزل على الخبر كالصاعقة وعاد شريط الذكريات أكثر من ثلاثين عامًا منذ تعرفت عليه عام ١٩٧٤ بعد حرب أكتوبر المجيدة في مكتبي بمجلة الهلال أثناء زيارته للشاعر صالح جودت حيث نشرت له المجلة قصيدة عن حرب أكتوبر المجيدة بعد عودته من ألمانيا كما تذكرت اتصالاتنا الهاتفية ولقاءاتنا وحديث الشعر والرباعيات وذكرياته مع نجوم الفن والأدب في مصر والعالم العربي .

وتذكرت كيف اقترحت عليه أن يكتب قصيدة عن كليوباترا فاتنة الدنيا وحسناء الزمان بعد أن استوحى قصيدتين من وحي شهرزاد وقطر الندى فكان يتصل بي كل فترة ليقرأ لي مقاطع من قصيدته عن كليوباترا ولكنه أخبرني أنه لم يرض بعد عن المستوى المطلوب .. كان يريد أن يقدم للقارئ قصيدة رائعة غير مسبوقة عن كليوباترا خاصة أنني أرسلت له دراسة ترصد القصائد التي استوحاها الشعراء من شخصية كليوباترا الأسطورية وهم على أصابع اليد

الواحدة : أحمد شوقي ، وعلي محمود طه ، وعبد الرحمن صدقي ، وبعد مرور عدة شهور طلبني في مساء أحد أيام شهر فبراير عام ٢٠٠٥ ليقرأ لي قصيدته عن كليوباترا وكان مطلعها :

كليوباترا .. قبلة التاريخ في ثغر الضياء

وعناق الزمن الشادي وحلم الكبرياء

كما تذكرت محاولاتي الحثيثة لتقديم ديوانه الوحيد « الروابي الخضر» لبعض المؤسسات الثقافية والأدبية في مصر والعالم العربي لينال الجائزة التي يستحقها لكن نفوذ بعض المنافسين ومصالحهم الآنية حالت دون تحقيق هذا الأمر .

وظل أحمد خميس يائسًا من إنصاف القائمين على الحياة الثقافية ومن نقاد الأدب المأجورين الذين يرفعون ويخفضون من قيمة الشعراء حسب بندول الأسعار والثمن حتى رحل عن الحياة وابتسامة الرضا والقناعة تملؤه رغم إحساسه بالظلم وعدم التقدير .

وكنت قد حاولت بقدر الإمكان الإسهام في إنصاف شاعر الروابي الخضر في حياته، فنشرت عنه دراسة في مجلة الأديب البيروتية عام ١٩٧٥ ، كما نشرت عنه دراسة أخرى في كتيب بعنوان «شعراء الرومانسية» صدر كملحق لمجلة الثقافة المصرية عام ١٩٧٥ بتشجيع من الناقد الكبير د . عبد العزيز الدسوقي رئيس تحريرها يومذاك .

كما نشرت له عدة قصائد في مجلة السراج العمانية التي توليت رئاسة تحريرها في نوفمبر عام ١٩٧٥ ثم أصدرت دراسة أخرى سريعة عن إحدى دور النشر بالإسكندرية ودراسة أخرى صدرت عن كتاب الهلال في مارس ٢٠١١م ضمت في نهايتها مختارات شعرية لأحمد خميس .

والآن وأنا أقدم هذه الدراسة الموسعة أود أن أتوجه بالشكر لكل من رفيقة مشوار حياته زوجته السيدة ليلى أحمد موسى وابنته الوحيدة السيدة راندا بالكثير من المعلومات والقصائد المخطوطة التي ساعدتني في إنجاز هذه الدراسة عن

حياة أحمد خميس وشعره وقصائده المجهولة .

***

وبعد ، فهذه دراسة عن الشاعر الفنان أحمد خميس أحد أبرز شعراء القصيدة الغنائية المصرية والعربية المعاصرة وأحد شعراء الوجدان الذي عبر في شعره عن عواطفه ومشاعره وأحاسيسه في الحب والجمال ، وعكس لنا تجاربه البهيجة والحزينة فأضاف كثيرًا إلى الشعر الغنائي الوجداني بصوره الشعرية وأخيلته وموسيقاه الراقصة الهامسة والذي ظلمه النقد ولم يأخذ حقه كشاعر وجداني غنائي مجدد في شكل القصيدة ومضمونها ، وإذا كان أحمد خميس قد تأثر بشاعر الرباعيات عمر الخيام في قصائده الوجدانية الفلسفية ، وشاعر الجندول على محمود طه في قصائده الوجدانية الغنائية فإن له شخصيته الذاتية وقاموسه الشعري المتفرد الخاصة به ، وقد فصلت في هذه الدراسة الأسباب النقدية والموضوعية لاعتبار أحمد خميس بمثابة «الخيام المصري» من حيث تلبسه لروح الخيام وتشربه لفلسفته لكنه قدم لنا جديدًا في رباعياته التي عبر فيها عن أفكاره وفلسفته في الحياة الموت والحب والأمل واليأس والشك واليقين بقاموس شعري متفرد له مفرداته وصوره وأخيلته مما يصنفه كشاعر رومانسي وجداني متفرد ليس له شبيه في شعرنا المعاصر رغم عدم شهرته كشاعر لظروف وأسباب من بينها استغراق الشاعر في مجال التمثيل السينمائي والتليفزيوني والإذاعي منذ مطالع شبابه وندرة إنتاجه الشعري خلال نصف قرن من الزمان .

وإذا كان أحمد خميس لم يحظ بدراسة نقدية لشعره من قبل فلتكن هذه الدراسة التي تجمع بين الموضوعية والعاطفية مع حصاد رحلته الشعرية نقطة انطلاق لرد الاعتبار لشاعر وفنان كبير ظلمه النقد حيًا وميتًا .

محمد رضوان

القاهرة – مارس ٢٠١٢

ميلاد شاعر



ولد أحمد حافظ علي خميس في ١٣ من يناير عام ١٩٢٥ بحي بدرب سعادة بالسيدة زينب بالقاهرة وهو حي شعبي عريق وكان والده حافظ على خميس شهبندر تجار القاهرة بالموسكي وكانت أمه «عين الحياة خيري» مصرية ذات أصول تركية .

وكان أحمد خامس أخوته : عبد الله ومحمد وعلى وخديجة وزينب ، ونشأ منذ طفولته يحب القراءة والاطلاع ووجد في مكتبه أخيه الأكبر عبد الله زادًا ثقافيًا طيبًا ، فقرأ منها أمهات الكتب العربية وبصفة خاصة دواوين الشعر العربي للمتنبي والبحتري وأحمد شوقي ، باستمتاع وحفظ مئات الأبيات التي أعجبته .

وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية توفى والده فتولى الأخ الأكبر عبد الله رعايته فالتحق أحمد بمدرسة الفنون والصنائع التي حصل على الدبلوم منها عام ١٩٤٦ .

في ركن الملاح التائه:

وكان لوجوده بالقاهرة مركز الثقافة والفنون في هذه الفترة قد أتاح له أن ينشر شعره في بعض الصحف والمجلات ، وأن يتعرف على العديد من رجال الأدب والفن وكان يحمل إعجابًا خاصًا لشاعر الجندول على محمود طه الذي دوت شهرته في تلك الحقبة بعد أن غنى له الموسيقار محمد عبد الوهاب قصيدتيه: الجندول وليالي كليوباترا فسعى للتعرف عليه ، وقابله في مقهى الأمريكين بوسط القاهرة واستمع على محمود طه لشعر أحمد خميس فطرب له ، فدعاه لحضور صالونه الأدبي الذي كان يعقده بشقته بشارع سليمان باشا بوسط

القاهرة الذي سماه «ركن الملاح التائه» كان يحضره نخبة من رجال الأدب والفن والسياسة منهم الموسيقار محمد عبد الوهاب وسليمان نجيب والوزير على أيوب ومحمد التابعي والمطربة لور دا كاش وغيرهم .

وقد روي لي أحمد خميس مشاهد من قصة الحب التي ربطت بين على محمود طه والصحفية الشاعرة الجميلة أماني فريد التي ألهمت على محمود طه وإبراهيم ناجي وصالح جودت عدة قصائد غزلية كما روى لي أحمد خميس أن شاعر الجندول عندما طلب سماع قصائد أحمد خميس فقرأ عليه شاعرنا قصيدته «خمرة الربيع» التي مطلعها :

رفــع الكــأس وغنــى شــاركوني يــا صــحابي
وابعثــوا النــشوة فينــا ، وجــوى الــروح المــذاب
وامــلأوا الآفــاق شــدوًا واغمــروا تلــك الــروابي
بأغاريـــد الربيـــع الـــسمح معبـــود الـــشباب

اهتز علي محمود طه طربًا وقال بصوت ملؤه التأثر :

أرى فيك يا أحمد شبابي .. أنت تلميذي وخليفتي المنتظر !

وبدأ أحمد خميس ينشر شعره في مجلة الهلال منذ عام ١٩٤٧ فنشر عدة قصائد وجدانية غنائية لفتت إليه الأنظار كإرهاصات لشاعر وجداني متميز على درب شعراء الرومانسية الذين ملؤوا الساحة الأدبية في تلك الفترة أمثال على محمود طه وناجي وصالح جودت وأحمد زكي أبو شادي وحسن كامل الصيرفي ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم .

في تلك الفترة التحق أحمد خميس بمكتب بإذاعة (بي . بي . سي) اللندنية بالقاهرة ثم ما لبث أن التحق بالإذاعة المصرية ليعمل مذيعًا بها ، بعد اجتيازه اختبارات صعبة وساعده على ذلك إجادته التامة لقواعد اللغة العربية ، وإلقاؤه البديع الذي وضح في قراءاته الشعرية المتميزة .

في إذاعة الإسكندرية:

بعد إنشاء إذاعة القاهرة عام ١٩٣٤ فكرت الدولة المصرية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ في إنشاء إذاعة محلية بمدينة الإسكندرية العاصمة الصيفية لمصر يومئذ ، واختير لإنجاز هذه المهمة مجموعة من القيادات الإذاعية المتميزة وهم : حافظ عبد الوهاب ، وسعيد أبو السعد وعلى نور وناصر الدين ذكريان والصحفيان نجيب خليل وفؤاد أبو العلا والإذاعي الشاب الشاعر أحمد خميس . ولم تكن المهمة سهلة ميسورة .

وانطلقت «هنا الإسكندرية» لأول مرة في السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٤ من شقة بشارع شريف بالإسكندرية وكانت فترة ثرية للشاعر المذيع أحمد خميس الذي انغمس في الحركة الأدبية السكندرية وتفاعل معها واستطاع أن يحول إذاعة الإسكندرية إلى منبر للثقافة والمعرفة والذوق الرفيع وكان من أبرز أدباء وشعراء ومثقفي وفناني الإسكندرية الذين تعاونوا مع إذاعة الإسكندرية في تلك الفترة : عبد العليم القباني ، أحمد السمرة ، إبراهيم محمد نجا، كمال نشأت ، وحسين البشبيشي ، حيث ضم برنامج «أدب الشاطئ» إبداعات هؤلاء الشعراء وكان من رجال الأدب والثقافة نقولا يوسف وصديق شيبوب ود . جمال الدين الشيال ، وعبد الحكيم الجهني ود. محمد خلف الله أحمد ويوسف فهمي الجزائرلي ود . يوسف عز الدين عيسى ، وتحقق لإذاعة الإسكندرية بفضل نشاط أحمد خميس وصداقاته الواسعة بأدباء وفناني وشعراء الثغر سبقًا إذاعيًا فاق التصور حتى أصبحت تنافس الإذاعة الأم إذاعة القاهرة[1] .

وفي عام ١٩٥٤ عاد أحمد خميس إلى القاهرة ليواصل عمله في إذاعة القاهرة ولينغمس في الحياة الأدبية والثقافية في القاهرة عاصمة الفن والثقافة .

---

(١) وروي لي ذلك الشاعر السكندري عبد العليم القباني (١٩١٨ ـ ٢٠٠٠) في حوار أدبي صيف عام ١٩٩٨.

في ذلك العام (١٩٥٤) غنى الموسيقار محمد عبد الوهاب قصيدة أحمد خميس «الروابي الخضر» ومطلعها :

يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء

والروابي الخضر تشدو والسنا حلو الرواء

فأحدثت الأغنية صدى طيبًا ، وبدأ الأدباء يلتفتون إلى موهبة أحمد خميس الشعرية التي تذكرهم بروائع شاعر الجندول على محمود طه .

في صالون أحمد موسى:

كان د . أحمد موسى (١٩٠٦ ـ ١٩٩٢) أستاذًا جامعيًا . درس في ألمانيا وشغل منصب المستشار الثقافي لمصر في بون في الفترة من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٦٢ ، وكان له نشاط ثقافي وفكري في ألمانيا لصالح مصر والعروبة والإسلام حتى أنه نجح في تنفيذ فكرة بناء مسجد بمدينة هامبورج ؛ وكان قبل سفره إلى ألمانيا يكتب مقالات عن الفن التشكيلي في مجلة «الهلال» منذ أواخر الأربعينيات حتى أوائل الخمسينيات .

وقد تزوج من السيدة «دورثي» ابنة أحد كبار رجال الصناعة في بون وعاشت معه بالقاهرة بمنطقة المعادي وأنجب منها ابنتها «ليلى» ، التي عملت مخرجة بالتليفزيون المصري ، وقد تعرف أحمد خميس عليها عام ١٩٦٠ في التليفزيون ثم فوجئ أثناء حضوره لإحدى الندوات برؤيتها وعرف أنها ابنة د . أحمد موسى ، وبحكم معرفة أحمد خميس بالدكتور أحمد موسى توثقت العلاقات الإنسانية وكانت هناك حوارات مطولة بين أحمد خميس والسيدة دورثي حول الإسلام ومبادئه وقيمه انتهت بإشهار إسلام السيدة دورثي في الأزهر الشريف عام ١٩٥٨ وتسمت باسم «درية» .

وقد أحبت مصر واختارتها وطنًا لها ، وتشربت ابنتها الوحيدة ليلى حب مصر منها ومن والدها د . أحمد موسى .

وكان أحمد خميس في هذه الحقبة يحضر الصالون الأدبي الذي كان يعقده د . أحمد موسى بمنزله بضاحية المعادي ويحضره نخبة من رجال الأدب والفن

والثقافة والفكر .

وتدور الأيام ويتعرف أحمد خميس على ليلى موسى بمبنى الإذاعة المصرية عام ١٩٦٠ حيث كانت تعمل يومئذ مذيعة ومعدة ومخرجة بالتليفزيون المصري منذ بداية إرساله في ٢٥ من يوليو عام ١٩٦٠ حيث انتدبت من هيئة الاستعلامات التي كانت تعمل بها منذ عام ١٩٥٥ مترجمة عن الألمانية ومعلقة على الأفلام التسجيلية عن مصر ، ثم عملت مساعد مخرج للمخرج سعيد أبو السعد .

وكان أحمد خميس يعمل يومئذ باتحاد الإذاعة والتليفزيون بجانب مشاركته في التمثيل في المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية وفي الأفلام السينمائية . ويتقدم لوالدها للزواج منها ، ويتم الزواج في فبراير عام ١٩٦١ وأحمد خميس في السادسة والثلاثين من عمره ، وأنجبا ابنة جميلة هي «راندا» في مارس ١٩٦٣ .

في ألمانيا:

في عام ١٩٦٥ سافر أحمد خميس للعمل بالقسم العربي بإذاعة ألمانيا الشرقية مصطحبًا زوجته وابنته . حيث عمل مذيعًا ومعدًا ومراجعًا للغة العربية بها ، وأثناء عمله بألمانيا الشرقية حدثت نكسة ١٩٦٧ فشعر بالانكسار داخله وقرر العودة إلى مصر ، حيث عاد إلى القاهرة أوائل عام ١٩٦٨ ليواصل عمله بالإذاعة المصرية كمدير عام بها .

وفي عام ١٩٧٠ رشح للعمل بإذاعة كولونيا الناطقة بالعربية وعاش بها مع زوجته وابنته وقد ساعدته إجادته للغة الألمانية في نجاحه في تلك الفترة بإذاعة كولونيا بألمانيا.

العودة إلى القاهرة:

ومع انتصارات حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ المجيدة شعر أحمد خميس بالزهو وبعودة الروح وبارتفاع قامته فقرر العودة لمصر ووجد نفسه يعيش أجواء النصر والعزة والكرامة فينشد من أعماقه «هنا القاهرة» وملء قلبه العزة والزهو :

ويهتف بي ... هاهنا القاهره

فهـــــزي فـــــؤادك ا شـــــاعره
ومُـــدى إلى الـــشمس روح المـــشوق
وعبــــى ســـــنا الجنــــة الآمره
ودوري عـــلى ســـبحات الفتـــون
مفتحـــة القلـــب ... والبـــاصره
أحاديـــث .. ليـــست ببـــدء الحـــديث
وأنباؤنـــا مـــا لهـــا آخـــره
ويـــأتي الزمـــان .. ويمـــضى الزمـــان
وتبقـــى عـــلى الـــزمن .. القـــاهرة

ومنذ عودة أحمد خميس إلى القاهرة عام ١٩٦٨ استقر بها مع زوجته وابنتهما الوحيدة التي تزوجت فيما بعد ، وعاش أحمد خميس مع رفيقة عمره السيدة ليلى أحمد موسى بشقتهما بشارع عبد الخالق ثروت بوسط القاهرة ينشر الشعر هنا وهناك من وقت لآخر ويشارك في بعض المسلسلات التليفزيونية والإذاعية والسينمائية ويسافر إلى بعض الدول العربية والأوروبية ليشارك بالتمثيل وفي نفس الوقت كان يعمل بالإذاعة المصرية كمدير عام بها ، وعين أحمد خميس في مجلس الشورى وفي المجالس القومية المتخصصة ، ويجمع بعض قصائده وبعض رباعياته الشعرية لينشره في ديوان سماه «الروابي الخضر» ليصدره عام ١٩٩٥ على نفقته الخاصة لكنه لم يجن مقابلاً ماديًا ، وتجاهل الوسط الثقافي هذا الشاعر الكبير طيلة حياته وبعد رحيله إما خوفًا من المنافسة ، وإما لإتاحة المجال لشعراء قصيدة النثر ومدعي الحداثة الذين تكاثروا في الساحة وهيمنوا على الحياة الثقافية .

ويصاب أحمد خميس بالإحباط واليأس من هذا الجو الأدبي المراوغ الذي لا يعطيه حقه ، لكنه استمسك بكرامته وعزة نفسه وهو يعيش في صومعته الفكرية مع رفيقة عمره يشاهد التليفزيون ويستلهم بين الحين والآخر رباعية شعرية أو

قصيدة جديدة يعبر فيها عن أحاسيسه ومشاعره الحية. ويظل هكذا يغالب الإهمال والمرض وقسوة الحياة الثقافية حتى يرحل في صمت في الخامس من شهر أكتوبر عام ٢٠٠٨ لتنتهي رحلة شاعر الروابي الخضر في الحياة ، لكن ليبقى شعره ثروة من المشاعر والأحاسيس والصور والأخيلة الخالدة .

قصة حبي:

وقد روت لي السيدة ليلى أحمد موسى قصة زواجها من أحمد خميس في أحد أيام شهر يناير ٢٠١٢، فقالت:

«كانت مصر في الستينيات تختلف تمامًا عن مصر اليوم ، ومن ضمن التغيرات الكبيرة التي حدثت حينذاك هي دخول التليفزيون إلى المنازل، فتم جمع الكثير من الإذاعيين والصحفيين وأهل الثقافة والمفكرين في مبنى التليفزيون لتحقيق ذلك ، وكان هذا المبنى حينذاك يتألف من طابق واحد فقط، إذ إنه كان في مرحلة البناء، ولم يكتمل بعد ، كان الكل يلتقي في هذا الطابق الواحد بصفة شبه يومية ، وبالتالي تم تعارف الكل ، كان هذا هو الوقت الذي تم فيه انتدابي من قبل هيئة الاستعلامات لقيامي بأعمال عدة من ضمنها الترجمة وملازمة الخبراء الألمان الذين أعطونا ثمار معرفتهم ومعلوماتهم لقيام هذا الصرح العظيم، وتحتم احتكاكي بجميع مجالات التليفزيون منذ يومه الأول، هذه المجالات هي الإخراج والإنتاج والإعداد والتخطيط وخلافه من المجالات الهامة والأساسية لقيام أي عمل تليفزيوني.

في أحد الأيام كنت أجلس في مكتب أحد المخرجين السينمائيين نتجاذب أطراف الحديث ، فإذا بشخص بهي الطلعة يدخل المكتب ويلقي التحية بأجمل ابتسامة أخاذة رأتها عيني ، وتم تقديمه لي على إنه إذاعي معروف إلى جانب انتهائه للتو من أول فيلم كان يلعب فيه دور البطولة وإن صوته الجميل الشجي هو الذي أدى به إلى التمثيل في السينما ، كان هذا هو أحمد خميس، وشعرت على الفور بانجذاب لهذه الابتسامة والرشاقة وحسن المظهر والسلوك، أما الجميل في الموضوع فهو يقيني أنه هو الآخر قد انجذب إليَّ.

عندما ذكر له المخرج اسمي عند هذا التعارف الأول اتضح أنه يعرف والدي جيدًا وهو المستشار الثقافي الدكتور أحمد موسى ، وكانت المعرفة عن طريق الندوات الشعرية والأمسيات الثقافية التي كان يقوم بها والدي في بيته، وهكذا علمت أن أحمد خميس عاشق للشعر بل هو شاعر بالفعل ، وتعجبت أنه لم يقابلني من قبل مع أنه تردد على بيت أبي تكرارًا.

وتوالت اللقاءات عن طريق الصدفة في طرقة الطابق الواحد لمبنى التليفزيون الذي احتشدت فيه جميع المكاتب والعاملين حينذاك، ولكننا لم نتبادل سوى التحيات المصحوبة بالابتسامات.

شاءت الظروف أن تقابلنا صدفة في ندوة شعرية في منزل الشاعرة شريفة فتحي لاهتمامي أنا أيضًا بالشعر حيث أنني أنظمه باللغتين الألمانية والإنجليزية، في هذه الأمسية تسنى لي للمرة الأولى سماع صوته الجميل وأدائه المتميز وهو يلقي على مسمع الحاضرين بعض أشعاره ، تصادف أن صحفيًا كان حاضرًا هذه الأمسية ، فأخذ يلتقط صورًا للحاضرين، فإذا به يلتقط صورة لي مع أحمد خميس وبهذا دون القدر أول لقاء فعلي بيننا ، فلا عجب أن أصبحت هذه الصورة من أحلى وأجمل الذكريات بالنسبة لي ، وتوالت اللقاءات وكثر الحديث بيننا ، وتبين ساعتها رغبة كل منا في أن يكون مع الآخر ، ولكن هذه المناقشات كشفت أيضا عن مدى صعوبة ارتباطنا بعضنا ببعض حيث كان لكل منا حصته من المشاكل، وكانت هذه اللحظة هي التي قررنا فيها تناول هذه المشاكل الواحدة تلو الأخرى والقيام بحلها حتى لو كان بالتضحية في السبيل إلى الوصول إلى غايتنا وهي الزواج الذي تم في عام ١٩٦١ في احتفال عائلي بسيط.

وانتقلنا للعيش مع والدتي الألمانية بالمعادي وعرفت عنه حينها صفة ظلت معه لآخر حياته وهي أنه لا يحب البهرجة ولا الأضواء.

بعد الزواج ظل هو في مجال الإذاعة والتمثيل ، وكنت أنا في مجال الإخراج التليفزيوني والإعداد والتقديم أي أن المجال كان واحدًا ألا وهو المجال الفني،

وبذلك فهم وقدر كل منا ظروف عمل الآخر ، وكنت أشجعه على التمثيل وأهيئ له الجو المناسب عند كتابته للشعر ، وكان هو يساندني في عملي بالتفهم بأفكار جديدة ، والطريف أن الظروف أحيانا تشاء أن تجمعنا في عمل واحد كالأفلام التسجيلية وذلك كان بمثابة متعة لنا حتى أصبحنا معروفين بالتعليق المتبادل.

عام ١٩٦٣ استجاب الله دعوات أحمد خميس فرزقنا بابنة أسماها راندة وكانت ابنتنا هي بهجة حياتنا ، وقد حملت الصفات الجميلة من جدتيها، فأخذت من والدتي الألمانية العين الفاتحة والشعر الأشقر ، أما بياض بشرتها فكانت من جدتها لوالدها عين الحياة وهي سيدة تركية شديدة البياض.

عام ١٩٦٨ سافرنا معا إلى ألمانيا الشرقية ، وكانت طبيعة عملي تتلخص في اختياري للأفلام التي تناسب العرض في التليفزيون المصري، أما هو فكان في إذاعة برلين كمعلم ومدرب للمذيعين للنطق السليم للغة العربية ، وصحة النحو وانتقاء الألفاظ والمصطلحات وجمال تركيب الجمل.. إلخ.

مكثنا في ألمانيا الشرقية قرابة عامين ، كانت خلالهما حياة الغربة قاسية ، والشيء الذي كان يهون علينا شقاء الغربة هو وجودنا مع بعض.

بعد عودتنا واستقرارنا في مصر ثانية ، بدأنا في توسيع مجال عملنا ليشمل إلى جانب ترجمة الأفلام والتعليق عليها والمسلسلات الإذاعية وأفلام السينما التي كان يمثلها أحمد ، الأفلام والمسلسلات التي كانت حينها باللونين الأبيض والأسود فقط ، وكان مبنى التليفزيون قد وصل إلى عشرة أدوار، ولكن لم تكن الإذاعة قد دخلت المبنى بعد.

أما عني ، فقد تم تعييني وتثبيتي في قسم العلاقات العامة في التليفزيون للتعامل مع الأفواج القادمة من الخارج إلى جانب اشتغالي بالإعداد والإخراج والتقديم.

بالطبع كانت لنا حياتنا الخاصة وهواياتنا منها هوايات مشتركة فكلانا كان

يكتب الشعر ويرسم اللوحات وكان حبي الشديد للموسيقى الكلاسيكية أثره على زوجي فتقبلها واستوعبها حتى أحبها جدًا وأصبح خبيرًا فيها ، كان هذا متزامنًا مع تقديمي الموسيقى الكلاسيكية للجمهور المصري من خلال برنامج ظل يعرض على الشاشة لمدة ثمانية أعوام من إعدادي وإخراجي اسمه الموسيقى العالمية أما التقديم فكان لبرنامج اسمه: رحلة مع الأنغام.

واضطرتنا ظروف عملنا والتي كانت تتألف من مرحلتين صباحًا ومساءً إلى الانتقال من المعادي إلى وسط البلد لقربها من مبنى التليفزيون، وتركنا المعادي بما تتصف به من هدوء وجمال وإلهام ، وتركنا منزل والدتي التي تبادل معها زوجي الكثير من المعرفة ، ففتحت هي أمامه مجالات ودنيا عالم الغرب أما هو فقدم لها جمال اللغة العربية ومبادئ الإسلام طالت ليالي السمر بينهما وافتتنت والدتي باللغة العربية وأحبت الدين الإسلامي حتى سألته يومًا أن تدخل فيه ، وبالفعل صحبها أحمد إلى الأزهر الشريف حيث شهد على دخولها الإسلام وبذلك توطدت العلاقة بينهما.

وجاء عام ١٩٧٠ وقعنا فيه معا على عقد الاشتغال بالإذاعة وتليفزيون مدينة بألمانيا الغربية حينذاك وسافرنا إلى هناك ، وكان عملنا الأساسي هو ترجمة جميع أقلام شركة «ترانستيل» التسجيلية من الألمانية إلى العربية وتعليق أحمد عليها لبثها في جميع أنحاء العالم العربي.

بعد مضي أربعة أعوام على العمل معًا هناك رجعنا إلى مصر الأم الحبيبة محملين بالشوق فإذا بنا نفاجأ بان مبنى التليفزيون قد اكتمل بناؤه وأصبح برج الإذاعة يتوسطه وبذلك أصبحنا نعمل معًا في مبنى واحد اسمه الجديد هو «مبنى الإذاعة والتليفزيون المصري»، بعدها بعدة أعوام تم ضم الإذاعة والتليفزيون معا ، ونصب أحمد مديرًا عامًا بهذا الاتحاد ولكنه قام بتسوية معاشه مبكرًا ليتفرغ لمجالي التمثيل والشعر اللذين حتما سفره إلى بلاد مختلفة للعمل باستوديوهاتها مثل اليونان ودبي وغيرها ، أما الشعر فقد ألقاه في بلاد مختلفة منها لبنان والصين حيث حضر مؤتمرات وندوات هناك للاستماع والإلقاء .

أما عني فقد سافرت عدة مرات إلى ميونيخ لحضور مهرجانات أفلام الشباب والأطفال بصفتي معدة ومخرجة ومذيعة لبرنامج أطفال في التليفزيون وقتها.

ظللت متزوجة بأحمد طوال ٤٧ عامًا عرفته خلالها بالهدوء والصبر والحكمة تمامًا مثل اختياره لأدواره في السينما والتليفزيون، فكانت أدواره غالبًا ما تجسد المحامي أو الطبيب أو غيرها من الأدوار الشبيهة ، وعُرف بابتسامته الخلابة التي أحبتها الكاميرا كما أحبها جميع من كان يعرفه.

أما أحمد كأب ، فكان الأب الحازم الصارم الذي يتبع مذاهب المدرسة القديمة في تربيته لابنته ، ومع ذلك لم يحرمها من التدليل، وكانت النتيجة أنهما أصبحا كالصديقين الحميمين عندما كبرت وسار لها بيتها والعائلة الخاصة بها ، بل كانت كثيرًا ما تلجأ إليه لينصحها بحكمته في أمور عدة مختلفة.

استجاب الله لرغبة أحمد في أن يرحل عن الحياة في هدوء وصمت ففارقها يوم الخامس من أكتوبر ٢٠٠٨م في هدوء كما عاش في هدوء.

وإذا كان فراقه في بادئ الأمر يصحبه الكثير من الدموع والألم فأصبحت الآن ذكرى ابتسامته الجميلة هي التي تصحبني في يومي، فأراها دائمًا أمامي وإذا تركت البيت أودعه وعند عودتي ألقى التحية.

خليفة الملاح التائه:

في مطالع شباب أحمد خميس قرأ دواوين الملاح التائه ، على محمود طه ، ووقف عندها طويلاً .. استوعبها واستهوته أول ما استهوته رقته العاطفية وأجواءه الشعرية الحالمة وهيامه في بحار الحب والجمال فضلاً عن رقة موسيقاه وحلاوة جرسه ورهافة روحه .

وعاش أحمد خميس في أجواء الملاح التائه الرومانسية الحالمة ، وعرفه عن قرب في سنواته الأخيرة وتأثر به ، ثم لما بدأ يكتب محاولاته الشعرية الأولى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره في منتصف الأربعينيات بدأت تظهر ملامح

شاعريته الأصيلة وسماته الروحية والذوقية والوجدانية.

لقد بدا أنه أكثر قربًا من الملاح التائه في أجوائه الشعرية واحتفاله بالموسيقا ورقته العاطفية ورومانسيته الحالمة وهيامه في بحار الحب والجمال سعيًا وراء سحر المجهول مما جعله يعد بحق خليفة للملاح التائه .

إن أحمد خميس وعلى محمود طه يشكلان مدرسة خاصة في شعرنا العربي المعاصر لها سماتها المتفردة وخصائصها المتميزة وهي «المدرسة الرومانسية العاطفية الطروبة» .. إذ إن كلاً منهما يعشق الحسن ويقدس الجمال وكل منهما ظامئ لمباهج الحياة وأفراحها ينهلان منها ويسبحان في بحار الحب وأجواء الجمال في شاعرية حالمة ورومانسية هامسة رقيقة .

إننا نجد في شعر كلا الشاعرين أجواء الحب والغزل والكأس والليل والسمر وسط معالم الطبيعة البهيجة ، تلك الأجواء الرومانسية الطروبة .

إن المثال الذي يمثل اتجاهات على محمود طه الذوقية والنفسية والروحية ، قصيدته «ليالي كليوباترا» تلك الفاتنة الساحرة «فاتنة الدنيا وحسناء الزمان» التي التقى بها في ليلة حب على صفحة النيل في زورق من صنع أحلام الشباب وتغني شاطئا النيل حولها وغردت الضفاف الخضر لهذين العاشقين المفتونين السابحين في نهر حب ونغم :

كليوباترا .. أي حلم من لياليك الحسان

طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئان

وهفا كل فؤاد وشدا كل لسان

هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان

ويصبح الجو المحيط بالعاشقين المفتونين أكثر شاعرية ورومانسية ، فالموج والشاطئان يتغنيان، والأشواق تغني حولها والكئوس تدور ، والقمر الفضي يباركهما ، فيسبحان في بحر من النور والنغم والهوى :

ليلنـــا خمـــر وأشـــواق تغنـــي حولنـــا

وشراع ســـابح في النـــور يرعـــى ظلنـــا

كـــان في الليـــل ســـكارى وأفـــاقوا قبلنـــا

ليـــتهم قـــد عرفـــوا الحـــب فبـــاتوا مثلنـــا

كلـــما غـــرد كـــأس شربـــوا الخمـــرة لحنـــا

يـــا حبيبـــي ، كـــل مـــا في الليـــل روح يتغنـــى

هـــات كـــأسي ، إنهـــا ليلـــة حبـــي

آه لـــو شـــاركتني أفـــراح قلبـــي

وعند شاعر الروابي الخضر ، نجد نفس الأجواء الحالمة ، والصور الملونة الرقيقة حيث نجد الجو الرومانسي الحالم الطروب ، فيرسم لنا صورة الشاعر وملهمته في زورق على النيل في مناجاة حالمة وقد باركتها الطبيعة الفتانة ، وهي لوحة شعرية قريبة من أجواء الملاح التائه ولياليه في بحار الحب والجمال : يقول أحمد خميس في قصيدته «الشروق» [(١)] :

يـــا حبيبـــي قـــد بـــدا الشـــاطئ في نهـــر الخيـــال

وترامـــي المـــوج مـــشتاقًا إلى صـــدر الرمـــال

وتغنـــي الزهـــر للفجـــر بـــأسرار الليـــالي

مـــرت الأنـــسام تلهـــو بالـــشراع الخـــافق

ضـــاحك الأنـــوار مطلـــولا بأنـــداء الـــصباح

طيـــع المجـــداف منـــسابًا كحلـــم شـــيق

هـــو رؤيـــا لحبيـــب وعنـــاق ومـــراح

(1) الهلال ، عدد ديسمبر عام ١٩٤٩ .

أنــــت نــــشوان عـــلى صــــدري تميـــل
وأنـــــا الــــسابح في الحلـــم الجمـــل

ثم يناجى محبوبه في ظلال الطبيعة الحالمة ، فيقول :

يا حبيبي .. لم يعد في الكون وسنان سوانا
والأزاهــير مــع الطــير تغنــت بهوانــا
والــروابي خلــدتها لثمــة النــور حنانًــا
أشرف الروح على فجر من الحب السعيد
في شعاع راقص القلب عـلى نـور سـناه
وتغنـى البلبـل الظمـآن للـصبح الوليـد
وشربنا الخمـر فياضًـا عـلى كـأس الـشفاه
أنــــت نــــشوان عـــلى صــــدري تميـــل
وأنـــــا الــــسابح في الحلـــم الجميـــل

بين ملهمة الجندول وملهمة أحمد خميس

إذا كان علي محمود طه قد التقى ملهمته الأدبية في جندول ليالي الكرنفال في فينسيا وسط أجواء احتفالية رائعة صيف عام ١٩٣٨ ووصف تلك الليالي الساحرة ، بقوله [1] :

أيـــن مـــن عينـــيّ هاتيـــك المجـــالي
يـــا عـــروس البحـــر ، يـــا حلـــم الخيـــال
أيـــن عـــشاقك ســـمار الليـــالي
أيـــن مـــن واديـــك يـــا مهـــد الجـــمال

(1) علي محمود طه : ديوان ليالي الملاح التائه / ١٩٤١ قصيدة الجندول .

موكــب الغيــد وعيــد الكرنفــال

وسرى الجنــدول في عــرض القنــال

أيــن مــن فارســوفيا تلــك المجــالي

يــا عــروس البحــر ، يــا حلــم الخيــال

وهو في ذروة نشوته مع ملهمته يستبد به الشوق لمصر وكل ما في مصر :

قلــت ، والنــشوة تــسري في لــساني

هاجــت الــذكرى ، فــأين الهرمــان ؟

أيــن وادي الــسحر ، صــدّاحُ المغــاني؟

أيــن مــاء النيــل ، أيــن الــضفتان ؟

وعندما تسأله ملهمته عن موطنه يكتشف أنها ليست من فينسيا فهي غريبة مثله ، وكل غريب للغريب نسيب :

قــال : مــن أيــن ؟ وأصــغى ورنــا

قلــت : مــن مــصر ، غريــب هاهنــا

قــال : إن كنــت غريبًــا فأنــا

لم تكــن لي فينــسيا لي موطنًــا

أما أحمد خميس فيلتقي مع ملهمته الأوربية الغربية في أجواء من الجمال والسحر والنشوة على ضفاف نيل القاهرة الساحر الفاتن فتتلاقى القلوب وتتهامس الشفاه الحالمة :

وتبعنــا رغبــة الــروح وأهــواء الــصبا

وتبــدا الليــل مفتونًــا .. تغنــي وصــبا

وبــدا لألاؤهــا يعبــث في صــدر الربــى

فانطلقنــا بــين خمــر وجنــى

كخيـــــالين عـــــلى ذوب المنـــــى

وتهـادى النيـل عطـرًا تـاه بـين الـضفتين

موجــه حلــم وقيثــار وأقــداح لجــين

آه .. هـات .. فأنـا سـمع وأصـداء وعـين

وعندما تـسأله عـن عـالم الـشرق وأسراره بكـل مـا يحويـه مـن أشـواق حالمة وأحلام هامسة يجيبها شاعر الروابي :

يا أخا الغرب .. ليالي الشرق عشق وهوى

وضـفاف ظمـئ الحــب عليهـا وارتــوى

وشــباب خالــد الفتنــة معبــود الــروا

أطلـــق الوجـــدان روحًـــا معلنًـــا

وقلوبًـــــا تتــــــشهى مثلنــــــا

فتعال اسكب على روحي وقلبي غنوتين

وترفـق يـا أخـا الغـرب وخـذها قبلتـين

فأنــا آه أنــا .. ســمع وأصــداء وعــين

ثم تمضي الأيام دورتها ويفترقان وعندما يقبل الصيف التـالي يـستذكر شـاعر الروابي ذكريات الغرام الغابر معها :

يا أخـا الغـرب .. ويـا لحـن الليـالي الخالـده

أقبـل الـصيف وعـادتني الظـلال الـشارده

ورؤى طيفــك يــدعوني ويلقــى لي يــده

أي دنيـــــا شعـــــشعت أنغامنـــــا

ثـــم عـــادت .. فطـــوت مـــا بيننـــا

غير تذكار من الماضي جرى في مقلتين

كلما هاجته أشواقي ترامى دمعتين

وثوى في خاطري ... سمع وأصداء وعين

التكوين الفكري والأدبي:

كان لجماعة أبوللو التي مثلتها مجلة أبوللو للشعر التي أصدرها د. أحمد زكي أبو شادي في الفترة من ١٩٣٢م حتى ١٩٣٤م تأثير كبير في الحركة الشعرية المعاصرة في مصر والعالم العربي وكان لأبرز روادها أحمد زكي أبو شادي وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي وصالح جودت تأثير عميق في الحركة الشعرية المعاصرة بجانب مدرسة الديوان التي مثلها العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري.

وارتبط ظهور جماعة أبوللو بانتشار الاتجاه الرومانسي بين شعراء هذه الجماعة الذي كان الاتجاه السائد والملائم لطبيعة تلك المرحلة ، حيث عكس طبيعتها وجسد أشواقها وعبر عن أحلامها وآمالها وفكرها والذي مثلتها الطبقة الوسطى التي حددت مسار هذه المدرسة الرومانسية وشكلت ملامحها الفنية ، وكانت الرومانسية بإعلاء الجانب الوجداني الذاتي تمثل تيارًا فكريًا وشعريًا سائدًا بين شعراء تلك المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) في مصر فرسخت أقدامها وأكدت ذاتها حيث أكد شعراء هذا التيار في شعرهم على تتويج العاطفة والشعور ، وتسليم القياد إلى القلب الذي هو منبع الإلهام الهادي الذي لا يخطئ لأنه موطن الشعور ومكان الضمير حيث جمدوا سلطان العقل والمنطق الصارم ، فالحقيقة التي ينشدها الرومانسي ذات طابع ذاتي ، أسيرة لخيال الشاعر وعاطفته المشبوبة التي تتجلى في شكلها التجديدي الثائر الرافضة للتزمت والفكر التقليدي والشكل الجامد .

كان ظهور هذا التيار الرومانسي في مصر تعبيرًا حقيقيًا لحاجة المجتمع في تلك الحقبة وتعبيرًا عن أشواقه الفكرية وطاقاته الروحية واستمد أحمد خميس

السمات العامة لملامح شعره الوجداني الغنائي من رواد التجديد يومئذ خاصة تأثره العميق بشاعر الجندول علي محمود طه وشاعر الأطلال ناجي فتجلت في شعره سمات المذهب الرومانسي ، حيث استوحى شعره من داخل ذاته المنفتحة الواعية ، المتفاعلة مع صخب الحياة وحرارة الأحياء .. وقد أسلمته تأملاته الفكرية إلى تجسيد لفلسفته الأبيقورية المنتشية بالحياة مع لون من التأمل الحزين العميق في الحياة والكون من خلال رباعياته التي وضح تأثره فيها بشعر المعري وعمر الخيام وعلى محمود طه خاصة في ديوانه الأول الملاح التائه وبالتحديد في مطولته الفلسفية التأملية الوجدانية «الله والشاعر» ، فاتسم شعره بحرارة الشعور وثورة الخلق ، ورغم إحساسه الحاد بالاغتراب الروحي عن مجتمعه إلا أن ذلك لم يجعله منفلتًا بل كان إنسانًا واعيا مؤمنا منطلقًا محبًا للحياة منذ شبابه الفني والزمني حتى آخر نسمة في حياته.

وقد شكلت مجموعة أبوللو وعلى رأسها أبو شادي وعلى محمود طه وناجي وصالح جودت والهمشري تيارًا شعريًا متميزًا تميز بالجنوح والثورة النفسية وقد وجد هؤلاء الرومانسيون في الحب الحزين المحروم معادلاً موضوعيًا ليأسهم في الحياة وعجزهم عن التصدي للواقع، ولذا جاءت صورة الإنسان في شعرهم فردية مغتربة حزينة ، وجاء غزلهم هروبيًا من واقع المجتمع ، وقسوة الواقع.

كان التكوين الفكري والوجداني لأحمد خميس مركبًا ، حيث استوعب التراث الأدبي العربي القديم ، كما قرأ إبداعات رواد الإحياء والتجديد مثل البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم كما حاول أن يستفيد من الثقافة الغربية خاصة الأدبين الإنجليزي والفرنسي ، فقرأ لشعراء الغرب الرومانسيين وقرأ شعر عمر الخيام المترجم للعربية والإنجليزية فتلبسته روحه وفاضت فلسفته اللا أدرية في الحياة والحب والكون في شعره الوجداني ، حيث عزف في رباعياته على نفس الأوتار الشعرية الفكرية التي عزف عليها الخيام .

جمع أحمد خميس في شعره بين تجربة ناجي الفنية في الحب الحزين وتجربة

الهمشري في الحب المحروم ، وشعر الحب والإقبال على الحياة والقدرة على الوصف عند على محمود طه ، وشعر الحزن والتأمل عند حسن كامل الصيرفي .

والحقيقة أن شعر أحمد خميس الذي تركه يعطي صورة متكاملة لشاعر رومانسي وجداني غنائي اتسع شعره لتجسيد تجاربه الإنسانية في الحب والحياة والكون وتأكيد سماته الفنية التجديدية في الشكل والمضمون .

شعر أحمد خميس يبدو تنويعات على لحن واحد .. هو لحن الحب الرومانسي المحلق المرتبط بجمال الطبيعة وغناء الكون حوله ، وأن تخلل ذلك رؤية صوفية للحب ، تستعذب مناجاة طيف الحبيب ، واللجوء إلى حمى عواطفه هربًا من قسوة الواقع وهجير الحياة وهذا الاتجاه كان غالبًا عند ناجي ، شاعر الأطلال .

كانت نظرة أحمد خميس للحب والحبيب في هذا الإطار الرومانسي الحالم أصبح المحبوب عنده رمزًا للشروق والابتسام والبهجة والنشوة الدائمة والموسيقا الحالمة والطبيعة التي تشارك المحبين بهجتهم ونشوة حبهم .

شاعر الوجدان العاطفي
أحمد خميس شاعرًا رومانسيًا

ينتمي شاعرنا إلى المدرسة الرومانسية التي وجد فيها الشاعر حرية الوجدان والقلب بنشوته وحرارته وانفعالاته ، فالرومانسية Romanticsm تعد ملجأ وملاذًا للشعراء الحالمين يهربون إليها من هجير الحياة ومن مرارة الواقع الذي يعانون منه ويكابدونه .

وأحمد خميس الرومانسي مرهف الإحساس ، رقيق المشاعر ، سريع التأثر ، نزاع إلى الحرية ، تواق إلى الوحدة ، محب للطبيعة ، يستوحيها إلهامه ، ويصف من خلالها مشاعره .

لقد وجد أحمد خميس في ظلال الطبيعة خاصة نهر النيل والبحر والروابي الخضر الملجأ والسلوى من أحزانه الروحية وإحساسه الحاد بالاغتراب الروحي سواء كان منفردًا بنفسه أو بصحبته عروس إلهامه أو عروس شعره في عالم الخيال والأساطير التي تبهج روحه الظمأى ، وتلهمه أجمل أغاريد الحب والجمال وأعذبها .

وقد سجل لنا شاعرنا أرق أحاسيسه وأصدق خفقات قلبه انفعالاً بلحظات السعادة الروحية والري النفسي مع سحر الطبيعة وليالي النجوى والوصال فجاء شعره انعكاسًا صادقًا وأمينًا لما أحس به وتذوقه في ظلال الطبيعة الحالمة !

إن أحمد خميس شاعر رومانسي حالم طروب ..

فشاعرنا خصب الخيال ، يحلق بعيدًا عن واقع الحياة وهجيرها إلى واحات الحب والسحر والجمال ، وهو بعيد عن الواقع في تصوره وتعبيره وتفكيره ويمكن إرجاع هذا إلى إحساسه بالاغتراب الروحي Estrangement أي أننا

نجد في شعره هجرة نفسية من الواقع الذي يحياه إلى آفاق خيالية مسحورة ، فيطلق أحيانًا العنان لخياله ، فيصور لنا أجواء حالمة هامسة لمحبين يتناجيان وسط جمال الطبيعة وسحرها والكون يبارك حبهما وكأنهما وسط مكان ناء بعيد عن أرض الواقع وعن البشر كافة حيث تدور الكؤوس وتلذ النجوى ، ولنطالع بعض هذا الخيال المجنح وهو يصف لنا ليلة حب حالمة في قصيدته «همس الغروب» ، التي عبر فيها عن عواطفه الوجدانية تعبيرًا مليئًا بالصور والإيحاءات الخصبة الغنية .

والحب الرومانسي لا ينشد اللذة الحسية ، فهو يقنع باللقاء العابر والمناجاة الحالمة في ظلال الطبيعة المشرقة ، فيصور لنا هذه النجوى حيث تشاركهما الطبيعة أفراح القلب وبهجة الروح [1] :

واحتوانا زورق يختال في زرقة ماء

الهوى ملاحه الشادي بأنغام الرجاء

فيه ما ألقته ربات الصبا ذات مساء

من أزاهير وقيثار وكأس عاطر

سكرت من خمره روح الشباب الثائر

فأحاطتك على رفق ذراعي

وتساقينا على همس الشراع

وتبديت كحلم أو شعاع

وبعينيك من الشوق فتون

وبقلبي منك سحر وجنون

يصور أحمد خميس ذلك الجو الحالم الملون ومع همسات المحبين عند الغروب

(1) الهلال عدد مايو ١٩٥٢م ، همس الغروب.

على صفحة الماء في زورق حالم ، فيقول على لسان محبوبته :

قلت لي والشمس تلقى فوق خديك رداها

وتحيل الصخر والماء قلوبا وشفاها

وتعيد الطير مسحورًا على خفق سناها

قلت لي والشفق الوردي في روعته

آه لوِ يغفل هذا الكون عن دورته

ونرى الدنيا بعيني طائرين

أطلقا فيها جناحي عاشقين

فأغنى وتغني لك عيني

وبعينيك من الشوق فتون

وبقلبي منك سحر وجنون

وتبدو أبيقورية شاعرنا وروحه المبتهجة الطروبة المتفتحة للحب والجمال ، في تلك الصورة الشعرية الحارة المتدفقة التي يدعو فيها لشرب النخب قبل الفراق ، ويخشى أن تضيع ساعات النجوى والحب ، فينادي القدر أن يتمهل ليقف عند تلك الساعات . وليظل ليل الحب سرمديا لا يلوح له فجر ، فيبدد ساعات الحب والهناءة والسعادة :

ثم عدنا للضفاف الخضر واللهو المتاح

بين عشاق أسارى وأباريق وراح

كل كأس غفلة تقصيك عن ذكر الصباح

ساعة شفت لها الأضواء واستحى القمر

صحت بالغيب تمهل وترفق يا قدر

يا حبيبي ما على الدنيا سوانا

فــاشرب الليلــة مــن خمــر هوانــا
وادع بالأيـــام أن ترعـــى صـــبانا
وبعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــون
وبقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــون

ولعل هذه الصورة وتلك الروح المفتونة المحبة للحب والمرح والحياة نجدها كثيرًا عند شاعر الجندول علي محمود طه وشاعر الرباعيات عمر الخيام .

***

إن أحمد خميس محب للطبيعة . يستوحيها إلهامه ويصف من خلالها مشاعره ، ورغم دعوة الشاعر للحب والانطلاق وانتهاب لحظات السعادة الروحية والحسية إلا أننا نجده ـ كعادة الرومانسيين ـ يحلو له التغني الحزين الذي يدغدغ حواس المستمع ، ويحمله إلى دنيا من شجن لطيف ولحن أليف ، دون أن ينبعث فيه أسى أو يدفع به إلى الإشفاق على الشاعر الأسوان .

إن شاعرنا يستعذب الشجن ، ويحلق في جو المعاناة ، وتروعه وتفزعه لحظات الفرقة والرحيل، فيتأسى ببقايا ليالي الحب ، وحطام الكأس ، ليرضي روحه الظمأى وقلبه المفتون ، وخياله المحلق :

كل ما في الليل ولي وخبا الضوء العليل
وخيالات المنى راحت مع الفجر تميل
ومضى العشاق في أعينهم حلم جميل
وخلا الكون بدنياه على روحي وقلبي
وبقايا لثمة في كأسي المحطوم قربي
فتـــذكرت أحاديـــث الغـــروب
وتـــشهى ســـاعدي خـــصر حبيبـــي

غــير همــس طــاف بالــشط القريــب

إن خصائص المدرسة الرومانسية من حيوية الطبيعة والتفاعل بين الذات والموضوع ، والكشف عن العنصر الأسطوري في الطبيعة ، واستخدام الرمز والمجاز في هذا الكشف فضلاً عن الذاتية والولوع بالوحدة وعبادة الجمال كل ذلك يتمثل في شعر أحمد خميس أصدق تمثيل وأعمقه ، فهو بحق من أعلام المدرسة الرومانسية ، ويمكن أن نطلق عليها مدرسة الوجدان الرومانسي الخالدة الأصيلة في شعرنا العربي المعاصر .

الشاعر التصويري:

إن الصورة الشعرية Poetic Image تمنح الشعر الجمال والأصالة ولقد أجاد أحمد خميس استخدام الصورة الشعرية في قصائده ، فالتصوير هو الأداة المفضلة لديه . ولقد أبرزت الطبيعة الحية الساحرة الجانب التصويري من شاعريته. إن التصوير عند أحمد خميس تصوير حي منتزع من عالم الأحياء ، وهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل ، كما أنه تصوير بالنغم والموسيقا الناعمة الهامسة .

وأحمد خميس شاعر مصور يخلع على صوره الشعرية ملامح من أحاسيسه الروحية والذوقية والنفسية ، فتجيء تلك الصورة قطعة من روحه ونفسه ، مما يمنحها الحرارة والصدق الفني والأصالة والجمال .

في هذه اللوحة التصويرية الجميلة نجد جوا ملونا حالمًا ، التقطه شاعرنا من الطبيعة الساحرة وصور من خلاله مشاعره العاطفية وحبه للجمال مع عروس أحلامه :

يـا صـحابي هـذه النبـأة مـن فـرح الـسماء

طـاف بـالروض نـداها ، فتغنـى للنـداء

وأفـاق الزهـر في أحـضانه ، حلـو الـرواء

ورنا الكون وأصغى ، وحلا همس اللقاء

وسرى بالضفة الخضراء لحن شاعري

ساحر النبرة ، رفاف ، رقيق ، شاعري

يا أخا الأحلام هيء خمرنا

واسكب الأشواق في كأس المنى

فالهوى والشعر والنجوى لنا

إن في شعر أحمد خميس التصويري ظاهرتين ملموستين هما : الموسيقا والتشخيص ..

الموسيقا التصويرية التي تصاحب المشهد التعبيري ، والتشخيص Personification الذي يجعل من مظاهر الطبيعة الصامتة كائنات حية نابضة بالحرارة والحياة تشاركه أفراح روحه وخفقات قلبه المفتون مع عرائس إلهامه ، وأطياف أحلامه .

في قصيدته «خمرة الربيع » ، نراه يشخص الطبيعة ويرسم لنا لوحات تمثل الطبيعة وهي تشاركه سعادته الروحية مع ملهمته إن هذه الصور الشعرية تمثل انفعالات الشاعر وأحاسيسه وعواطفه الحارة المتدفقة ، وقد وفق في أن ينقل لنا الجو الحالم بكل أطيافه وظلاله وألوانه وأصواته، فقال:

يا صحابي هذه النبأة من فرح السماء

طاف بالروض نداها ، فتغنى للنداء

وأفاق الزهر في أحضانه ، حلو الرواء

ورنا الكون وأصغى ، وحلا همس اللقاء

إن أحمد خميس في صوره الشعرية يستخدم الصور الحية Living Imagees مما يضفي على شعره الحرارة والحياة والصدق الفني ، ومرجع هذا إلى أنه دائمًا يلجأ إلى الطبيعة الحية Living Nature يستوحيها ويستلهمها ..

وأدواته التي يستخدمها هي اللفظة الحية ، والموسيقا الناعمة ، والضوء واللون والصوت. التلوين في شعر أحمد خميس يضفي عليه جمالاً وحركة ، والصوت يضفي عليه نبضًا وحرارة، فهو فنان يجيد توزيع الظل والأطياف والضوء والألق والسنا ولكننا نلحظ ظاهره بارزة في شعره وهو احتواؤه على قسط كبير من الأصوات ، حيث نجد ألفاظ «السنا والنور والألق» تسبح في بحور شعره وأنهاره !

في هذه اللوحة يضفي حياة وحركة بتشخيصه لمظاهر الطبيعة ، حيث يجعل الفجر يصحو والروض يتحرك ، والربيع يضحك ويغني فضلاً عن الموسيقا الحالمة الرقيقة ، وهو يناجي ملهمته:

بسمة العمر : صحا الفجر كحلم عاطر
واحتوى الروض شعاع من جناحي طائر
ينشر الفتنة والشعر وأنس الحائر
أخت روحي: مثل هذا الحسن لم أسمع أنا
فيه قيثار وعطر وشباب وجني
فيه ما يفتن من زهر وجام
وربيع ضاحك البهجة سامي
وأنا فيه أغني لا بتسامي

وهو يجعل الفجر إنسانًا يصحو متألقًا والزهور تهمس وتناجي :

وصحا الفجر وضي المهد رفاف العبير
وسرت في بسمة الإشراق همسات الزهور
وانثنيا للوداع وأفقنا للمسير

وفي هذه الأبيات تبرز رقته وعذوبته واحتواء شعره على قسط وافر من

النغم والموسيقا ، فضلا عن توافق الكَلمات وانسجامها مما يجعله خليفة الملاح التائه في الشعر الغنائي التصويري :

وغفا اللحن فضمتنا الأماني الغافيه

واحتوتنا نشوة سكري .. ودنيا شاديه

مهجة تهتف للحب وأخرى حانيه

يا ربيب العطر يا روح السنا

طابت الليلة فاملأ واسقنا

وأدرها لثمة منك ومني شفتين

ثم هات .. فأنا سمع وأصداء وعين

إن أحمد خميس يجيد فن التصوير الشعري Poetic Imagery بفن وأصالة واقتدار .

إننا نجد في شعر أحمد خميس الوجدان الرومانسي للشاعر متلاقيا مع التعبير الرمزي ليعبر عن تجاربه تعبيرًا مليئًا بالصور الشعرية والإيحاءات الغنية الموحية الخصبة .

إن شعره الذاتي تعبير أصيل وصادق عن أحاسيسه ومشاعره وعواطفه ووجدانه ، فالنظرية الرومانسية ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعر تركز على العالم الداخلي للشاعر ، وقوة الخيال الخالق هي البوتقة التي تنصهر فيها كل عناصر هذا العالم من ذهنية وشعورية .

ولقد ظل أحمد خميس يجسد لنا شاعر الوجدان الذاتي ، يصور لنا تجاربه الوجدانية والنفسية والشعورية بصدق وأصالة مغلفين بروح الخيال الرومانسي من حزن وشكوى وأسى وأنين وتمرد.

ومن خصائص الرومانسية الحزن الخفي والأسى ، وشاعرنا يتغنى بأساه وحيرته الخالدة في هذا الوجود ، ويصور لنا نفسه كطائر جريح على غصون

الحب ، يداوي بنفسه جراحه ، ويشدو لروحه بما يروح عن نفسه .

ومن أصدق قصائد أحمد خميس تعبيرًا عن ذاتيته ومشاعره وأحاسيسه وسماته النفسية والشعورية والوجدانية والذوقية قصيدته «الحيرة الخالدة» ، التي هي أحمد خميس بذوقه ومشاعره وحبه وحيرته .

يصور لنا في مناجاة مع محبوبته سر أساه وحزنه الخفي ، ويفصح لها عن أسرار قلبه وسرائر روحه ، فيصور لها وحدته وغربته الروحية في بيداء الوجود ، فيقول :

أنا يا فتنة الدنيا ويا رجع الأناشيد

شراع تاه في بحر شريد الموج عربيد

بشطيه خيالاتي وأحلامي وتغريدي

تناديني نداء الحب للعشاق والغيد

ثم يقول لها: إنه لحن جميل ولكنه لا يصدر إلا النغم الحزين الشجي :

أنا لحن على قيثارة الحرمان والشعر

أنا ساق تناستني كؤوس الحب والخمر

أنا زهر وهبت الروض ما حملت من عطر

أنا الغريد في شجوى ولكن ليتني أدري

ثم يصور ظمأه الروحي وحنينه الغلاب لعروس شعره ، التي يرتل في محرابها ألحان الحب والغزل ، كأنه راهب في معبد الحب والجمال :

أنا والفكر والأوهام ... سمار بأعتابك

وبي من لهفة الظمآن أشواق لأكوابك

أنا والعمر والنجوى . مصلون بمحرابك

ولي في الفجر والأنداء تذكار على بابك

وتبلغ ذروة تصويره لغربة روحه وأحزان نفسه ، في هذه اللوحة التي يصور فيها روحه المرحة المبتهجة وقد تاهت وسط بيداء الأشواك والأحزان :

كما طافت على الشمس ترددت في سرى الماء

دعتهـــا فرحـــة الـــدنيا إلى ورد وأنـــداء

فـضلت عــبر أشــواك وكثبــان وحــصباء

شاعر الوجدان القومي

بعد بزوغ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تطلعت القلوب إلى مرحلة جديدة في عمر مصر ، فيها الحرية والعزة والكرامة ، فاستوحى شاعرنا من هذا الحدث قصيدته الروابي الخضر التي كانت قصيدة حب مشبوب لمصر ، ضمنها أماله لمصر الغد وقد تجلت فيها أبرز خصائص شاعريته وهي الرقة والعذوبة والصدق الفني والابتكار والأصالة فضلاً عن براعة الصور الشعرية وحيويتها ، فهو في هذه الأنشودة الوطنية التي يتغنى فيها بحب مصر لا يصخب ولا يرتفع صوته بالضجيج والصوت العالي بل نجد فيها نبرة عاطفية هادئة ، فجاءت قصيدته صادقة ومعبرة عن مشاعر أحمد خميس وأحاسيسه الدافقة نحو مصر لأن هذه الأنشودة هي أحمد خميس عاشق مصر ومشاعره وأصالته ووطنيته :

يقول في مطلع هذه القصيدة :

يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الفناء

والروابي الخضر تشدو والسنا حلو الرواء

والأماني هتاف عزفته الضفتان

فجرى في مقلة الأرض وفي قلب السماء

ثم يصور كيف جثا التاريخ بكل جلاله وشموخه ليستروح أمجاد مصر التليدة فوق روابيها الخضر :

وجثا التاريخ يستروح أمجاد الغد

فوق واد عاطر التربة ، فياض النماء

فأفاقت مصر ، شطآنا وعشبا ونخيلا

تنفض الظلمة عن فجر عزيز الكبرياء

ثم يخاطب مصر بقلب محب عاشق لترابها يدعو الله أن يحفظها من كل سوء وخطر في هذا الموقف العصيب ومصر تستقبل فجرها الجديد الباسم :

درة الشرق .. رعاك الله ما دام وجود

ورعى شعبا عريق المجد موفور الإباء

وأقام العز خفاقًا بواديك الحبيب

خالدا في صفحة الأيام .. في عمر البقاء

فانهلي يا مصر من إشراقة العهد الرغيد

واسلمي يا مصر تفديك قلوب الأوفياء

في هذه المرحلة انطلق أحمد خميس إلى آفاق أرحب ، وتنوعت أغراض قصائده ، فتغنى بروابي مصر الخضر وانطلاقتها الجديدة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م، وأصبح شعره أكثر عمقًا وتنوعًا خاصة بعد سفره إلى ألمانيا عام ١٩٥٥م للعمل بإذاعتها العربية حتى عام ١٩٧٣م ، حيث عاد مع عبور قواتنا المسلحة ، وعاد معه الشعر مرة أخرى .

وقد أصدر الشاعر ديوانه الشعري الأول «الروابي الخضر» سنة ١٩٩٥ والذي حمل اسم أحد روائعه التي تغني بها الموسيقار محمد عبد الوهاب سنة ١٩٥٤ واحتوى الديوان على عدة قصائد قليلة هي «الروابي الخضر - أواه - المعادي - رقصة - دم العشاق - حكاية من الصين - هنا القاهرة » أما بقية الديوان فقد اشتمل على ١٣٢ رباعية سماها «رباعيات الروابي» عكست فلسفة أحمد خميس ومشاعره وأحاسيسه ورؤيته للحياة والناس والوجود وقد استقبلت الأوساط الأدبية هذا الديوان الأول للشاعر بالترحيب والتقدير والفرحة بعد أن طال انتظارهم لصدور ديوانه .

وإذا كان أحمد خميس مقلاً في شعره ، فإن تمسكه بالأصالة والجمال والقواعد الأساسية جعل مثل هذا الشعر هو الشعر الصادق الأصيل المعبر .

فكتب الكاتب الكبير أنيس منصور في باب «مواقف» بالأهرام يقول [1] :

« شاعرنا الممثل أحمد خميس صدر له ديوان بعنوان «الروابي الخضر» وهو اسم القصيدة التي غناها محمد عبد الوهاب . وفي الديوان «رباعيات الروابي» وعددها ١٣٢ اقرأها وانس «رباعيات الخيام» فكل شاعر له مجال ومآل ، وله أوجاع وإبداع . ورباعيات أحمد خميس هادئة النبرة ، سهلة التدفق ، صوفية رومانسية :

آه يا قلبي .. وآه يا هوى

عاشق .. دربي على الأشواق طال

أترى أقوى على هذا الجوى

بعدما أصبح حالي ألف حال

أما قصيدة «الروابي الخضر» فإن كنت لا تعرف فهي التي تقول :

يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء

فالروابي الخضر تشدو والسنا حلو الرواء

أما في الحب والعشق والغزل فهو ذئب خجول وهو يختار من بحور الشعر أطولها وأفخمها وليس في عجلة من أمر الحب والمحبوبة :

حين ناداني رضيًا وهو يلقى قدحين

قلت أهلا فتثنى ورنا

وتبدي لي الرفيق المجتسنا

نظرة ثم دعاني قائلا في همستين

أيها المفتون ماذا لو شربنا قدحين

قلت : هات فأنا سمع وأصداء وعين

---

(١) الأهرام ٥ سبتمبر ١٩٩٥ .

والشاعر أحمد خميس ينتسب في الشعر إلى الشعر الكلاسيكي الفخم مهما كان المعنى والأمثلة . إنها لا تعرف إلا الأكواب الكبيرة والأنفاس الطويلة ، وإلا الصبر وإلا الحياء فليكن .. ولكنه شاعر «كريستالي» العبارة والمعاني .

وكتب صلاح منتصر يقول عن الديوان :

«ليس فقط لأنه فنان يجيد التمثيل ولكنه أيضًا شاعر مرهف الحس والكلمة العذبة ومنها كلمات أغنية محمد عبد الوهاب الشهيرة «الروابي الخضر».

والفنان أحمد خميس بدأ حياته مذيعًا في جيل الرعيل الذهبي في الإذاعة واشتغل هاويًا للتمثيل يختار الأدوار الخاصة إلى جانب ذلك كله نظم الشعر الرقيق كلمة ومعنى .

وفي ديوانه «الروابي الخضر» نشر رباعيات كثيرة تكون مسلسلاً جميلاً متتابعًا.

ويبدي الناقد الفني عبد الفتاح البارودي تقديره للشاعر أحمد خميس كشاعر استطاع أن يغني في ديوانه من خلال التعبير الملتزم بكل قواعد الشعر فيقول:

«وهنا أذكر أن الموسيقار محمد عبد الوهاب هو صاحب هذا الوصف ، وهو الذي قال إن الشاعر أحمد خميس يغني في شعره » وهذا هو سبب اختياره لتلحين وغناء قصيدة «الروابي الخضر».

«وفعلا أنا أسمع عبد الوهاب يغني وأحمد خميس يغني كلما سمعت «يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء » وكلما سمعت «درة الشرق .. رعاك الله ما دام وجود» أيضًا أنا أسمع أحمد خميس يغني كلما سمعت :

أو تدري أننا نحيا دمي

مسرحيون ولكن بلهاء

لاعب الملهاة قلبا وفما

هو أستاذ المآسي والشقاء

« صحيح إنه هنا يتحول إلى شاعر مفكر أو شاعر يتفلسف ولكنه يظل يغني وهو يتفلسف وهو يؤكد ذلك عندما يقول :

مـــا أعـــاد الـــدمع يومـــا باســـما
لجهـــول أســـلم الـــدهر الأمـــان
وأنـــا مـــا عـــشت غـــرا إنـــما
حكمـــة العمـــر وحـــزني توأمـــان

ثم أكرر تحيتي للشاعر الذي قال :

قبـــل بـــدء البـــدء يـــا ألله كنـــت
بعـــد كـــل الكـــل لـــن يبقـــى ســـواك
إنـــما الأول والآخـــر أنـــت
قـــد حويـــت الكـــل لا شيء حـــواك

أما محمد عبد المنعم خفاجي فيرى في ديوان «الروابي الخضر» لهيب الحب والحزن وغناء النيل والوطن ، فيقول [1] : شاعر الروابي الخضر ، وما أشجاه من شاعر ذاق لهيب الحب والحزن ، وغنى طول حياته للنيل والوطن ، وهتف في أناشيد حلوة للحسن والشجن ، وعاش مع الغيد الجسان محرومًا ، ومع الطبيعة والكون والحياة مبهورًا ومسحورًا في استغراق ذهني عميق . لنستمع إليه في قصيدته «هنا القاهرة» وهو يقول :

ويهتـــف بي .. هـــا هنـــا القـــاهره
فهـــزى فـــؤادك يـــا شـــاعره
ومـــدى إلى الـــشمس روح المـــشوق
وعبـــي ســـنا الجنـــة الآسره

---

(1) الأهرام ٢١ أبريل ١٩٩٥ .

أحاديــــث ليـــست بيـــدء الحـــديث
وأنباؤنـــــا مالهـــــا آخـــــره
ويـــأتي الزمـــان ... ويمـــضي الزمـــان
وتبقـــى عـــلى الـــزمن القـــاهرة

وبهذا النغم الجميل، والفكر النبيل، والصور الفاتنة، يحدثنا الشاعر الأبوللي، أحمد خميس، في ديوانه الجديد، «الروابي الخضر» حديث المصري المشوق إلى وطنه، المعتز بمصريته ..

ويمضي الشاعر في قصيدته، ليقول :

هنـــا عـــانق النـــور طفـــل الزمـــان
وشـــبت بـــين الـــضفتين الحيـــاة
لتـــصنع أيامنـــــا البـــــاهره

ويستمر في حديثه، طيلة خمسة وأربعين بيتًا، تمثل نشيدًا وطنيًا رفيعًا، في غناء وجداني من الأعماق. وهتاف بوطن المجد والخلود والحضارة، وما أعرقه من وطن، وأعزه من تاريخ .. القصيدة أغنية جميلة حقًا.

و «الروابي الخضر» آخر دواوين الأبولليين الرومانسيين الحلوة صدرًا، ومطلع قصائد الديوان قصيدة تحمل هذا العنوان، وتمثل روح المصري المملوءة بالشموخ والكبرياء، وبالأماني الجميلة لوطنه الخالد العظيم .. وفي الديوان يتلفت الشاعر إلى وجدانه، إلى روحه وقلبه، ومشاعره الهاتفة بالحب، في صدق عاطفة، ليحدثنا ويعزف، ويهتف للحب في قصائده :

أواه - المعادي - دم العشاق - حكاية من الصين، رقصة، في لوعة العاشق، وحيرة المحب، ولوعة المحروم.

أمـــسى فـــأغبط لـــيلاتي عـــلى حلـــم

واه .. وأنــــشر أوهامـــا وأطويهـــا
لـولا الهـوى مـا هـوى المجنـون مـن ولـه
ولا تـــشفع في لـــيلى تجافيهـــا
ولا أبـــيح دم العـــشاق مكرمـــة
ولا تـــرنم خلـــف البيـــد حاديهـــا

ولكنه في غزله وحبه ، لا ينسى وطنه ، يذكره ويتذكره فنراه يقول لحبيبته ، وهو في قمة الشجي :

أرأيــت النيــل يحكــي قــصة للــشاطئين
عــن ليــال مــا رآهــا قبلنــا مــن عاشــقين

صور الشاعر في «الروابي الخضر» فيها خيال علي محمود طه وموسيقى صالح جودت ، وأحزان إبراهيم ناجي وبكائيات الشابي ، وفيها قبل كل شيء فن أحمد خميس الأبوللي ، الذي سار على درب تجديدات الأبولليين في القصيدة .. ونراه يختار لموسيقاه أجمل الأوزان ، وأطوعها للغناء: مجزوء الرمل ـ الرمل التام ـ مجزوء الكامل ـ البسيط ، المتقارب ـ المتدارك . وينتقل بنا الشاعر إلى رباعياته ، «رباعيات الروابي» البالغة اثنتين وثلاثين ومائة رباعية ، تحكي فكر الشاعر وفلسفته وروحه وعقله وآراءه في الحياة . فنسمعه يقول في رباعيته الرابعة بعد المائة :

لا تـــرد قـــصرًا ، ولا تـــسأل فـــلاه
أيهـــا المخلـــوق مـــن طـــين ومـــاء
أن مـــا تبنيـــه مـــن عـــز وجـــاه
ســـوف تهديـــه لأنيـــاب الفنـــاء

فيدعونا إلى الزهد والرضاء بما قسم الله والقدر في هدوء الزاهد ، وقنوت العابد ، ولكنه ما يلبث أن ينتقض لاستقبال الربيع والحياة .

الشاعر الرومانسي

بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) سادت مصر موجة من الرومانسية الحالمة نتيجة لظروف المجتمع وقتئذ ..

كانت ظروف المجتمع السياسية والثقافية والاجتماعية سيئة في مصر في تلك الحقبة وكان الشباب الطامح يرى هذه الأوضاع ، ويرى نفسه عاجزًا عن تغييرها بسبب قهر الاستعمار وجبروته ، فيشعر بالحزن والأسى والإحباط .

وسادت الرومانسية مصر منذ عشرينيات القرن العشرين، واتخذ الأدباء الرومانسية ملجأ وملاذًا يهربون إليها من هجير الحياة ومرارة الواقع الذي كانوا يعيشونه في تلك الحقبة ويقاسون منه.

فالنظرية الرومانسية Romanticism ترى أن الشعر هو تعبير عن المشاعر وتركز على العالم الداخلي للشاعر .

«أن عالم الشاعر الداخلي عالم واسع ، فهو يشمل الحالة الذهنية لديه ، كما يشمل المشاعر والأفكار ، وطاقات الحدس والإدراك .

«وقوة الخيال الخالق هي البوتقة التي تنصهر فيها كل عناصر هذا العالم من ذهنية وشعورية ، وهذه القوة هي التي تعدل من هذه المشاعر ، وتنظمها ، وتجمع أشتاتها ، وتصنعها في النهاية في قالب متلاحم متجانس هو العمل الشعري ، والشعر ، إذن تعبير عن العالم الداخلي أو لنقل العالم الخارجي كما ينعكس في نفس الشاعر ، وذلك بعد أن تنظمه قوة الخيال الخالق عنده تنظيمًا فنيًا»[1] .

* * *

(1) د . محمود الربيعي ، في نقد الشعر ١٩٧٤ ، ص ٩٠ .

إن من أبرز سمات الرومانسية كما تجلت في شعر أحمد خميس التركيز على الأسطورة والرمز في التعبير الشعري والذاتية والهرب من الحياة وعبادة الحسن وتقديس الجمال واللجوء إلى الطبيعة باعتبارها كائنًا حيًا، هربًا من هجير الحياة ومرارة الواقع وقد انعكست كل هذه السمات في شعر أحمد خميس وتمثلت في عدة اتجاهات فنية :

الاتجاه العاطفي:

وهذا الاتجاه يدور حول الحب والحنين واللهفة العاطفية والعتاب والغزل الحسي والعذري وقد أبدع شاعرنا في شعر الحب love poetry إبداعًا متميزًا.

يناجي أحمد خميس حبيبته وملهمته ورفيقة عمره الحلو كما سماها ليضمها بحنانه وحبه وأشواقه بين ذراعيه :

ربيبــــة هـــــذا الـــــسنى العــــاطر
تعـــــالى إلى صـــــدري الــــشاعر
وهـــــزي جناحيـــــك في ســـــاعدي
عـــــلى رعـــــشة النـــــدم الغـــــافر
فـــــما زلـــــت أقـــــرأ في مقلتيـــــك
حنينًـــــا إلى أمـــــسنا الغـــــابر
ومـــــا زلـــــت في خـــــاطري طفلـــــة
تلـــــوب عـــــلى قلبـــــي الثـــــائر

إنه هنا يستعيد ذكريات الأمس البعيد، حيث الشباب واللهفة والحنين المشبوب، وثورة العواطف الملتهبة، مع محبوبته التي ما زال يحبها حبًا هادئًا رصينًا بعد أن هدأت المشاعر المضطرمة وخفتت ثورة العواطف :

تعـــــالى إلى خفقـــــات الحنـــــين

تهدهــــــد أحلامــــك المجهــــده

تعــــالى إلى لثمــــة في الجبــــين

ألم بهـــا الخـــصلة المبعــــده

أقـــام الـــصباح لهـــا موعـــدًا

لتـــشرب مـــن مقلـــة مـــسهده

ونـــام العبـــير عـــلى ليلهـــا

ليطلـــق في موجتيهـــا يـــده

لكن يعود ليدعوها ليملأ كأس الشباب المضطرم حبًا وأشواقًا وأحلامًا وأغنيات هوى حنينًا لأمسها الغابر الجميل :

تعـــالى .. لـــنملأ كـــأس الـــشباب

بخمـــرة أشـــواقنا الـــضارجه

تعـــالى لنفـــتح قلـــب الربيـــع

بأقـــصوصة للهـــوى ســـاذجه

تعـــالى فـــما العمـــر إلا خيـــال

تلونـــه اللمـــسة الهازجـــه

وشاعرنا الرومانسي يعيش في أجواء من الأنغام والسحر والجمال مع أطياف العطور والنشوة والموسيقا فيسبح مع ملهمته في سبحات الخيال لا يفيقان من نشوة الحب والنجوى رغم شروق الفجر مع زقزقة العصافير وأنفاس الورود[1]:

يا حبيبي قد صحا الورد وما زلنا سكارى

(1) الهلال ، قصيدة الشروق ، ديسمبر ١٩٤٩ .

وتهـادى العطـر فياضًـا بأنفـاس العـذارى

والكؤوس الحلوة الشقراء في لهف حيارى

تتهــادى بــين ثغرينــا كأطيــاف المنـــى

ملؤهــا شــوق الليــالي وخيــالات الـصبا

في حناياهـــا أمـــان ، آه لـــو دامـــت لنـــا

وبـــدنياها خلـــود مثـــل أفـــراح الربـــا

أنـــت نـــشوان عـــلى صـــدري تميـــل

وأنـــا الـــسابح في الحلـــم الجميـــل

إنه يعيش في أجواء الطبيعة الساحرة مع محبوبه فيحس أن كل ما حوله يشاركه فرحته بحبيبه بل يردد معه نداء الحب والنجوى والوصال :

يـــا حبيبـــي كـــل مـــا حـــولي نـــاداك ... حبيبـــي

يـــا نجـــيَّ الزهـــر والأنـــسام والعـــشب الرطيـــب

فاصح يا بن الذكريات البيض والكأس الطروب

طـــر عـــلى النهـــر وغـــرد بجنـــاحي شـــاعر

وابتـــسم للحـــب وارقـــص بـــين أوتـــار الـــسنا

واســـتمع لحـــن الحيـــاة العبقـــري الـــساحر

وادعـــا يـــسري مـــن الخلـــد ليهفـــو حولنـــا

أنـــت نـــشوان عـــلى صـــدري تميـــل

وأنـــا الـــسابح في الحلـــم الجميـــل

إن أحمد خميس بحسه الأبيقوري العاشق للحسن والجمال يود أن يغيب عن صعاب الحياة ليستغرق في عالم من سحر الحب والهوى يتبادل كؤوس الشوق والنجوى والشعر مع ملهمته الحسناء وسط أجواء الربيع الساحر قبل أن تذوي

زهور الحسن والجمال :

يا صاحبي قد غفا الدهر ، فهاتوا الخمر هاتوا

ودعوا الأوهام تمضي قبلما تمضي الحياة

كيف نقضي مثلما تذوي الورود الظامئات

بيننا في العمر كأس وعيون حالمات

***

وشفاه ضاحكات تتغنى بالربيع

وتشيع السحر والنشوة في اللحن الرفيع

يا أخا الأحلام هيىء خمرنا

واسكب الأشواق في كأس المنى

فالهوى والشعر والنجوى لنا

ولا تجد في غزليات أحمد خميس ذلك الشعر الحسي الملتهب الذي نجده مثلاً في بعض قصائد علي محمود طه وصالح جودت وأحمد زكي أبو شادي ، بل نجد تلك الروح الرومانسية الحالمة التي تجد في مناجاة الحبيب وفي الغزل العفيف الري والزاد مثلما نجده مثلا في قصيدته «الشاطئ الظامئ» التي تحفل بمشاعره المضطرمة الصادقة وعاطفته التي تفيض حبًا وعشقًا ووفاء للحبيب الشارد البعيد وهو يستعيد ذكريات الصيف الغابر :

أقلبت في ترف الجمال وفي تجني سحره

وجمعت لي كرم الربيع وكنت أكرم زهره

وفرشت دربي بالعبير وكنت أشهى عطره

وبعد رحيل الصيف وتفرق الأحباب لا يجد شاعر الروابي في الشاطئ المهجور سوى أحزان قلبه المجروح الظامئ لليالي الحبيب الهاجر بعد أن أقبل الخريف بزهوره الجافة الذابلة :

راحت ليالي الصيف يا حسناء وانفض السمر

ومواكب العشاق لا ترجو وداعًا أو سفر

هذا عصى الدمع يخفيه وهذا ما صبر

والشاطئ المهجور تبكيه العيون الراحله

لتمد أذرعها سحابات الخريف الآتيه

وأنا .. وسهدي والليالي العاويات الذابله

لم يرتحل عنا الوفاء ولا البقايا الباقيه

لنظل نرعى ذكريات الموعد

في ليلة نامت يداك على يدي

أو تـــــــذكرين ؟

الاتجاه الوصفي:

كانت الطبيعة ملجأ للرومانسين باعتبارها كائنا حيا ، وقد حفل شعرهم بالصور الشعرية المستوحاة من الطبيعة والتي تجسد امتزاجهم بها وتفاعلهم معها، فأكثروا من التشخيص Personification لمظاهر الطبيعة .

يشخص أحمد خميس الطبيعة الصامتة حوله ، فيراها ضفافًا تغني للحب والنجوى وهي تنثر على أمواج البحر ورمل الشاطئ كل ألوان السحر الهامس الذي يذكره بليالي الحب والنجوى على شاطئه المسحور :

يا ضفاف الحب هل حيتك أطياف المغيب

وتراءت مثل شقراء تغني لحبيب

تنثر السحر على الأمواج والرمل الرطيب

صور من خفقة الماضي وذكرى من لقاء

وبقايا نشوة راحت ودنيا وصفاء

فيشخص أحمد خميس الطبيعة أمامنا كائنًا يسقيه النور والحسن والجمال :

خطـــرت كـــالحلم في جفـــن الليـــالي

حـــين سرنـــا فـــوق واد مـــن خيـــال

نـــشرب النـــور ونهفـــو للظـــلال

ثم يصور لنا كيف خطرت صورة حبيبه عندما ولى الليل كالحلم الجميل :

كل ما في الليل ولى وخبا الضوء العليل

وخيالات المنى راحت مع الفجر تميل

ومضى العشاق في أعينهم حلم جميل

ويبلغ التشخيص ذروته عند شاعر الروابي فيرى في الطبيعة حوله موكبًا للسحر والجمال والغناء والأشواق وكأن الكون يصغى لأنشودة الطبيعة الغناء :

يا صحابي .. رددوا أنشودة القلب الطليق

واسمعوا رجع الأماني من رفيق لرفيق

فهنا في موكب السحر ومغناه الأنيق

كل ثغر فتنة تغرى وكأس من رحيق

والربيع الطلق صداح كحوراء الخيال

هاجها الوجد فغنت ذات ليل من ليال

يـــا أخـــا الأحـــلام هيـــئ خمرنـــا

واســـكب الأشـــواق في كـــأس المنـــى

فـــالهوى والـــشعر والنجـــوى لنـــا

فهو بحسه الرومانسي الحالم يسمع أناشيد الزهر والضفة الخضراء التي تشاركه حبه وسعادته مع ملهمته وكأن الدنيا كلها تبارك حبه :

يا صحابي ... هذه النبأة من فرح السماء

طاف بالروض نداها فتغني للنداء

وأحمد خميس الشاعر الرومانسي الحالم يرتبط الحب والغزل والوصال عنده بالطبيعة الجميلة : من بحر ونهر وورود وأشجار وأنسام ، أنظر كيف يصف تلك اللحظات الشاعرية مع ملهمته على شاطئ البحر وسط الطبيعة الغناء وهو يسبح معها في عالم من سحر الخيال في زورق حالم يخفق على صدر الماء المسحور:

يا حبيبي قد بدا الشاطئ في نهر الخيال

وترامى الموج مشتاقًا إلى صدر الرمال

وتغنى الزهر للفجر بأسرار الليالي

مرت الأنسام تلهو بالشراع الخافق

ضاحك الأنوار مطولاً بأنداء الصباح

طيع المجداف منسابًا كحلم شيق

هو رؤيا الحبيب وعناق ومراح

وهو حين يخاطب ملهمته يمزجها بالطبيعة الغناء حوله :

يا حبيبي ، كل ما حولي ناداك : حبيبي

يا نجي الزهر والأنسام والعشب الرطيب

فاصح يابن الذكريات البيض والكأس الطروب

طر على النهر وغرد بجناحي شاعر

وابتسم للحب وارقص بين أوتار السنا

واستمع لحن الحياة العبقري الساحر

وادعا يسري من الخلد ليهفو حولنا

الاتجاه الإنساني:

كان من أبرز سمات أحمد خميس ذلك التسامي الروحي والرحمة الإنسانية وصفاء القلب والتفاعل مع عذابات البشر دون نظر إلى جنس أو لون أو عقيدة .

وقد تجلت نظرة أحمد خميس الإنسانية منذ مطالع شبابه وعبر عنها في قصائده المبكرة مثل قصيدته «خطيئة البشر» التي يحتوي فيها ذلك الضعف الإنساني ويأسى لخطايا البشر وضعفهم ، يقول عن بعض نماذج من البشر [1] :

علـــى غـــابهم تقـــشعر الـــذئاب

وأنفاســـــهم شـــــهوه عاتيـــــه

بكـــــل قـــــوانين عـــرف الـــدمار

يـــــشيدون دنيـــــاهم الواهيـــــه

كـــــأنهم خلقـــــوا للفنـــــاء

علـــى مـــذبح النـــزوة الفانيـــه

ومـــــا آدميـــــتهم للثـــــرى

ســـوى زفـــرة الجـــذوة الخابيـــه

ويأسي لذلك التائه في بيداء الوجود ، وهو يبحث عبثًا عن سر الخلود :

أيهـــا التائـــه في كنـــه الوجـــود

فاتـــك العمـــر وأضـــناك المـــدار

عبثًـــا تـــسعى إلى سر الخلـــود

يـــا مقـــيم الليـــل بحثًـــا والنهـــار

وهو حين يزور الصين ويلتقي في مطلع التسعينيات من القرن العشرين «لان ديه » الفاتنة الصينية التي التقاها عند سور الصين العظيم يتجاوب معها

(1) الهلال ، قصيدة خطيئة البشر ، يناير ١٩٥٣ .

إنسانيًا ووجدانيا وينشد معها أنشودة الصباح الوليد المشرق [1].

ما كنت إلا شاعرا أضنى الهوى ترحاله

فأرحت أشواقي وجئت إلى صباك لأنتمى

ما ضاقت العينان يا «لان ديه» إلا فتحت

قلبًا تباركه الرحابة للغريب المنعم

يا ألف موسيقى الحياة على رقائق ضحكة

رنت وشفت .. واستراح الجرس فيها يحتمي

عزف الشباب لوقعها أغنية العمر الطري

وأنا أبحت على صداها كل نبض في دمي

وفي حسه الإنساني يدعو الناس أن تحيا منطلقة كفراشات الزهر تجني العسل والحب والجمال:

عش كما تحيا فراشات الزهر

تلثم العطر وتلهو بالسنا

ما تراها بين أهوال السفر

تمزج النور بمعسول الجني

الاتجاه القومي:

يجسد أحمد خميس عشقه لوطنه مصر والتغني بأمجادها وتاريخها العريق مواكبًا أحداثها وقضاياها ومعاركها من أجل الحرية والاستقلال والتقدم وقد بدأ هذا الاتجاه بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ حين بارك قيام الثورة بقصيدته «الروابي الخضر» التي كانت لونًا هادئًا من ألوان القصائد الوطنية فهو لم يصرخ ويدق طبول الفرح والثورة بل حول فرحته بالثورة وأمله في غد مشرق جميل إلى

(1) ديوان الروابي الخضر، ص ٢٨.

أنشودة حب لمصر وروابيها الخضراء الفيحاء ويحيى نعني لها بعد أن جثا التاريخ يستروح أمجاد الغد المشرق على أرض مصر الخالدة [١] :

وجثا التاريخ يستروح أمجاد الغد

فوق واد عاطر التربة فياض السناء

فأفاقت مصر .. شطآنا وعشبا ونخيلا

تنفض الظلمة عن فجر عزيز الكبرياء

وفي العام التالي يقدم لمصر نشيد البعث الجديد الذي يتغنى به الموسيقار فريد الأطرش في احتفال حاشد بميدان التحرير في القاهرة ضمنه آماله وطموحاته لمصر الغد في هذه المرحلة المفصلية التي استبشر بها الناس خيرًا بعد قيام ثورة ١٩٥٢ ، فيقول [٢] :

بني مصر قد لاح فجر المنى

وسارت إلى النصر أيامنا

فضموا سنا الشمس في أرضنا

وغنوا مع النور هذا النشيد

بني مصر قد راح ليل العبيد

فكونوا لمصر الضياء الجديد

ويهيب بشعب مصر أن يتسلح بالعلم والأخلاق لمستقبل مشرق لمصر الغد:

بني مصر بالعلم نغزو الحياة

وبالخلق السمح نرضى الإله

فكونوا هداة ، وكونوا أباه

---

(1) ديوان الروابي الخضر ، ص ٧ .

(2) الهلال نوفمبر ١٩٥٣ .

وكونوا على الأرض شعبًا يريد

ويهتف : قد راح ليل العبيد

فكونوا لمصر الضياء الجديد

ويضيء قلب أحمد خميس بالأمل في غد مصر الزاهر المشرق فيقدم أغنية الضياء لمصر التي تتغنى بها نجاح سلام بألحان الموسيقار أحمد صدقي[1] :

ضياء من الشرق هز الضياء

فغنت له جنبات السماء

وطوف بالأرض من قدسه

هتاف على النيل حلو النداء

ودقت شعاعاته كل باب

فألقت به الخفقات الوضاء

جرى .. فالضفاف ينابيع نور

أفاضت على موعد ولقاء

ثم يعدد مسيرة ضياء الفجر البازغ بين مصر وسوريا :

يدق عن الفجر قيد الليالي

ليرفع عن مقلتيه المساء

ينير الطريق .. طريق السهاري

ويعزف للنصر لحن البقاء

ويعبر كل حدود المحال

فكل حدود المحال هواء

(1) من شعره المخطوط ، قصيدة الضياء الجديد .

يقـــــول وصـــــيحته كبريـــــاء

أنـــا الحـــب والحـــق والكبريـــاء

لـــه قبلـــة المجـــد كـــل صـــباح

وكـــل صـــباح لنـــا الخـــيلاء

بـــلادي جـــرى العـــز في ضـــفتيك

وطـــار الـــصباح إلينـــا وجـــاء

بـــلادي ســـيهتز فيـــك الربيـــع

ويختـــال فـــوق ربـــاك الـــضياء

ضـــياء مـــن الـــشرق هـــز الـــضياء

ويشارك أحمد خميس في جميع الأحداث الوطنية بشعره الغنائي النابع من قلبه ، فيقدم نشيد الكلية الفنية العسكرية الذي لحنه الموسيقار محمد عبد الوهاب وفيه يقول :

سنمـــــضي وتعتـــــز أيامنـــــا

وأنـــــشودة النـــــصر في خطونـــــا

ونقـــــسم يـــــا أرضـــــنا أننـــــا

فـــــداء لمـــــصر بأرواحنـــــا

بـــــوعي انطلاقاتنـــــا الثـــــائرة

ويحيى أحمد خميس موكب النصر والعزة والكبرياء في مصر :

مـــع الفجـــر هـــذا ضـــحانا يـــسير

يـــضم الـــصباح عـــلى أرضـــنا

وللموكـــب العـــربي الكبـــير

هتـــاف تـــدفق مـــن عمرنـــا
ونحــن الأبــاة ونحــن الحــماة
ونحــن مــع الفجــر فجــر يــسير
يــضم الــصباح عــلى أرضــنا

وعندما تقوم الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨ تتدفق مشاعره في أنشودة موكب الخالدين التي تغنت بها سعاد محمد بتلحين الموسيقار رياض السنباطي ، حبًا وصدقًا وأملاً في مستقبل مشرق للعروبة :

أقبــل نــدىًّ الغــار حلــو الموكــب
واسكب رحيـق النـور للفجـر الـصبي
واخطـر عـلى هـذى الـضفاف وطـر بهـا
ركبًــا مــن الإشراق واللحــن الأبي
النيــل دفــاق العبــير مغــرد
والخلــد في بــردي صــدى المترقــب
يمـلي حـديث الـشرق فاسـمع يـا زمـن
ولتقــرأ الــدنيا لنــا ولتكتــب

ثم يبارك لقاء الأخوة الأشقاء بزعامة جمال عبد الناصر :

أقبــل ســلاح الحــق إن ضــفافنا
نهــضت رماحًــا مــشرعات للفــدا
في النيــل في بــردي هتــاف أحبــة
يــشدو بأنبــاء الــسلام المفتــدي
فــإذا العروبــة مقبــل ومــصافح

وإذا الـــشتيت يعـــود قلبًـــا ويـــدا

وإذا العروبـــة أنـــت قـــد وحـــدتها

ونـــسجت أنـــت لبرديتهـــا الموعـــدا

في حب مصر:

كان أحمد خميس عاشقًا لمصر .. يرى الجمال في كل بقعة فيها .. فتغنى بجمال مدنها ومعالمها التاريخية والسياحية ، كانت القاهرة عاصمة مصر بكل تراثها الحضاري والمعماري والتاريخي ومكانتها التاريخية وموقعها الإستراتيجي ، وما ترمز إليه كعاصمة للشرق وعاصمة لمصر درة هذا الشرق كمنارة للحضارة .

يتيه أحمد خميس ويباهي بالقاهرة بكل تراثها ومكانتها وقيمتها الحضارية والتاريخية مع محاورته لملهمته الغربية فيروي لها تاريخ القاهرة وماذا تعني وماذا قدمت للحضارة الإنسانية :

أقـــول لهـــا .. ههنـــا القـــاهره

فهـــزي فـــؤادك يـــا شـــاعره

ومـــدى إلى الـــشمس روح المـــشوق

وعبـــي ســـنا الجنـــة الآسره

ودوري عـــلى ســـبحات الفتـــون

مفتحـــة القلـــب والبـــاصره

أحاديـــث .. ليـــست ببـــدء الحـــديث

وأنباؤنـــا مالهـــا آخـــره

ويـــأتي الزمـــان ويمـــضي الزمـــان

وتبقـــى عـــلى الـــزمن القـــاهره

وبعد أن يسرد للملهمة مكانة القاهرة وتاريخها وحضارتها يختتم حديثه

معها بقوله :

أقــــول لهـــا .. هكــــذا القـــاهره
وتــــــاريخ أيامنـــــا العـــــامره
مواكـــب يحـــدو خطاهـــا الـــضياء
ويجلـــــو بأحـــــداثها الــــذاكره
إلى مفـــرق العـــز فـــوق المحـــال
إلى المجـــــد معلنـــــة جـــاهره
وقـــد تمهـــل الخطـــو حينـــا وحينـــا
ولكنهـــــا أبـــــدًا ســـــائره
ويـــأتي الزمـــان ويمـــضي الزمـــان
وتبقـــى عـــلى الـــزمن القـــاهره

أما الإسكندرية بكل ما تحمله من فتنة وسحر وثراء حضاري فلها ذكريات هنية في قلب ووجدان أحمد خميس ، فقد شهدت بدايات إنشاء إذاعة الإسكندرية في مطلع الخمسينيات الذي اضطلع به أحمد خميس وكان له دور أساسي في إنشاء تلك الإذاعة الوليدة وكانت الإسكندرية مدينة الحب والسحر والجمال مصدر إلهام كبير لشاعر الروابي الذي شاء أن تكون الأغنية الشعبية «يا بنات إسكندرية مشيكم عالبحر غيه» هي مصدر إلهامه في قصيدته «يا بنات الإسكندرية» التي يقول فيها[1] :

يا بنات «إسكندرية» حبة القلب الوضيه
كلـــما عـــاودني الـــشوق لأيـــامي الخليـــه
هتـــف القلـــب وغنـــى للعيـــون العـــسليه

(1) من ديوانه المخطوط ، قصيدة يا بنات الاسكندرية .

وجبـــين .. رقـــص النـــور عليـــه

ســــافرت ألوانـــــه في خـــصلتيه

ذكرياتنــــا لم تـــزل نـــشوى صـــبيه

آه لـــــو عــــادت لياليهــــا «الهنيـــة»

ويخص شاعرنا «شاطئ إستانلي» الذي شهد صبواته على شاطئه الرملي الساحر بحديثه وإلهامه ، حين يستعيد ذكرياته على هذا الشاطئ الفاتن :

شاطئ «استانلي»..رعاك الحب ما طال العمر

كـم عـلى صـدرك ضـم الموج أحـلام القمـر

وصـــحت فـــوق لياليـــك الليـــالي والـــسمر

وأنــــا طفـــــل عـــــلى درب الهـــــوى

أبـــــيض الخطـــــوة وضـــــاح الـــــروا

ذكريـــــات لم تـــــزل نـــــشوى صـــــبيه

آه لـــــو عــــــادت لياليهـــــا الهنيـــــه

يـــــا بنـــــات اســـــكندريه

ويرى في حي «المعادي» الذي عاش فيه مع زوجته في مطلع شبابه واحة للحب والغزل والنجوى فيحث الأحباب للقاء في المعادي :

مـــل بنـــا يـــا ليـــل وهنـــا .. مـــل بنـــا

همـــسات الليــــل نـــادت بـــالغزل

مـــــا تـــــرى العـــــشاق في موكبنـــــا

كلهـــــم قلـــــب تـــــشهي وامتثـــــل

وصـــــــحا عطـــــــر جميـــــــل

راهـــب الحــسن الجميــــل
يتهـــــــادى وينيــــــل
يـــسكب الفرحـــة في كـــل فـــؤاد
والمنـــى تـــرقص والحـــب ينـــادى
أيهـــا الأحبـــاب هيـــا «للمعـــادي»

ويشارك شاعر الروابي في «رقصة الأقمار» في الغردقة على ساحل البحر الأحمر بمياهها اللازوردية الساحرة، ورمالها الذهبية ونسيمها الخفاق:

عـــد للأمـــاني العـــذاب المورقـــه
فـــالحلم يهـــوي في الهـــوى أن نـــسرقه
ويقـــول أهـــلاً بـــالقلوب العاشـــقه
في رقـــصة الأقـــمار عنـــد «الغردقـــه»

ويستعيد ليالي الحب والوصال في ضاحية «مصر الجديدة»:

رقـــص القلـــب .. وغنينـــا نـــشيده
يـــا ابنـــة الأحـــلام والـــذكرى الـــسعيدة
عنـــدما عـــادت ليالينـــا البعيـــدة
في مغـــاني الحـــب .. في «مـــصر الجديـــدة»

كما شهدت «عين حلوان» صبوات لشاعر الروابي عاشق الحب والجمال: فاستعاد ليالي حلوان السعيدة وهو يناجي محبوبه للقاء في «عين حلوان»:

يـا حبيبـي .. موعـدي منـك عناقيـد المنـى
نجـــتلي في كرمهـــا .. خمـــر الهـــوى
فهنـــا في «عـــين حلـــوان» ومغناهـــا هنـــا
كـــم حـــلا الحـــب .. وأعطـــى وارتـــوى
وتمنـــــت كــــــل نظـــــره
وتـــــشهت كــــــل زهـــــره

أن يطيـــــل الـــــشوق عمـــــره
فتـنعم .. بـين أعطـاف الجـمال الآسر
فهنـا حلـوان والعـين وأنـس الخـاطر

وهو كعاشق لمصر يتابع كل إنجاز للتعمير والنماء فيسعده مشروع توشكي ويتمنى أن يجلب الخير لمصر ولأجيال المستقبل :

عجبًـا يـا نيـل .. تـأتي بالعطـاء المغـدق
وتبـل الـشوق في صـهد الرمـال الظامئـه
يـا عناقًـا .. ضـم أحـضان الحبيـب الـشيق
فأحـال الرمـل وجـدانا وروحًـا ورئـه
نخـــبر العـــالم أني : مـــن أنـــا ؟
قـل «أنـا توشـكى» .. أنـا عليـا الـدنا

* * *

وهو يعتز بمصريته وقاهريته ، فيقول مباهيًا بعاصمة مصر المحروسة الأبية:

هنـــا ســـدرة الماجـــدين الأبـــاة
وصـــانعة القـــدرة القـــادره
بأبوابنـــا ينتهـــي الطـــامعون
وتنهـــار أوهـــامهم خـــاسره
وفـــوق ثرانـــا يـــذوب العتـــاة
وتعلـــو أصـــواتنا ظـــافره
عراقتنـــا جـــذوة الكبريـــاء
وملحمـــة الـــسيرة العـــاطره
ويـــأتي الزمـــان.. ويمـــضي الزمـــان
وتبقـــى عـــلى الزمـــان .. القـــاهره

استحضار الشخصيات التاريخية والأسطورية

كان استحضار الشخصيات التاريخية والأسطورية عند الشعراء المعاصرين وسيلة للتعبير عن بعض قناعاتهم وأفكارهم ومشاعرهم ، وكانت نوعية تلك الشخصيات التاريخية والأسطورية المستحضرة تختلف باختلاف نزعات كل شاعر واتجاهاته وأفكاره حيث تتمثل في :

١ ـ شخصيات دينية مثل عمر بن الخطاب ـ وعلي بن أبي طالب والحسين سيد الشهداء والمسيح وغيرهم.

٢ ـ شخصيات بطولية مثل : خالد بن الوليد ، وعنترة بن شداد ـ وطارق بن زياد ، وصلاح الدين الأيوبي .

٣ ـ شخصيات أسطورية : مثل أبوللو(إله الشعر) وفينوس وأفروديت وهرقل وشمشون وشهريار وشهرزاد وأرفيوس .

٤ ـ شخصيات عاطفية : مثل قيس بن الملوح وقيس لبني ـ وديك الجن ـ وابن زيدون وكثير عزة وغيرهم.

٥ ـ شخصيات تاريخية : مثل كليوباترا وزرقاء اليمامة وأحمس ورمسيس ومحمد علي وجمال عبد الناصر .

وإذا كان كل شاعر يستحضر الشخصيات التاريخية العربية بحسب طبيعته وتوجهاته وتكوينه الوجداني فإن أحمد خميس كشاعر رومانسي عاطفي وجداني محلق في آفاق الخيال استحضر في شعره شخصيات عاطفية وأسطورية ارتبطت في الوجدان المصري والعربي بحكايات وأساطير تثير الخيال مثل شخصيات :

١ ـ شخصية شهر زاد الأسطورية من وحي حكايات ألف ليلة وليلة المثيرة للخيال والأحلام.

٢ ـ شخصية قطر الندى التاريخية وحفل زفافها الباذخ التي استوحاها من تاريخ مصر في العهد الفاطمي .

٣ ـ شخصية الشاعر الفارسي عمر الخيام الفيلسوف العالم صاحب الرباعيات الشهيرة .

وسوف نقدم هنا حكايات كل شخصية من هذه الشخصيات التاريخية التي استحضرها أحمد خميس في شعره وكيف أضفى عليها من خياله ومشاعره وعواطفه وفلسفته ما جعلها شخصية حية حاضرة تعيش بيننا بملامحها النفسية والذوقية بفلسفتها وأفكارها وإشعاعها .

قطر الندى

تردد اسم « قطر الندى» في التراث الشعبي المصري مرتبطًا بزفاف كل فتاة إلى زوجها وما يصاحب ذلك من عادات وتقاليد وأبهة وفخامة وتجلي ذلك أكثر في تلك الأغنية الشعبية المأثورة :

يا الحنة يا الحنة   يا قطر الندى
يا شباك حبيبي   جلاب الهوى

وقد ارتبط زواج قطر الندى على مر التاريخ برياشها وجهازها الفخم الذي أمر أبوها «خمارويه» بإعداده بحيث يليق بابنته سليلة البيت الطولوني وزوجة خليفة المسلمين .

وقد روى لنا جمال بدوي قصة هذا الزواج الأسطوري بين قطر الندى هذه اليمامة الجميلة وذلك الصقر العجوز ، الخليفة المعتصم بالله العباسي في بغداد ، في حقبة العصر الطولوني التي وصلت فيها مصر إلى درجة كبيرة من الازدهار الاقتصادي ، فكان زواجًا سياسيًا بكل ما تحويه دهاليز السياسة من مكر وخداع

وكانت الضحية هي الأميرة الفاتنة الجميلة «قطر الندى» التي ضحى بها أبوها «خمارويه» على مذابح أطماعه وشهواته السياسية [1] :

كانت مصر في العصر العباسي ولاية يحكمها أمير يبعث به الخليفة العباسي ليدير شؤونها، ويضبط أمورها ، وينظم أموالها ولأن مصر كانت أغنى البلاد وأقواها ، كان الخلفاء يختارون حاكمها من بين أهل الثقة المقربين من الخليفة ، وهم في ذلك الوقت طبقة الضباط الأتراك الذين صار إليهم النفوذ والسلطان ، وفي عام ٢٥٤ هـ وقع اختيار الخليفة «المعتز» على أحد هؤلاء الأتراك واسمه «بقبق» ليكون أميرًا على مصر ، فانتدب ابن زوجته أحمد بن طولون ليحكمها نيابة عنه مؤثرًا البقاء في بغداد ليكون قريبًا من عش المؤامرات والدسائس التي تدور في قصر الخلافة، فلما مات «بقبق» لم يرجع أحمد بن طولون إلى بغداد ، وشاء حسن حظه أن تكون مصر من نصيب «برقوق» والد زوجته .. فأقره على موقعه قائلاً : خذ من نفسك إلى نفسك (!!) .

كان والد أحمد تركيا اسمه «طولون» ومعناها بالتركية «بدر التمام» .. أهداه أمير بخاري إلى الخليفة المأمون ، فعاش في كنف قصر الخلافة في زمرة الضباط الأتراك حتى وصل إلى الصدارة ، ونشأ ابنه (أحمد) نشأة دينية فحفظ القرآن الكريم وعلوم الإسلام وفنون الحرب ، حتى دفعت به الرياح إلى مصر فاستبد بشؤونها ، وساورته أعراض الاستقلال الذاتي عن دولة الخلافة ، ولتحقيق ذلك أقام جيشًا قويًا كانت عدته مائة ألف جندي .. جلبهم من كافة الأجناس ، ولم يكن من السهل أن تسكت دولة الخلافة على استقلال مصر فشبت بينهما حروب ومصادمات طوال عهد الخليفة «المعتمد على الله » .. أما العدو الأكبر لأحمد بن طولون فكان «الموفق» أخو الخليفة وصاحب النفوذ الفعلي والذي قاد الجيوش لإخماد الثورات والفتن ، ومن بينها حركة استقلال مصر . وضاق المعتمد من سيطرة أخيه على الأمور حتى فكر في اللجوء إلى مصر ، وانتهز أحمد بن طولون

(١) آخر ساعة / ٨ يوليو ١٩٨٨ .

الفرصة . وزين له الفكرة ، ورسم له الخطة ، وكان هدفه من ذلك انتقال الخلافة من بغداد إلى مصر فترتفع مكانتها في العالم الإسلامي ، ولكن عيون «الموفق» كانت له بالمرصاد ، فقبضوا على المعتمد وهو في منتصف الطريق ، وأعادوه إلى بغداد ليقضي بقية عمره شبه سجين .. واستؤنفت الحروب بين مصر وبغداد حتى أنهكت قوى البلدين ... وتدخل ملك الموت لإخلاء المسرح من أبطاله في فترات متقاربة ، الخليفة المعتمد ، وأخيه الموفق ، وأمير مصر أحمد بن طولون.

***

آلت الخلافة إلى «المعتضد» ابن الموفق .. وآلت إمارة مصر إلى «خمارويه» ولي عهد أبيه .. ونظر في تركة أبيه فوجد أنه ترك له في خزانه من الذهب الخالص عشرة آلاف دينار ، ومن المماليك سبعة آلاف مملوك ، ومن الغلمان أربعة وعشرين ألف غلام ، ومن الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس ، ومن البغال والحمير سبعة آلاف رأس ، ومن الدواب لخاصته ثلاثمائة ، ومن مراكبه الجياد مائة ، أما ذريته فكانت ثلاثة وثلاثين .. منهم سبعة عشر ولدًا وست عشرة بنتا وأما آثاره العمرانية فحدث ولا حرج أشهرها المسجد الكبير الذي لا يزال قائمًا حتى الآن .. والذي كان يتوسط مدينة «القطائع» التي أقامها لتكون مدينة عسكرية تضارع الفسطاط والعسكر التي أقامها العباسيون، فضلاً عن القصور الفخيمة .

نظر «خمارويه» إلى هذا الملك العريض الذي تركه له أبوه ، والنفوذ الكبير الذي يمتد إلى أقاصي الشام ويتاخم العراق .. ورأى أن استمرار الحروب سيؤدي إلى مزيد من الخراب والدمار ثم نظر إلى بعيد وبيت النية على أن يمد بينه وبين الخليفة جسرًا من المودة لا ينفصم وأن تكون ابنته «قطر الندى» هي هذا الجسر فيضمن استمرار الحكم في أسرته ، ويأمن حدوث أي إجراء يطيح به عن حكم مصر .

فلما اختمرت الفكرة في ذهن «خمارويه» استدعى أحد خاصته واسمه

الحسن بن عبد الله وشهرته «ابن الجصاص» وأسر إليه بما يعتزم ، ثم بعث به إلى بغداد مصحوبًا بما خف حمله وغلا ثمنه من الهدايا والتحف ليعرض على الخليفة زواج «قطر الندى» من ابن الخليفة «المكتفي بالله» .. وقام ابن الجصاص بالمهمة التي أوكلت إليه .. فلما مثل أمام الخليفة اختلى به العاضد ليسأله عن صفات العروس المرشحة للزواج من ابنه ، واسترسل الرسول في وصف قطر الندى وما تتمتع به من جمال يسحر الألباب ويخلب العقول .. فما أن فرغ من كلامه حتى فوجئ بالخليفة يقول له :

ـ ولماذا يتزوجها ولدي .. أنا أحق بها منه (!!) .

وكانت مفاجأة أذهلت ابن الجصاص وأدرك أن مهمته حققت من النجاح أضعاف ما كان يتوقع .. لقد جاء يطلب يد ولي العهد .. فإذا بولي الأمر نفسه يعرض نفسه صهرًا لأمير مصر.. وعاد الرجل إلى مصر وهو يرقص طربًا : واستمع خمارويه إلى العرض الجديد وهو لا يكاد يصدق أن خليفة المسلمين سيكون زوج ابنته .. وبدأ على الفور في الإعداد لهذا الزواج الذي سيربط بين كرسي الإمارة وعرش الخلافة برباط متين .. وصدرت الأوامر إلى كل أجهزة الدولة لترتيب مراسم عرس يضاهي مقام الخلافة ..

وثار سؤال : كيف ستنتقل العروس من مصر إلى العراق وبينهما مسافات شاسعة ، وصحراوات قاحلة ، وبيداء مقفرة ؟ عندئذ صدرت التعليمات ببناء سلسلة من القصور على طول المسافة بين البلدين ، بحيث تقضي العروس في كل مرحلة بضعة أيام في منزل لا يقل رفاهية عن قصور أبيها .. وتقطع الرحلة كما يسير الطفل في المهد .. وكان أول القصور عند حدود مصر الشرقية هو قصر «العباسة» الذي يحمل اسم عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون التي قامت على رأس الوفد النسائي لتوديعها وهي تغادر وطنها .. ولا يزال اسم العباسة قائمًا حتى الآن على القرية المعروفة بمحافظة الشرقية .

وعلى مدى أربعين يومًا أقيمت الأفراح والليالي الملاح في كافة أنحاء

العاصمة المصرية ونحرت الذبائح وأقيمت الولائم لكل طبقات الشعب ، وكان المطربون يتبارون في التغني بهذا العرس السعيد مقرونًا باسم «قطر الندى» حتى صار اسمها جزءًا من التراث الغنائي الشعبي على مدى العصور. ولما حانت الليلة الأربعون تصدر الأمير خمارويه الاحتفال الرسمي الذي شهده كبار رجال الدولة والقضاة ورجال الدين وكبار التجار وقدم الجميع تهانيهم إلى أميرتهم قبل أن تغادر البلاد إلى حياتها الجديدة مع خليفة المسلمين .

أما عن الجهاز الذي رافق العروس إلى بغداد محمولاً على ظهور الإبل ، فقد كان صورة مما بلغته فنون الصناعة المصرية من تقدم ، وقد استفرغ الصناع المصريون كل مهاراتهم في إنتاج صناعة تحمل اسم «مصر» وصار هذا الجهاز أثرًا تاريخيًا يتبارى في وصفه المؤرخون بدءًا من المقريزي إلى على مبارك .

ويقول المسعودي:«وحمل ابن الجصاص جهاز قطر الندي وحمل معها جواهرا لم يجتمع مثله عند خليفة ، وكان في جهازها عشرون صينية ذهب في عشر منها مشام صندل (أي لشم عطر الصندل) وزنها أربعة وثمانون رطلاً ، وعشرون صينية فضة في عشر منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلاً ، وخمس خلع قيمتها خمسة آلاف دينار . وكان ابن الجصاص يشرف بنفسه على صناعة الجهاز ، فلما فرغ من إعداده سأله الأب : هل بقى معك شيء من الحساب، وقال : نعم كسر (أي فضل) قيمته أربعمائة ألف دينار ، فقال خمارويهي لك وقال المسعودي أن ابن الجصاص استقطع بعض الجواهر من جهاز قطر الندى ، وأبلغ قطر الندى أنه يحتفظ بهذا المال عنده إلى وقت حاجتها ، فلما ماتت قطر الندى ظل المال عنده ، فكان ذلك سبب غناه .. وقال الذهبي : أن خمارويه جهز ابنته بألف ألف دينار (أي مليون بلغة زماننا مع فارق الأسعار) ويقول القضاعي : ويستدل من ذلك على سعة نفس خمارويه ، وكثرة مال ابن الجصاص.

لما وصلت العروس «قطر الندي» إلى بغداد لم يكن الخليفة «العريس» في انتظارها ، فقد كان خارج البلاد في محاربة الثائرين ، ولدى وصولها صدرت

التعليمات بحظر المرور في شوارع بغداد ـ وكان مساء يوم أحد ـ وأغلقت أبواب الدروب التي تلي شط نهر دجلة ، وارتفعت الأشرعة على النوافذ حتى لا يتطلع منها أحد على موكب العروس وهي تختال بين صفين من حملة الشموع حتى انتهى بها الموكب إلى عش الزوجية السعيد في قصر الخلافة وبعد يومين عاد الخليفة فرأى قطر الندى فراعه جمالها ، وأعلن أن ما سمعه عن أوصافها لا يضاهي الحقيقة ، وليس من رأى كمن سمع ، فأحبها حبًا جما ... ووجد من أدبها وسمو أخلاقها ما يسمو على جمال خلقتها ، حتى أنه خلا بها يومًا ووضع رأسه على ركبتها وراح في سبات عميق .. فأزالت رأسه عن ركبتها ووضعتها فوق وسادة .. ثم تنحت عن مكانها وجلست بالقرب منه في مكان آخر ، فلما انتبه ولم يجدها صاح فزعا فعتب عليها إزالة رأسه عن ركبتها وقال لها : أسلمت نفسي لك فتركتني وحيدًا وأنا في النوم لا أدري ما يفعل بي (!!) فقالت ما جهلت قدر ما أنعمت به علي .. ولكن أبي خمارويه أدبني بأن لا أجلس مع النيام .. ولا أنام مع الجلوس .. فأعجبه ردها .. وازداد بها شغفًا .

ويتفق المؤرخون القدامى ـ إلى حد الإجماع ـ على أن الخليفة المعتضد أراد بهذه الزيجة ليس تمكين العلاقات مع مصر ، ولكن إفقارها (!!) .

وهذا القول يحتاج إلى نظر ..

ولا شك أن حجة المؤرخين في هذا هي النفقات الباهظة التي تكلفها زواج قطر الندى من الخليفة سواء في بناء قصور (الترانسيت) أو في إعداد الجهاز ولكن لا يوجد دليل على أن الخليفة اشترط مواصفات معينة لهذا الجهاز كما يفعل بعض العرسان في زماننا .

ثم .. هل كان مطلوبًا من الخليفة أن ينصح أمير مصر بعدم تبديد هذه الأموال الجمة ، ويطلب منه التقشف والاعتدال ... ؟ وهل يكون هو أحرص على أموال مصر من حاكمها ؟ وهل كان الخليفة سيغضب ويعلن العصيان إذا وجد الجهاز في مستوى أقل من المستوى الذي أراده خمارويه؟ ثم أن هناك حقيقة يغفل عنها المؤرخون ، أو يذكرونها على استحياء وهي أن الخليفة دفع في قطر

الندى مهرًا يبلغ ألف ألف درهم وهو مبلغ يعوض المبالغ الباهظة التي تكلفها الزواج . وكل هذا ينفي عن الخليفة النية الخبيثة في إفقار مصر ... وإنما الذي تسبب في إفقارها عمليًا هو سفه خمارويه وحبه وإهداره أموال البلاد في بناء قصوره وملاه ومغان وحدائق يقصر عن وصفها الخيال ..

ويقول ابن تغري بردي إن خمارويه بني في قصره مساكن للسباع والفهود وغيرها من الوحوش، حتى لكأنها حديقة حيوان .. وكان له أسد أزرق العينين مطلق السراح يقال له «زريق» نشأت بينه وبين الأمير صداقة متينة حتى أنهما لا يفترقان .. ولا يتناول زريق هذا طعامه إلا على سماط الأمير .. فإذا نضبت المائدة أقبل زريق معها وربض بين يدي خمارويه فيرمي إليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة .. وهبرة اللحم بعد الهبرة .. وكانت لزريق زوجة لم تأنس بالناس كما أنس زوجها ، فتظل محبوسة في قفصها وله وقت معلوم يجتمع معها فيه ، وكان إذا نام خمارويه جاء «زريق» وقعد ليحرسه ولا يغفل عنه لحظة فلا يجرؤ أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائمًا .. حتى أراد الله إنفاذ قضائه ، ولقي خمارويه مصرعه على يدي بعض خدمه في دمشق ، وزريق في مصر ، ولو كان زريق حاضرًا لما وصل إلى خمارويه أحد ..

وحين يستدعي أحمد خميس هذه الشخصية التاريخية الساحرة من التاريخ بفتنتها ورقتها وزفافها الباذخ الأسطوري وما صاحبها من أغنيات فولكلورية يعزف لنا شاعرنا أنشودة من ليالي الأفراح الباذخة في مصر الفاطمية حين زفت «قطر الندى» إلى الخليفة العباسي ذلك الصقر العجوز في بغداد ، فقال :

أحضان هذا الفجر ضمت في الربى قطر الندى

وتأنق الصبح الهنى على المجالي .. والمدى

لما بدت في حسنها شمس البها (قطر الندى)

***

الحسن كبر للجمال .. وأورقت ألوانه

دفئًــا .. يـــدير عـــلى القلــوب نـــسائمه
والــسحر .. كـل الـسحر أقبـل طيعًـا سـلطانه
يهـــدي إلى هـــذي العيـــون تمائمـــه
فـــإذا المقـــادير تمـــد إلى خطاويهـــا اليـــدا
لما بـدت في حـسنها شـمس البهـا (قطـر النـدى)

***

دوري بأعطـاف الـصباح الـشاعري .. المجـتلي
وتمـــايلي .. ميـــل عـــلى انـــسكاب المخمـــل
وتـــدللي .. يـــا قبلـــة النـــور الطـــري .. تـــدللي
فـــاليوم .. يـــصدح بالبـــشائر شـــاعر متفـــرد
يـــصغي لـــه قلـــب الزمـــان ويخفـــق
واليـوم .. يزهـو مـنعمًا هـذا الـصباح الواعـد
وتفـــيض بالحـــب العيـــون .. وتغـــدق
وصـحائف التـاريخ حـراس .. وعهـد .. وفـدا
لما بـدت في حـسنها شـمس البهـا (قطـر النـدي)
بغـــداد نـــادت .. فاشرأبـــت للنـــداء القـــاهرة
أتـرى منابرهـا البـشير عـلى القـرى والحـاضره
في موكـــب لم يـــدر أولـــه الزمـــان وآخـــره
طافـت بـأرض الرافـدين كـما يطـوف المرسـل
في صـــمتها حكـــم المـــشيب وقولـــه المتفـــضل
فتواكبـــت همـــم المعـــالي .. تـــستزيد وتنهـــل

ضـمت إلى شرف الأصـالة والعـصور البـاهرة

قلبًـــا يميـــل إلى النهـــي قبـــل الهـــوى

من سلسل النيل العظيم .. مـن الـروابي الطـاهره

شـــب العطـــاء عـــلى يـــديها واســـتوى

وغـدت قلـوب العـارفين بـها أفاضـت سـجدا

لما بـدت في حـسنها شـمس البهـا (قطـر النـدى)

ثم يناجي أحمد خميس طيف «قطر الندى» بكل ما يوحيه إليه من سحر وإلهام وخيال وجمال:

حوريـة الإلهـام .. يـا شـغل الأمـاني الدافئـه

يـا موجـة .. عـرف الجـمال بـشاطئيها مرفـأه

وسـما إلى عـرش الفتـون .. يـضم أحـلى لؤلـؤة

***

قـسمًا بطيفـك يـستثير بنـا الخيـال المترفـا

ويهدهـــــد الأشـــــواق في ليلاتنـــــا

ما غاب ذكرك عن أهـازيج الـرواة .. ومـا غفـا

عـــن رقـــصة النـــشوة في أعماقنـــا

وحكايـة .. طـارت بهـا الأيـام فنـا خالـدا

لما بدت في حسنها شـمس البهـا (قطـر النـدى)

يجد أحمد خميس في التـاريخ وشخـصياته التراثيـة مجـالًا خـصبًا للتـصوير والتجسيد والبراعة في تقديم الصور الشعرية الجميلة التي تفيض بأجواء التاريخ وعبقه وسحره ولياليه الساحرة لأنه كشاعر رومانسي حالم يود أن يظل متواجدًا في هذه الأجواء الخياليـة الهامسة والتي يفتقـدها في واقعه ، فيحاول استعادتها بالخيال الحالم ، واستعادة أطيافها بكل أجوائها وظلالها وزواياها الملهمة !

شهر زاد

ألهمت شخصية «شهر زاد» بطلة «ألف ليلة وليلة» بقصصها وحكاياتها المثيرة الممتعة العديد من أدباء وفناني العالم في الشرق والغرب فألهمتهم القصص والمسرحيات والقصائد واللوحات الغنية والسيمفونيات الموسيقية ، ولعل مناجاة الأديب الإنجليزي دبليو تايلور لخيال شهرزاد يعبر عن مكانتها الراسخة الملهمة في خيال أهل القلم وأرباب الفنون حين خاطب طيفها الساحر، قائلاً:

«أيتها العزيزة المفرحة «شهر زاد» .. من الذي لا يحب أن يستعيد ساعات المتعة المسترقة: تلك الساعات التي كانت تمنح إلى قصصك والتي تمكنت فيها «ألف ليلة وليلة» من تأجيل ضربة القدر وتغيير ذلك القرار الشديد للقاسي «شهريار» !

ويرى الأديب فاروق خورشيد أن ظل شهرزاد الساحر امتد عبر القرون وعبر وجدانات الأدباء والفنانين والدارسين حيث يرى أنه على الرغم من أن ظل شهر زاد لا يقل طولًا وكثافة عن الظل الذي تلقيه ألف ليلة وليلة نفسها، إلا أن قصة شهر زاد في الليالي لا تشغل إلا صفحات معدودات تبلغ من صغرها حدا يثير الدهشة إذا قورنت بما حازته الشخصية من أهمية وقيمة ..

وقصة شهر زاد في الليالي تبدأ مع بداية الليالي فتكون أول حدث درامي فيها، ثم تتوارى ليبقى صوتها ، فقط وهو الشيء الوحيد الذي نلمحه طوال الليالي ، فإذا ما انتهت الليلة الواحدة بعد الألف ، اختفت شهر زاد في صمت ، وختمت كلماتها الليالي كأي راوية لا دور له في أحداث القصة التي شغل نفسه بروايتها ألف ليلة وليلة ..

وشهر زاد امرأة افتدت فتيات مدينتها بنفسها ، واستطاعت بذكائها وحكاياتها أن تصرف شهريار عن قتل عذاري المدينة واحدة أثر الأخرى ، ليلة إثر أخرى ، تشفيًا لانتقام مريض يأكل صدره حقدًا على امرأة واحتقارًا لمعنى الوفاء والبراءة في كل عذراء ..

وهي إن نجحت في هذا فستنقذ نساء المدينة وفي نفس الوقت تستنقذ نفسها من المصير المرعب الذي كان ينتظرها آخر ليلة عرسها . وتستطيع أن تؤجل هذا المصير ليلة إثر ليلة بها تحكي من قصص تصرف الملك عن حقده وعن انتقامه ، فإذا ما كانت الليلة الواحدة بعد الألف كانت عروس الملك التي يحبها ولا يستطيع عنها فراقًا ، وكانت المرأة في قصره والمرأة في حياته وقلبه ، وكانت البلسم لجرح الانتقام الذي نزف في قلب شهريار دمًا وموتًا ذريعًا لكل عذراء..

* * *

لقد ألهمت شخصية شهرزاد الخيالية أدباء وفناني الشرق والغرب الكثير من روائع الشعر والموسيقى والرواية لكن شخصية شهرزاد مرتبطة بشخصية «شهريار» ارتباطًا وثيقًا ، فالمحور القصصي الأساسي لحكايات ألف ليلة هو الموقف الذي يقفه شهريار من الحياة والمرأة بصفة خاصة مستعليًا منتقمًا .

شهر زاد هي وحدها التي استطاعت ترويض شهريار وإخراجه من الدائرة الانتقامية الرهيبة إلى طريق التصالح مع الدنيا ومع جنس حواء ، وكان السر يكمن في العقل والحكمة من خلال حكايات شهرزاد المثيرة التي شدت انتباه شهريار وأمتعته وأبعدته تدريجيًا عن الدائرة الجهنمية للقتل وذبح العذاري !

إذن كان المفتاح السري لشخصية شهريار هو شهوة عقله وليس شهوة الجسد ، وهنا تكمن عبقرية هذه الشخصية الخيالية المثيرة للجدل والتي ألهمت الأدباء والشعراء والفنانين في الموسيقا والفن التشكيلي في الشرق والغرب .

فإذا كان رامسكوف قد استلهم سيمفونية رائعة سماها «شهرزاد» فإن الفنان الفرنسي «إدموند» تخيل شخصية شهر زاد في لوحة فنية رائعة .

وترى د . سهير القلماوي أن شخصية شهرزاد المثيرة قد ألهمت أرباب الفنون والآداب الكثير من البدائع ، فتقول [1] :

قدمت لنا «الليالي» شهر زاد تلك الشخصية التي أثارت نفوس الناس على مر العصور خيالات وصورًا تطوعت يومًا أن تخاطر بحياتها لتنقذ بنات جنسها وأخذت على عاتقها أن تهذب نفسًا بشرية شاذة لا بالموسيقى والغناء وإنما عن

(1) الهلال ، شهرزاد ، أغسطس ١٩٤٨ ، ص ٣٠ .

طريق القصة والأدب بما يحويانه من موسيقى وغناء.

ظلت «الليالي» تحمل هذا الإطار الجذاب ، إلى شهر زاد ، فكل سحر يطالعنا فيها إنما هو من فنها وسحرها ، فكل جميل من صنعها وخلقها » .

وإذا كانت شهر زاد عند بعض النقاد وما زالت كنزًا أدبيًا مجهولاً لا يعرف أحد ما يحتوي من درر وجواهر ، فإن العديد من المفكرين والأدباء حاولوا في كل الأزمان والبقاع تفسير سر سحرها الخلاب ، وتجلى ذلك في العديد من القصص والمسرحيات والسيمفونيات الموسيقية والأفلام السينمائية والقصائد الشعرية ، ومن منا ينسى مقطوعة الموسيقار الروسي «رامسكوف» «شهر زاد» التي تشدنا إلى عالم من السحر والجمال والخيال ، ومسرحية «شهر زاد» لتوفيق الحكيم ، وقصة «أحلام شهر زاد» لعميد الأدب العربي طه حسين بالاشتراك مع توفيق الحكيم، ومسرحية «سر شهر زاد» للأديب علي أحمد باكثير وغيرها كثير في الشرق والغرب.

ويرى بعض النقاد أن الذي يستهوي في شخصية شهر زاد ليس هو افتداء بنات جنسها وإنما هو هذه القوة الجديدة «قوة القص» التي استعملتها في ترويض الطاغية .. وبهذا تنفرد شخصية شهر زاد بخصيصة لا نظير لها في كل الشخصيات التي حاول دارسو الفولكلور إيجاد المشابهة بينها وبين شهرزاد .

فشهرزاد كامرأة وجسد لا قيمة لها في الليالي ، وإنما قدرتها الهامة هي «قدرة الحكي» هي قوة الابتكار أو هي قوى الفن الذي استطاع أن يحيل «شهر يار» من وحش إلى إنسان ، والذي استطاع أن يكتشف منطقة مجهولة في النفس البشرية تزدهر بكل معنى رفيع وتستجيب لإلهام الفن ورسالته .. وبهذا المعنى ارتبطت شخصية شهرزاد بشخصية الليالي نفسها ، فأصبحت «ألف ليلة وليلة» تتساوى في ظلالها مع ما تلقيه شخصية شهرزاد نفسها من ظلال وإيحاءات الشخصية الخيالية فهي بثرائها ووجودها ألف وجه ووجه لمعنى الأنوثة الخالدة لنسقط عليها وجودنا وعواطفنا ، وآمالنا وأفكارنا ، ولذلك اعتبرها رجال الفكر والأدب والفن أخصب شخصية نسائية شهدها تراثنا الأدبي العربي ، سواء بما قصته في ألف ليلة وليلة من حكايات ، أو بما عاشته هي نفسها من حياة غدت رمزًا حائرًا عند الأدباء والمفكرين من أصحاب القلم ورواد الفكر .

رباعيات شهر زاد

استلهم الشاعر الرومانسي حسن كامل الصيرفي (١٩٠٨ ـ ١٩٨٤) أحد أبرز شعراء جماعة أبوللو ملحمة أدبية أو قصة شعرية من وحي شخصية شهر زاد الأسطورية قدمها لنا في صورة رباعيات أثارت إعجاب توفيق الحكيم الذي قال في رسالة للشاعر: «إن شهر زاد في خلودها تبسم ابتسامة الرضا بهذه الصورة الجديدة التي تضاف إلى عديد الصور التي ظهرت لها في مختلف الفنون على مدى الحقب والسنين».

وهذه القصة الشعرية تروى حكاية شهر زاد وشهريار على لسان كل منهما في رباعيات شعرية آسرة، تبدأ بأحزان شهرزاد التي نذرت نفسها لإنقاذ بنات جنسها من مصيرهن المروع على يد سيف شهريار الباطش الذي لا يشبع من الدماء حيث استهواه ذبح العذاري كل ليلة [1]:

أنت لا تقتل في صبحك غاده

إنما تقتل في - الحق - سعاده

كل بيت أنت أطلعت حداده

أصبح القتل لسيافك عاده

لكن شهر زاد تزمع أمرًا مع شهريار لتنهي المأساة:

أنا أروي لك في كل مساء

ما روي بعض الرواة القدماء

قصة ليس لها ظل انتهاء

(1) حسن كامل الصيرفي شهرزاد، دار المعارف القاهرة ١٩٨٠.

ســـأداوي فيــك جــرح الكبريـــاء

فهل تنجح شهر زاد في خطتها الذكية لتغير أفكار شهريار من سفاح العذاري إلى عاشق للحياة باستبدال سلاح الشهوة والجسد بسلاح الفكر والقصص والحكايات المثيرة التي تلهب خياله وتنزع روح القسوة والانتقام من صدره التي تعمدت أن تطيلها لتثير شغفه وفضوله كل ليلة:

أذن الـــديك ، فأنهيــت المقالـــه

رمقتنـــي نظـــرة تـــوحي ســؤاله

«مــا الــذي تــم » ؟ فألهبــت خيالــه

في غــد تــسمع مــا قالــت وقالــه

وتجيء الليلة الثانية بعد الألف فينسي شهريار شهواته لسفك دماء العذارى ويتحول شهريار سفاح العذارى إلى عاشق رقيق بين يدي شهر زاد :

صــولة الجبــار صــارت ضــعف عاشــق

غــضبة البركــان صــارت همــس وامــق

يــا لــه بــين يــدي -كالطفــل- غــارق

في الكــرى .. والقلــب بالرقــة خــافق

وتنجح شهر زاد فيما أخفقت فيه غيرها ويتحول شهريار السفاح إلى شهريار العاشق المفتون ، وتبقى لنا أسطورة شهر زاد ولياليها الشجية الساحرة :

ســيقول النــاس : ماتــت شــهرزاد

لم تمــت ، وهـــي لهــا ألــف معــاد

هـــي حلــم طــوّف الــدنيا وراد

وهـــي أنــشودة ســحرٍ تُــستعاد

كما استلهم الشاعر عزيز أباظة (١٨٩٨ ـ ١٩٧٣) مسرحية شعرية بعنوان

«شهريار» ولكن كيف استلهم أحمد خميس شخصية شهرزاد في شعره ؟

في فترة الأحلام الرومانسية في مطلع حياة أحمد خميس استهوته شخصية شهرزاد بعبقها وسحر حكاياتها ، وأسطورتها المؤثرة في تغيير شخصية شهريار ، من سفاح للعذاري إلى شخصية إنسانية تحب الحياة والناس والمرأة .. كان ذلك وأحمد خميس لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره بعد ، فتخيل ليالي شهر زاد في قصيدة موحية شجية اعتبرها فتنة الأجيال التي توحي إليه بليالي الشرق وسحره، وتلهم قلمه أحلى الأشعار ، فيصف لنا أحلام خياله ، وسحر شهر زاد وحي إلهامه[1]:

خاطر رف جناحاه بأنغام الجمال
وسرى يحكي عن الماضي .. أساطير الليالي
من رؤي بغداد هذا الحلم ؟ أم وحي خيالي؟
عانقته من صدى الأمس ظلال عربيه
قصة الشرق ، وأنباء ، وأبكار غواني
وبساط الريح والندمان والخمر الرويه
وأحاديث وعاها الليل في سمع الزمان
وهنا .. أدركها طيف الصباح
ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح
فاطوي يا حسناء عن همس مباح

* * *

وهفا كالحلم همس .. ها هنا قصر الأمير
فامنحي روحك ما تشتاق من عطر ونور

(1) الهلال ، قصيدة ليالي شهر زاد : يوليو ١٩٤٩ .

هذه الليلة يا عذراء .. من عمر الزهور

وتبدي ملء عينيها .. بريق يتغنى

وأزاحت بيد السحر نقابا من حرير

ومضت تخطر عبر القصر طيفًا يتثنى

واحتواها مرقد الأشباح مخضوب المصير

وهنا .. أدركها طيف الصباح

ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح

فاطوي يا حسناء عن همس مباح

وجد أحمد خميس في شخصية شهر زاد ما يتوافق مع أحلام شبابه وخياله المحلق فراح يناجيها ويصف لياليها بخيال الشاعر الرومانسي الحالم :

ليت شعري .. يا ابنة السحر ويا بعث الخلود

هل تحدرت مع الأنسام كاللحن البعيد

أم بعثت فتنة سكري بكأس ونشيد

أم تهداك على النهر ، شراع من فتون — أطلقته من يد الأسرار ألحان رخيه

صور العشاق والحب ، وربات الفنون — وجوار ملء أيديها كؤوس ذهبيه

وهنا .. أدركها طيف الصباح — ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح

ثم يسائلها أحمد خميس عن سر أقاصيصها الساحرة التي غيرت وبدلت سفاح العذاري إلى عاشق حالم مطيع :

خبريني يا عروس الشرق ياسر القلوب

أي أشواق أثارتها أقاصيص الغروب

نسى المفتون ما كان من الأمس القريب

أخذته ومضة المجهول .. فاضت من سناك

فغدا كالطفل ، روحا تتشهى وتذوب

وانتشى في عالم الأحلام يشكو من هواك

ومضت أطيافه الحيرى مع الليل تجوب

وهنا .. أدركها طيف الصباح

ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح

فاطوي يا حسناء عن همس مباح

* * *

شهر زاد .. يا ابنة الأوهام والسر الخفي

أين دنياك التي فاضت على العصر الوضي؟

مثلما لألأت الأشواق بالقلب الخلي

آه من ذكري لياليك ومن بهو وخان

آه من شوقي إلى عهد من الفن تسامى

وقباب حانيات فوق أعطاف حواني

غنت الحب دموعا وتساقته ابتساما

وهنا .. أدركها طيف الصباح

ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح

فاطوي يا حسناء عن همس مباح

ثم يناجي أحمد خميس شهر زاد فاتنة الليالي ، وحسناء بغداد الساحرة :

فتنة الأجيال هاتي .. ليلة من ألف ليله

غردي لحن الفرات وانهلي من خمر دجله

واحلمي يا شهر زاد من صدى كأس وقبله
وابعثي من شاطئ الغيب أهازيج الصفاء
وأعيدي ندوة الفن ، وأحلام السقاة
كم تناجي في لياليها حنين الشعراء
وتجلت بدفوف .. وقيان راقصات
وهنا .. أدركها طيف الصباح
ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح
فاطوي يا حسناء عن همس مباح

* * *

ولا يترك طيف «شهر زاد» أحمد خميس بل تظل تطل عليه في حاضره بل وفي مستقبل أيامه ، فيتخيل طيفها الساحر بعد نصف قرن من الزمان ، فماذا تقول له وماذا يقول لها ؟

يتخيل لنا أحمد خميس عام ١٩٥٠ وهو ما زال في الخامسة والعشرين من عمره كيف سيكون حال «شهر زاد» وهو في سن الخامسة والسبعين أي في عام ٢٠٠٠ م ، فكيف سيصفها؟ [١] :

عجبًا يا عين ! ما هذى المقاصير الوضاء
ضاقت الأرض بأهليها فلاذوا بالسماء؟
عجبًا يا أذن ! ما هذا الحجيج الصاخب
لست أدرى أين يمضي بي ، ولا من أين جاء؟
وكأن الكون والعالم فيه لاغب
قافلات تائهات في شعاب الصحراء

(١) مجلة الهلال ، عدد يناير ١٩٥٠ ، ص ٦٤ .

يـــا إلهـــي : أي سر هـــو عنـــي غائـــب

جعـــل العـــالم يبـــدو في شـــقاء وعنـــاء ؟

صـــيحة مـــشبوبة بعـــد رقـــاد

أرســـلتها في الليـــالي شـــهر زاد

ذهبـــت صـــيحتها في الليـــل أدراج الهـــواء

وتلاشـــى صـــوتها في الأفـــق مخنـــوق الـــدعاء

ضـلت الآذان عنهـا ، أو تغاضـت عـن نـداها

وهي من كانت تلين الـصخر من حلـو النـداء

واشرأبـــت ترقـــب العـــالم نـــارًا في لظاهـــا

وتـــدير الطـــرف لهفـــات بأرجـــاء المبساء

فـــرأت طيفـــا شرود الخطـــو أشـــجاه أســـاها

يتنـــادى .. أيـــن يـــا ليـــل زمـــان الـــشعراء ؟

راعهـــا فيـــه أســـير للـــسهاد

فتهـــادت في حنـــان شـــهرزاد

أطـــرق الـــشاعر يخفـــي بـــادرات مـــن بكـــاء

فأظلتـــه يـــداها في حنـــو .. وإخـــاء

قـــال : أضـــحى الكـــون غابـــا ، والأنـــاسي ذئابًـــا

لـــيس فـــيهم لحيـــاة الخـــير والحـــق رجـــاء

ذللـــوا العلـــم لمـــا شـــاءوا وســـلوها حرابًـــا

فـــإذا بـــالأرض بحـــر مـــن دمـــوع ودمـــاء

وأجـــادوا صـــنعة الحربـــاء طبعًـــا وإهابًـــا

فأحـــالوا العـــيش زورًا وأفـــانين ريـــاء

فـــانظري كيــف انتهـــى أمـــر العبـــاد
وانظـــري ، ثـــم انظـــري .. يـــا شـــهر زاد
فأجابـــــت وبعينيهـــــا شـــــقاء
آه يـــا ضـــيعة أحلامـــي وقـــد صـــارت هبـــاء
أيـــن منـــى الآن ذكـــري ليلـــة مـــن «ألـــف ليلـــه»
وأمـــــير فـــــاتن مجلـــــو البهـــــاء
طالمـــا ألقـــى عـــلى عمـــري وآمـــالي ظلـــه
فكـــسا عمـــري وآمـــالي أثـــواب الهنـــاء
لم أجـــد مـــن بعـــده حبـــا .. ولا نادمـــت قبلـــه
غـــير أحلامـــي العـــذارى ، وخيـــالاتي الوضـــاء
وأغـــــان تركـــــت في كـــــل واد
«شـــــهريارا» يتمنـــــى شـــــهرزاد
ومـضت تـضرب في الأرض على غير اهتداء
خطـــوة المجـــزوع في دنيـــا ضـــلال وعـــماء
بـــين قـــوم عـــشقوا الـــشهوة حتـــى عبـــدوها
وتفـــشى حبهـــا فـــيهم كـــما يـــسرى الوبـــاء
ورثـــوا الأرض ، فلـــما عمروهـــا .. دمروهـــا
وبنـــوا أمجـــادهم فـــوق رمـــام الـــشهداء
ليـــتهم إذ جمعـــوا أحطـــابهم كـــي يـــشعلوها
نبئـــوا أن غـــذاها مـــن شـــغاف الأبريـــاء
فـــانتهوا عـــما جنـــوه مـــن فـــساد
واســـــتناروا بمعـــــاني شـــــهر زاد

كيلوباترا

أثارت شخصية ملكة مصر البطلمية كليوباترا بتاريخها ومغامراتها وحكاياتها خيال أدباء وفناني العالم في الشرق والغرب حتى قال عنها بلوتارك :

« إن جاذبيتها تكمن في شفتيها عندما تتحدث يشعر من يستمع إليها بنداء الغواية ، فينجذب إليها مسلوب الفؤاد » .

وقد أوحت كليوباترا ، بتاريخها وسحرها وأسطورة حبها ومعاركها للشعراء المصريين العديد من القصائد فاستلهم منها أمير الشعراء أحمد شوقي مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترا» التي يروي فيها حكاية كليوباترا محاولاً إنصافها كملكة مصرية دافعت عن مصر حتى النهاية وآثرت الانتحار بسم الأفعى لئلا تقع أسيرة في يد الرومان الغزاة فداء لمصر وكرامتها ، ويصف شوقي على لسان كليوباترا لحظات مصرعها بسم الأفعى فيقول :

هلمّي الآن منقذتي هلمّي
وأهلا بالخلاص وقد سعى لي
أأدخل في ثياب الذل روما
وأُعرَضُ كالسبيِّ على الرجال ؟
وتَحكُم في روما وهي خصمي
وتُسرف في العقوبة والنَّكال ؟
سأنزلُ غير هائبةٍ إذا ما
تلَّمظت المنيّةُ للنزال
أموتُ كما حييتُ لعرش مصر
وأبذُلُ دُونه عرش الجمال

حيـــــاةُ الـــــذلِّ تُـــــدفعُ بالمنايـــــا
تعَـــــالىْ حيَّـــــة الـــــوادي تعـــــالى

واستلهم الشاعر عبد الرحمن صدقي قصيدة تقليدية يصف فيها كليوباترا بقوله [1] :

ســـــليلة أقيـــــل البطالـــــسة الغـــــر
أقـــــاموا عـــــلى عـــــرش الفراعنـــــة الحـــــر
لهـــــا مـــــن بنـــــات الجـــــن روح عتيـــــة
وحـــــسن طـــــوى سر الغوايـــــة والطهـــــر
جننـــــا بـــــذكراها ، فكيـــــف بمـــــن عـــــشا
لطلعـــــة مـــــن تـــــسبي الأواخـــــر بالـــــذكر
فياليـــــت رجعـــــي للقـــــديم مـــــن الـــــدهر

كما استلهم منها على محمود طه قصيدته «ليالي كليوباترا» التي وصفها بفاتنة الدنيا وحسناء الزمان [2] :

كليوباترا .. أي حلم من لياليك الحسان
طـــــاف بـــــالموج فغنـــــى وتغنـــــى الـــــشاطئان
وهفـــــا كـــــل فـــــؤاد وشـــــدا كـــــل لـــــسان
هـــــذه فاتنـــــة الـــــدنيا وحـــــسناء الزمـــــان

ولكن من هذه كليوباترا التي ألهمت الشعراء والمبدعين في مصر والعالم .

(1) مجلة الهلال ، سبتمبر ١٩٤٩ .

(2) على محمود طه ، ديوان زهر وخمر ، قصيدة ليالي كليوباترا .

حكاية كليوباترا:

إن قصة كليوباترا مع يوليوس قيصر في مصر والدور الذي لعبته ليصبح أسير غرامها بعد تخليه عن زوجته «كالبورنيا العظيمة» ، فتقنعه بالجلوس على عرش مصر وهي بجانبه ملكة على مصر والشرق والغرب بعد أن يخلصها من جميع أعدائها في البلاط قد تداولها الكثير من الكتاب والمؤرخين بالتفصيل ، ولا يوجد بها من غموض إلا أسطورة دخولها عليه وقد لفها أحد التجار في سجادة فردها في مجلس قيصر الخاص فقامت منها كليوباترا منتصبة لتفاجئ قيصر بجرأتها وسحرها وهو من أجمل ما وصفته الأسطورة وأبدعه خيال الكتاب .

وحقيقة الواقعة كما فسرها بعض مؤرخي الإسكندرية أنها دخلت على قيصر بصحبة كاهن معبد آمون الأكبر الذي تولى رعايتها وثقافتها من طفولتها وكان يعتبر أباها الروحي . وقد تخفت في زي أحد الكهنة ـ وهو تفسير أقرب للواقع فليس من المعقول أن يدخل تاجر أجنبي ويخترق حراسة القصر حتى يصل بحمله إلى مجلس قيصر .

أما الجانب الآخر من قصة قيصر وكليوباترا وهو الأكثر أهمية فهو زيارتها لروما لتواجه وتتحدى كاليورنيا وأعداءها الرومانيين ورجال مجلس الشيوخ الذي ثار على قيصر لعلاقته بكليوباترا التي وصفوها بأنها عشيقته ، فكانت المفاجأة الثانية أن أخذت معها ابنها من قيصر الذي أطلق عليه سيزارون وقد أنجبته بعد ولادة عسرة وأجريت لها عملية جراحية حملت في عالم الطب اسم قيصر وهي عملية «القيصرية» .

ويصف المؤرخ بلوتارك رحلتها إلى روما بقوله :

«كانت سفينتها كالعرش اللامع يلمع فوق الماء ومقصورتها مع مؤخرة السفينة مكسوة بألواح الذهب ، وقلوعها أرجوانية اللون ومضمخة بالروائح العطرية ، مما جعل الرياح سكري بالحب معها ، ومجاديفها من الفضة تضرب صفحات الماء على أنغام الناي ورنين الطمبور ـ وجعلت الماء الذي يسير خلفها كأنه هام انتشاء بضرباتها .

أما كليوباترا نفسها فكان الخيال يعجز عن وصفها ، وقد اضطجعت في

سرادقها الذي صنع قماشه من خيوط الذهب ، فكانت صورة فينوس الآتية من الشرق وعلى جانبيها غلمان يتميزون بالرشاقة ، بخدودهم غمازات وكل منهم يشبه كيوبيد وهو يبتسم وبأيديهم .. مراوح متعددة الألوان» ..

ثم يصف بلوتارك كيف دخلت روما وهي محمولة على محفتها متوجة بعصبة من الذهب وتاج رأس الكوبرا (سيدة الحياة) فوق جبينها يجلس فوق ركبتيها طفل ذهبي البشرة ملامحه هي ملامح قيصر دون شك .. ولم تكن هناك حاجة لأي برهان آخر لإثبات نسبه .

وكان الرد ترحيبًا ملكيًا لسيدة ملكية ، رأسه قيصر نفسه مع جميع أعضاء مجلس الشيوخ وقضاة الشعب وقادة الجيش ليحيوها في الفورم باسم الدولة الرومانية .

أرادت كما ذكر وتفرد جونز في كتابه ملكات مصر أن تظهر أمام روما أنها ملكة مصر المحبوبة المرغوب فيها ، وملكة دولة مستقلة أتت لزيارتهم ، وأنها الأم الفخورة بالابن الوحيد لقيصر ويصفها سيشرون الذي عرف عنه كرهه لكليوباترا «أن صراع تلك الراهبة الجميلة مع كالبورنيا زوجة قيصر لتثبت للرومان مكانة المرأة الفرعونية فجعلت من قصرها على نهر التير منتدى يرتاده علماء الرومان وفلاسفتهم ، وحولته إلى مجلس للعلم والأدب والفلسفة تتحدث عنه روما ، وأجمع عظماء روما على أنها ليست بالمرأة الخليعة المستهترة كما سمعوا قبل حضورها .

وذكر شيشرون أنها عاشت عامين في روما لعبت فيه دور الملكة في مجتمع كله من الرجال ، وكانت ملهمة كبار فناني روما وكتابها ، فصنعوا لها مجموعة من التماثيل في صورة فينوس جينريكس التي أقيم لها معبد خاص في الفورم كما تحول كثير من الرومانيين إلى عبادة إلهتها إيزيس.

ولكن مطامعها التي أقنعت بها قيصر لتكون سيدة روما والبحر الأبيض ويقتسما الملك معا ، كانت سببًا في مقتل قيصر يوم ١٥ مارس عام ٤٤ ق . م نتيجة لمؤامرة دبرها صراع امرأتين ، رومانية ومصرية .

كيلوباترا .. وأنطونيو

«كان أنطونيو بالنسبة لكليوباترا حبها الأول والأخير ، كما كانت كليوباترا بالنسبة لأنطونيو حبه الأول والأخير» ..

إن قصة غرام أنطونيو وكيلوباترا لم تبدأ بدخول أنطونيو إلى الإسكندرية بعد موت قيصر ، وقصته المشهورة مع كليوباترا ـ كما أنها لم تبدأ عند إقامتها في روما حيث أقامت عامين في قصرها الذي أعده لها قيصر على نهر التيبر الذي حولته إلى منتدى يجمع عظماء روما وعلماءها وفلاسفتها وأدباءها ، وفيه تعرفت إلى أنطونيو الذي كان كثيرًا ما يحضر مجالسها وندواتها ويشرف على خدمتها كما ذكر شيشرون . بل بدأت قصة ذلك الحب ، أو الصفحة المجهولة من أسطورة الحب الخالد عندما شاهدت أنطونيو لأول مرة وما لبث أنطونيو أن افتتن بها وضحى في سبيلها بكبريائه بل بملكه بل وحياته .

وقضيا الشتاء التالي في الإسكندرية في غرام نسيا فيه كل شيء ، على أن أنطونيو عاد إلى روما وتزوج من أوكتافيا شقيقة اكتافيوس ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى كليوباترا وانغمس معها في حب جارف، نسى في نشوته سلطانه وقواه السياسية والحربية .

وفي عام ٣٠ ق . م اشتبك القيصران في معركة اكتيوم البحرية وآزرت كليوباترا بأسطولها أسطول انطونيو لكنها أمام القوة التي أمامها فرت هي وأنطونيو ، ثم ما لبث أن اشتبك الجيشان في معركة برية على أسوار الإسكندرية لم يحالفهما الحظ أيضًا فيها .

حاولت كليوباترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر وأرسلت إلى أنطونيو من يخبره بمصرعها فقتل نفسه بسنان سيفه وأمر أن يحملوه إليها ليراها قبل أن يلفظ نفسه الأخير ، ثم أيقنت كليوباترا أن القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ،

ويريد أسرها ليزفها كسبية في موكبه الظافر، فانتحرت بسم الأفعى مودعة الحياة مضحية بحياتها حتى لا تصبح رمزًا للعار والهزيمة في موكب القيصر.

ألهمت كليوباترا العديد من الشعراء والأدباء والفنانين العديد من الإبداعات وكان أشهر من رسمها الفنان الإنجليزي «لورانس ألما تاديما» رائد الفن الفيكتوري في القرن التاسع عشر الذي أبدع عدة لوحات لكليوباترا التي وصفها هو راس بأن كل من رأى كليوباترا أجمع على أنها الفتنة بعينها تكمن في شخصيتها ووصفها شاعر يوناني قائلاً : إن سحر كليوباترا ينبع من سحر عينيها التي تتكلم وهي صامته !

وقال عنها بلوتارك إن جاذبيتها تكمن في شفتيها فكل من سمع صوتها وهي تتحدث شعر بنداء الغواية والإغراء، وقال عنها يوليوس قيصر كلمته الشهيرة عندما وقع في أسر غرامها:

«كنت أظن أنني أتيت ورأيت وغزوت» يقصد أنها هي التي غزته وأسرت قلبه من أول لقاء !

وبنهاية حكم كليوباترا انتهى حكم أسرة البطالمة في مصر !

إذن هذه كليوباترا فاتنة الدنيا وحسناء الزمان التي ألهمت الشعراء العرب المعاصرين مثل أحمد شوقي وعبد الرحمن صدقي وعلى محمود طه أجمل قصائدهم وإبداعاتهم ولعل أشهر القصائد في هذا المجال قصيدة شاعر الجندول على محمود طه : «ليالي كليوباترا» التي يقول فيها (1) :

كليوبترا ! أيُّ حُلْمٍ منْ لياليكِ الحسانِ
طافَ بالموجِ فغنَّى وتغَنَّى الشاطئانِ
وهفَا كلّ فؤادٍ وشدا كلّ لسانِ
هذه فاتنةُ الدُّنيا وحسناءُ الزمانِ

(1) على محمود طه : ديوان زهر وخمر، القاهرة ١٩٤٣، ص ٥ .

بُعِثَـــتْ في زورقٍ مُـــسْتَلْهِمٍ مـــن كـــلَّ فـــنِّ
مَـــرِحِ المجـــدافِ يختـــالُ بحـــوراءَ تُغنِّـــي
يـــــا حبيبي،هــــــذه ليلــــــةُ حُبِّــــــي
آه لـــــو شـــــاركتَني أفـــــراحَ قلبـــــي!

***

يــا ضِــفافَ النيــلِ بــالله ويــا خُــضْرَ الــروابي
هــل رأيــتنَّ عــلى النهــر فتًــى غَــضَّ الإهــابِ
أســمرَ الجبهـــةِ كـــالخمرةِ في النَّـــورِ المـــذابِ
ســابحًا في زورقٍ مــن صُــنْع أحــلامِ الــشبابِ؟
إن يكُـــنْ مَـــرَّ وَحَيَّـــا مـــن بعيـــدٍ أو قريـــبِ
فـــصفيه ، وأعيـــدي وصْـــفَهُ فهـــو حبيبـــي !
يـــا حبيبـــي ، هــــذه ليلـــةُ حُبـــيَّ
آهِ لـــــو شـــــارَكْتَني أفـــــراحَ قلبـــــي!

***

ليلَنـــا خمـــرٌ وأشـــواقٌ تُغَنِّـــى حولنـــا
وشراعٌ ســـابحٌ في النَّـــور يَرْعَـــى ظِلّنـــا
كـــان في الليـــل سُـــكارَى ، وأفـــاقوا قبلنـــا
ليـــتهم قـــد عرفـــوا الحـــبَّ فبـــاتوا مثلنـــا
كلـــمَّا غـــرَّد كـــأسٌ شربـــوا الخمـــرةَ لحنـــا
يـــا حبيبـــي ، كـــلّ مـــا في الليـــل رُوحٌ يتغنَّـــى
هـــات كـــأس ، إنّهـــا ليلـــةُ حُبِّـــي
آهِ لـــــو شـــــاركتَني أفـــــراحَ قلبـــــي!

وتجلّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتهدَّاهُ على الموج نَواتيّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهم هتافٌ ونشيدٌ
ومُصَلّونَ لهم في النهرِ محرابٌ عتيدُ
سَحرَتْهم رَوْعَةُ الليلِ فَهُمْ خَلْقٌ جديدُ
كلهمْ ربٌّ يُغَنِّي وإلهٌ يستعيدُ
يا حبيبي ، هذه ليلةُ حُبّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قلبي!

***

اصدَحي ، أيتها الأرواحُ ، باللحْنِ البديعِ
امرَحي يا راقصات الضوءِ بالموج الخليعِ
قَبِّلي ، تحت شراعي ، حُلُمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقًا بين ضفاف النيلِ في ليلِ الرَّبيعِ
رنّحتْهُ موجةٌ تلعبُ في ضوءِ النجومِ
وتُنادِي بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ
يا حبيبي ، هذه ليلةُ حُبّي
آهِ لو شاركتَني أفراحَ قلبي!

***

نبأةٌ كالكأس دارتْ بين عُشّاقٍ سُكارى
سَبقَتْ كلّ جناحٍ في سماءِ النيل طارا
تحملُ الفتنةَ والفرحةَ والوجدَ المثارا
حلوةٌ صافيةُ اللحن كأحلام العذارى

حُلْـمُ عـذراءَ دعاهـا حُبهـا ذات مسـاءِ
فَتغنَّـتْ بـشراعٍ مـن خَيـالِ الـشعراءِ
يـا حبيبـي ، هـذه ليلـةُ حُبِّـي
آهِ لـو شـاركتَني أفـراحَ قلبـي!

***

أنـتِ يـا مـن عُـذْتِ بالـذكرى وأحـلام الليـالي
يـا ابنـةَ النَّهـر الـذي غَنّـاهُ أربـابُ الخيـال
وتمَنّـت فيـه لـو تـسبحُ ربَّـاتُ الجمـالِ
موجـهُ الـشّادي عـشيقُ النّور ، معبـودُ الظـلالِ
لم يَـزَلْ يَـروِي ، وتُـصغى للروايـاتِ الـدهورُ
والضفافُ الخضْر سَكرى ، والسنَّا كـأسٌ تـدورُ
حُلَـمٌ لم تـروِه ليلـةُ حُـبٍّ
فاذكريـه، واسـمعي أفـراحَ قلبـي!

* * *

كما استوحى الشاعر المجدد الدكتور حسن فتح الباب قصيدة رائعة من وحي كليوباترا ضمنها الكثير من الأفكار والصور الشعرية الموحية ، والتعبيرات والألفاظ المتجددة التي تعطي جوًا شاعريًا موحيًا لهذه الملكة الساحرة !

ولكن ماذا ألهمت فاتنة الدنيا وحسناء الزمان أحمد خميس ؟

كان أحمد خميس يريد أن يستلهم من كليوباترا قصيدة غير مسبوقة حشد لها كل إمكانياته وخيالاته ، لكنه كان في كل مرة يذكر لي أن الوحي لم يتأت له بما يريد ولم يكن يرضى عن بعض المقاطع التي كتبها ، وكانت النتيجة قصيدة لم تكتمل ، ورحل عن الحياة قبل أن تكتمل صورتها النهائية .

وكان ما استوحاه من سحر كليوباترا هذين المقطعين[1] :

كليوبـــاترا قبلـــة التـــاريخ في ثغـــر الـــضياء

وعنـــاق الـــزمن الـــشادي وحلـــم الكبريـــاء

وحـــديث في فـــم الأيـــام موصـــول العطـــاء

عـــن صـــبا الإســـكندرية فتنـــة الـــشرق الوضـــيه

والليـــــــــــــالي الـــــــــــــشاعريه

كلما فتحت الأنسام زهرة تتثنى وتحيي كليوباترا

* * *

أقبلـــت في خطـــوك الأمجـــاد ألوانـــا وجـــاءت

وشـــدت في صـــهوة المـــوج المعـــالي وأضـــاءت

تكتـــب العـــز وتحمـــي كـــيفما شـــئت وشـــاءت

تتغنـــــى بالهويـــــة والمقـــــادير الأبيـــــه

والأمـــــــــــــاني الوطنيـــــــــــــه

أمـــــل لا يبتغـــــى الأحـــــرار غـــــيره

مـــــثلما غنتـــــه يومًـــــا كليوبـــــاترا

(١) قرأها عليّ في أحد أمسيات فبراير ٢٠٠٥ في محادثة هاتفية .

عمر الخيام

كان للشاعر الفارسي عمر الخيام (١٠٤٠ - ١١٢٣م) تأثير عميق في الشعراء العرب والشعراء العالميين بفضل رباعياته التي ترجمت إلى معظم اللغات الحية عن الفارسية مباشرة أو عن ترجمة فيتزجيرالد الانجليزية وترجع الشهرة العالمية التي نالتها الرباعيات إلى الترجمة الشعرية الفذة التي قام بها الشاعر الإنجليزي إدوارد فيتزجيرالد عام ١٨٥٩ فدوت أصداء تلك الشهرة في العالم الناطق بالإنجليزية .

أما بالعربية فقد قام بترجمتها عدد من كبار أدباء العرب منهم وديع البستاني، محمد السباعي ، جميل صدقي الزهاوي ، أحمد حامد الصراف ، أحمد زكي أبو شادي ، إبراهيم عبد القادر المازني ، وأحمد رامي ترجمت شعرًا ونثرًا وبالفصحى والعامية لكن تبقى ترجمة أحمد رامي للرباعيات هي الأقرب والأبلغ ليس لأنها ترجمت رأسًا عن الفارسية ولكن لأن رامي تقمص روح الخيام وقدم لنا ملامحه الروحية والوجدانية من خلال رباعياته التي قربها لقراء العربية أكثر غناء كوكب الشرق بعض رباعياتها بألحان الموسيقار العبقري رياض السنباطي .

وقد اختلف الأدباء والنقاد والمؤرخون في صاحب الرباعيات عمر الخيام : من هو عمر الخيام ؟ وفي أي عصر عاش ، وفي أي ميدان برز وصار من الخالدين أفي الشعر أو الفلسفة أو فيهما معًا وهل كان في حياته ماجنًا مستهترًا ؟ أو تقيًا عفيفًا؟ فيلسوف من فلاسفة المادة ، أم صوفيًا زاهدًا من فلاسفة الروح ؟ متفائلاً في نزعته أم متشائمًا ؟

ولكن من هو عمر الخيام الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بفلسفته الأبيقورية وأفكاره الجريئة في الحياة والموت واللذة والألم والتفاؤل والتشاؤم والتجديف والإيمان ؟

ولد غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام في نيسابور عاصمة خراسان حوالي عام ٤٣٣ هـ ـ ١٠٤٠ م في عهد السلطان أرطغرل أول ملوك السلاجقة .

وقد تلقى بدء دراسته في ـ المدرسة ـ الشهيرة بنيسابور ..

وقد تجلت عبقرية عمر الخيام في علوم الفلك والرياضيات والنجوم بجانب شاعريته منذ مطالع شبابه .

وتروى بعض الحكايات التي تثبت نبوغه المبكر وحذقه في مجال الفلك وعلم النجوم ..

من ذلك مثلاً .. أنه في شتاء عام ٥٠٨ هـ في مدينة «مرو» أرسل السلطان ملك شاه في طلب صدر الدين بن المظفر وكلفه أن يخبر الخيام ـ وكان ينزل في داره ـ أن السلطان يريد الخروج للصيد وأنه يطلب من الخيام أن يختار لذلك خمسة أيام لا ينزل فيها مطر ولا ثلج وقبل عمر ما كلف به ثم أرسل ابن المظفر إلى السلطان يخبره بما اختاره ، ولما أعد السلطان عدته للرحيل هطل المطر وهبت الرياح عواصف ونزل الثلج والبرد .

وأراد السلطان أن يعود ولكن الخيام قال : لا تشغل بالك ، فإن المطر سينقطع في هذه الساعة ثم لا يهطل مدة الخمسة الأيام اللاحقة ، وسار السلطان وانقطع المطر طوال الأيام الخمسة .

كما كان الخيام عالمًا في الفقه واللغة والتاريخ ..

يروي أن الخيام دخل ذات مرة على الوزير عبد الرازق وفي مجلسه إمام القراء أبو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراءة على أية صورة فقال الوزير ـ على الخبير سقطنا ـ ثم سأل عمر فذكر له أقوال القراء وعلل كل قول وذكر منها الشواذ وعللها وفضل وجها واحدًا ، فقال الغزالي : أكثر الله العلماء من أمثالك ، ولم أكن أحسب أن أحدًا يحفظ ذلك من القراء فكيف بأحد الحكماء.

وروى أنه مر ببقعة وقد وجد أهلها يشكون من كثرة الطير وما تجلبه من تلويث ملابسهم ، فقام بصنع تمثال من الطين على مكان مرتفع في تلك البقعة فانقطع الطير عنها .

ومن ذلك أيضًا ما روى أن أحد الناقمين عليه كان يحضر ويستمع الدرس في الحكمة عليه ، ثم يذكره بالسوء عند الناس ، فلما علم عمر بذلك أحضر بعض الناس ، وبعض الطبالين ، وخبأهم في داره ، فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات ، فجاء الناس من كل صوب فقال عمر : ـ يا أهل نيسابور ، هذا عالمكم يجيئني كل يوم في هذا الوقت، ويأخذ مني العلم ويذكرني عندكم بما تعلمون ، فإن كنت كما يقول ، فلأي شيء يأخذ علمي ، وإلا فلأي شيء يذكر أستاذه بالسوء .

كان عمر الخيام متواضعًا لا يطلب من الحياة سوى لقمة العيش وأقل القليل الذي يكفيه ومن ذلك ما يروى أنه كان هناك ثلاثة من الصغار في مدينة نيسابور كانوا يتلقون العلم في مدرسة واحدة ، على يد عالم كبير يقال له الأستاذ موفق .

وكانت أسماء هؤلاء الصغار : نظام الملك الطوسي ـ حسن بن الصباح ـ عمر الخيام وقد تعاهدا في صباهم على أنه إذا أخذ القدر بناصر أحدهم فأصبح ذا شأن في الدولة ، كان عليه أن يأخذ بناصر صاحبيه ويستجيب لما يطلبان .

وتخير القدر منهم نظام الملك ، الذي أصبح السلطان ـ ملك شاه ـ وذهب إليه صاحباه يذكرانه بالعهد القديم ، فسألهما أن يتمنيا عليه ما يريدان ..

أما حسن الصباح ، فقد طلب الدنيا ..

وعرض عليه نظام الملك ولاية بعض الألوية ، فأبى وطلب إليه أن يشركه في الوزارة .

ولكن نظام الملك تخير لصاحبه منصبًا في قصر السلطان ، وتولاه فما لبث أن أصبح ذا حظوة عند السلطان وصاحب الكلمة في القصر .

وكلنه كان مغامرًا .

وقيل: أنه مد يده على أموال الدولة .

وقيل أنه طمع في إحدى جواري السلطان .

وانتهى أمره إلى المنفى ، في قلعة اسمها ـ قلعة العقاب ، وهي قلعة نائية موحشة في بطن الصحراء.

وفي هذه القلعة ، قلعة الموت ، ألب حسن الصباح الحراس على قائدهم حتى قتلوه ، ثم استولى على قلوب الحراس ، ودعا بينهم بدعوة الحشاشين المعروفة أصل الطائفة الإسماعيلية ، وزحف بهم فقتل صاحبه نظام الملك ، وقتل كثيرين غيره ، وأصبح ذا سلطان في الدولة .

وراح يبشر بالمذهب الإسماعيلي ، فاحتشد له كثيرون من الناس.

أما عمر الخيام ، فقد طلب عطاء متواضعًا يغنيه عن التفكر في طلب الكفاف ، فأجرى عليه نظام الملك من بيت المال رزقًا سنويًا قدره ألف ومائتا مثقال من الذهب .

وقنع عمر الخيام بهذا العطاء المتواضع ، الذي حدده بنفسه وأصر عليه ولم يقبل أكثر منه .

فلسفة الرباعيات:

لعل أكبر أثر جلب للخيام هذه الشهرة المدوية رباعياته الشعرية وقد طاف فيها بأودية اللذة والشك والتمرد واليقين والألم والأمل ثم التوبة في نهاية الأمر .

الحيرة والقلق

استبدت بالخيام أسئلة حائرة كثيرة أضنته وجعلته يتقلب بين نيران الشك والحيرة والتمرد.

وكان أشد ما يحيره ويثير قلقه تلك الأسئلة التي ظلت تراود روحه وكانت خلاصة تلك الأسئلة الحائرة وتلك الفلسفة ما توصل إليه في حياته من عبر ومن

فلسفة خاصة به في الحياة وتعامله مع المجتمع وكانت خلاصة تلك الفلسفة ما يلي :

* ما أسعد الرجل الذي لا يعرفه أحد .

* ما أهنأ الإنسان الذي لم يهبط الوجود .

* لم خلقت ، وكيف لا أستطيع الرحيل متى أردت .

* ليس لنا إرادة في الحياة .

* القضاء حرب للنفوس الكبيرة .

* لماذا ينمحي العالم إن كان كاملا ولماذا يخلق فاسدًا إن كان في القدرة خلقه خيرًا من ذلك ؟

* ما دامت الحياة بهذا القصر فعلام الألم ومثوانا التراب ، ومجلسنا على العشب الذي غذته أوصال الغابرين .

ثم يستخلص الخيام من هذه التساؤلات فلسفة أبيقورية جريئة تدعو إلى انتهاب اللذة ونشدان المرح والسرور والبعد عن الهموم .

وقد عبر عن تلك الفلسفة في رباعياته ، ومنها قوله :

غـــد بظهـــر الغيـــب واليـــوم لي

وكـــم يخيـــب الظـــن في المقبـــل

ولـــست بالغافـــل حتـــى أرى

جمـــال دنيـــاي ولا أجـــتلي

ومثل قوله في رباعية أخرى :

ســمعت في حلمــي صــوتًا أهــاب

مــا فتــق النــوم كــمام الــشباب

أفــق فــإن النــوم صــنو الــردى

واشرب فمثــواك فــراش الــتراب

ومن تلك الفلسفة الأبيقورية المستمتعة قوله :

قـــد مـــزق البـــدر ســـتار الظـــلام
فـــاغنم صـــفا الوقـــت وهـــات المـــدام

ويدعو إلى انتهاب اللذة والتمتع بالسهر والطرب ، وعدم إضاعة العمر في النوم:

أفـــق خفيـــف الظـــل هـــذا الـــسحر
وهاتهـــا صرفـــا ونـــاغ الـــوتر
فـــما أطـــال النـــوم عمـــرًا ولا
قـــصر في الأعـــمار طـــول الـــسهر

ويحاول الخيام الانغماس في صحبة الكأس والشراب لينسى حيرته وقلقه وتساؤلاته ، ليتخذ من ذلك فلسفة له ويمتع نفسه قبل الرحيل عن الحياة ويعبر عن ذلك بقوله :

ســـمعت صـــوتًا هاتفًـــا في الـــسحر
نـــادي مـــن الحـــان : غفـــاة البـــشر
هبـــوا املـــؤوا كـــأس الطـــلي قبـــل أن
تفعـــم كـــأس العمـــر كـــف القـــدر

ويرى أن أجمل ما في الحياة لديه : النغم والكأس والمرأة الجميلة .

أيـــن النـــديم الـــسمح أيـــن الـــصبوح
فقـــد أمـــض الهـــم قلبـــي الجـــريح
ثلاثـــــة هـــــن أحـــــب المنـــــي
كـــأس وأنغـــام ووجـــه ملـــيح

وللخيام نظرات حكيمة وآراء فلسفية خبرها من تمرسه بالحياة مثل هذه النصيحة بالابتعاد عن الجهلاء :

عـــاشر مـــن النـــاس كبـــار العقـــول

وجانــب الجهــال أهــل الفــضول
واشرب نقيــع الــسم مــن عاقــل
واســكب عــلى الأرض دواء الجهــول

ويدعو الخيام إلى أن يكون الإنسان خلي البال من أمر الحياة :

زخـــارف الـــدنيا أســـاس الألم
وطالـــب الـــدنيا نـــديم النـــدم
فكـــن خـــلي البـــال مـــن أمرهـــا
فكـــل مـــا فيهـــا شـــقاء وهـــم

توبة الخيام:

بعد طول تطواف الخيام بأدوية الحيرة والتساؤل واللذة وانغماسه في دنيا الكأس والمرأة ، يعود إلى الله في توبة صادقة ، ويرى أن الآخرة خير وأبقى له من هذا الضياع وهذا الضلال ، فيقول :

دنيـــاك ســـاعات سراع الـــزوال
وإنـــما العقبـــى خلـــود المـــآل
فهـــل تبيـــع الخلـــد يـــا غـــافلاً
وتـــشتري دنيـــا المنـــى والـــضلال

ويرى أن رحمة الله الواسعة ، ستشمل كل التائبين :

يـــا مـــن يحـــار الفهـــم في قـــدرتك
وتطلـــب الـــنفس حمـــى طاعتـــك
أســـكرني الإثـــم ، ولكننـــي
صـــحوت بالآمـــال في رحمتـــك

وبقلب ملؤه التوبة وحرارة الإيمان والصدق يذكر أنه لم يشرك بالله إطلاقًا وأن هذا سوف يشفع له عند الله تعالى :

إن لم أكـــن أخلـــصت في طاعتـــك

فـــــأنني أطمـــــع في رحمتــــــك
وأنـــــــما يــــــشفع لي أننـــــــي
قـــد عـــشت لا أشرك في وحـــدتك

ويعود إلى رحاب الإيمان يطلب الغفران في صدق وإيمان وحرارة فيقول :

يـــا عـــالم الأسرار علـــم اليقـــين
يـــا كاشـــف الـــضر عـــن البائـــسين
يـــــا قابــــل الأعــــذار فئنــــا إلى
ظلـــــك فأقبــــل توبـــة التـــائبين

ورحل الشاعر الفيلسوف:

وعـاش عمـر الخيـام حيـاة حافلـة بـضروب اللـذة والألم والتمـرد والإيـمان والشك واليقين وعاش بالطول والعرض ولكنه في نهاية حياتـه عـاد إلى رحـاب الإيمان وأخذ يرسل شعره الذي ضمنه توبته النصوح وإيمانه العميق ..

وأخذ في نهاية حياته يكثر من قراءة كتب الدين والتصوف ويغـرق في قـراءة القرآن الكريم والتأمل في ملكوت الله وعظمته .

وروى أنه كان يقرأ في الإلهيات من كتاب الشفاء لابـن سـينا فلـما وصـل إلى فـصل - الواحـد والكثـير - وضـع الكتـاب وقـام فـصلى ثـم أوصى ولم يأكـل ولم يشرب، فلما فرغ من صلاة العـشاء سـجد لله وقـال في سـجوده : اللهـم : إني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي ، فإن معرفتي إياك وسيلتي إليـك ، ثـم أسـلم نفسه الأخير .

توفى عمر الخيام حوالي ٥١٧ هـ - ١١٢٣ م ، في عهد الـسلطان سنجرورو ي النظامي السمرقندي في كتابه - جهـار مقالـة - أي - المقـالات الأربـع - الـذي كتبـه حوالي عام ٥٠٠ هـ وهو أقدم مصدر لتاريخ الخيام ومما رواه عنه .

« هبط عمر بن الخيام عام ٥٠٦ هـ مدينة بلخ ونزل في قصر الأمير أبي سعد وكنت في خدمة الأمير سمعت حجة الحق عمر يقول :

سيكون قبري في موضع تنتثر الأزهار عليه كل زبيع .

وظننته يقول مستحيلا ولكني كنت أعلم أنه لا يلقي القول جزافًا .

« ثم هبطت نيسابور عام ٥٣٠ هـ فقيل لي: إن ذلك الرجل العظيم قد مات، وكان على حق الأستاذ ، فرأيت من واجبي أن أزور قبره وصحبت من يدلني عليه فأخرجني إلى مقبرة الحيرة ، وهناك رأيت أشجار الكمثرى والمشمش وقد تدلت أغصانها من داخل الحديقة ونثرت على قبره النوار حتى كادت تخفيه عن الأبصار فعدت بالذكرى إلى تلك القصة التي سمعتها منه في بلخ وغشيني الحزن وغلبني البكاء لأني لم أكن أعرف له ندا بين الرجال ، ولكني تأسيت وفهمت أن الله تعالى أسكنه فسيح جناته .

وقد روى بعض المؤرخين حكاية الحب الذي كان بين عمر الخيام الفيلسوف المتأمل والشاعر العاشق وبين الفتاة الجميلة «ياسمين» والتي أحبها في مطلع شبابه ثم ماتت وبقيت ذكراها عالقة في قلبه طيلة حياته .

ثم أحب عائشة ، في مرحلة نضجه التي رأى فيها صورة من ياسمين حبه الأول .

ويذكر مؤرخه الكاتب الإنجليزي هارولد لام في كتابه عن حياة عمر الخيام أن الخيام ما كان ليجد مع عائشة تلك السعادة التي كانت أشبه بالألم بين ذراعي ياسمين . كان مع عائشة يستشعر السلام ، كان حبها كالجنة المسورة بورودها التي تزدهر ثم تنثر أوراقها على الأرض غير عابئة بالزمان « أما ياسمين » فكانت تشكل الجنة فهي ذكرى لا تموت .. وإن الجهد ليشتد به أحيانًا فيخيل إليه أن لو رفع رأسه لرآها قادمة تخطر على الطريق إلى «بيت النجوم» ونقابها الهفهاف تملؤه الريح .

في العشق والهوى

وللخيام في العشق والهوى فلسفة تجمع بين القوة والرقة ، والمرح والكآبة ، والأمل واليأس يناجي ربه وهو يشكو ضعفه وعشقه للجمال فيقول :

القلب قد أضناه عشق الجمال

والصدر قد ضاق بما لا يقال

يـــا رب هــل يرضــيك هــذا الظــما
والمـــــاء ينـــساب أمـــامي زلال

ويقول أيضًا عن عشقه للجمال وللكأس :

خـــير لي العـــشق وكـــأس المـــدام
مـــن ادعـــاء الزهـــد والاحتـــشام
لـــو كانـــت النـــار لمـــثلي خلـــت
جنـــات عـــدن مـــن جميـــع الأنـــام

ويقول أيضًا في نفس المعنى :

يحلـــو ارتـــشاف الخمـــر عنـــد الربيـــع
ونـــشر أزهـــار الـــروابي يـــضوع
وتعــــذب الـــشكوى إلى فــــاتن
عـــلى شـــفا الـــوادي الخـــصيب الينيـــع

ويدعو إلى نسيان هموم الروح وأحزان القلب وسط جمال الطبيعة وألحان البلبل الوديع :

صـــفا لـــك اليـــوم ورقّ النـــسيم
وجـــال في الأزهـــار دمـــع الغيـــوم
ورجــــع البلبــــل ألحانــــه
يقـــول : هيـــا اطـــرب وخـــلّ الهمـــوم

وهو بطبعه يأتنس بالوجوه الحسان وشرب الكأس :

طبعـــي ائتنـــاسي بـــالوجوه الحـــسان
وديـــدني شرب عتـــاق الـــدنان

فـــاجمع شـــتات الحـــظ وانعـــم بهـــا
مـــن قبـــل أن تطويـــك كـــف الزمـــان

ويشبه الحب بالنور الذي يسعد ويحرق ، مثل الفراش الذي يسعى للنور وفيه هلاكه :

مـــــصباح قلبــــي يـــستمد الـــضياء
مـــن طلعـــة الغيـــد ذوات البهـــاء
لكننـــي مثـــل الفـــراش الـــذي
يـــسعى إلى النـــور وفيـــه الفنـــاء

ويفرق بين ضرام الحب وعنفوانه وفورة الهوى وشعلته الخابية :

نـــار الهـــوى تمنـــع طيـــب المقـــام
وراحـــة الـــنفس ولـــذ الطعـــام
وفـــاتر الحـــب ضـــعيف اللظـــى
منطفـــئ الـــشعلة خـــابئ الـــضرام

وينعي على من يقضي عمره في عبادة المال وطلب الغنى:

مـــن يحـــسب المـــال أحـــب المنـــى
ويـــزرع الأرض يريـــد الغنـــى
يفـــارق الـــدنيا ولم يختـــبر
في كـــده أحـــوال هـــذي الـــدنى

ورغم هذه الفلسفة الخيامية الداعية إلى انتهاب اللذات والبعد عن كل ما يكدر سعادة الإنسان وراحته إلا أن الخيام لم يكن أبيقوري المذهب ، فأبيقور لا يؤمن بالقضاء المحتوم ولا بأن لهذا العالم نظاما مقدرًا لا يتغير ، ويذهب إلى أن أساس الكون ومحور نظامه هو الاضطرار والجبر لكن الخيام يؤمن بالقضاء

والقدر ، فقد عرف عنه الحكمة والفلسفة واشتهر بعلمه في الفلك والفقه، وكان مسلما مؤمنا بقضاء الله وقدره .

وكان من أكثر المتأثرين بفلسفة عمر الخيام وتأملاته في الكون والحياة الحب شاعر التساؤل إيليا أبو ماضي وشاعر الجندول على محمود طه وخليفته أحمد خميس .

بين الخيام وأحمد خميس

نرى في رباعيات أحمد خميس الكثير من المفردات الخيامية مثل الخمر والكأس والحسن والطبيعة الغناء الطروب وقصر الحياة وأسئلة ما بعد الحياة والجنة والنار وطلب عفو الله وعبادة الحسن والجمال والضيق بلوم اللائمين على فلسفة الحب والوصال مع الحسان التي تجمل الحياة وتجعل الكون أكثر بهاء وسعادة وحسنا .

نجد تأثر أحمد خميس في رباعياته بالخيام في الشكل والمضمون إلى درجة امتزاجه بفلسفة الخيام وبروحه العاشقة المتمردة المتسائلة الحائرة المؤمنة التائبة انظر مثلاً هذه الرباعية لأحمد خميس[1] :

زارني في وحدتي طيف الربيع
راقصًا يحمل ضحكًا وغطور
ورمى في كأس أحلامي الصديع
نظرة حيرى .. وشيئًا من زهور

ثم هذه الرباعية التي يأسى فيها على مرور الربيع الذي ولى وراح تحت أقدام الخريف :

يا ربيعًا بات رهن الذكريات
صرعت أوراقه كف الخريف
لم تعد إلا بقايا خاملات
وصدى عطر من الماضي الوريف

(1) أحمد خميس / ديوان الروابي الخضر وديوانه المخطوط بمكتبتي .

ألا تجد فيها روح عمر الخيام العميقة وفلسفته المحبة للحياة الداعية إلى التمتع بملذاتها ونسيان الألم وتساؤلاته الحائرة وخوفه من الخريف والفناء والرحيل.

إن تأثر أحمد خميس بروح عمر الخيام وفلسفته وفكره أضافت إلى رباعياته أبعادًا فلسفية عميقة، وأثرت فلسفته في الحياة والكون وعبادة الحسن وعشق الجمال، ألم تعبر رباعيات أحمد خميس عن مثل هذه الروح الخيامية الفلسفية في قوله مثلاً:

هـذه البـسمة والوجـه الـصبوح
قبلـة النـور عـلى خـد القمـر
وانعطـاف الجيـد والـصدر الطمـوح
قـدر ... يعطـف أحكـام القـدر

أليست روح الخيام قد حلت في روح أحمد خميس وسقته عطور الجمال، وهو يهمس بأعماق الشاعر وتأثيره [1]:

خطـوة الـشاعر في الأرض عطـاء
أيـنما حـل .. وأيـان ارتحـل
عبقـري الحـزن .. مـشبوب الرجـاء
يـزرع الحـب .. ويقتـات الأمـل

الخيام المصري:

إذن كانت رباعيات الشاعر الفارسي عمر الخيام التي ترجمها عن الفارسية شعرًا أحمد رامي أحد أبرز المؤثرات في شعر أحمد خميس وفلسفته في الحياة والحب والوجود.

(1) من ديوان أحمد خميس المجهول في مكتبتي.

وإذا كان النقاد يأخذون عليه أنه غالي في «تمجيد» الحواس أكثر من العقل الذي كان يجله برغم كل شيء ، فما ذلك إلا أنه قد فشل في أن ينطق عقله بالإجابة عن الكثير من الأسئلة التي حيرته أو يجد عند العقل حلا للمشكلات التي تثير تساؤلاته وحيرته وشجنه .

على أنه بالرغم مما يبدو في رباعياته من الشك في أمور الخلق والوجود والحياة والموت ، فقد عاش حياته مؤمنا بوجود الله خالق الكون ، حريصًا على تأدية الصلاة في مواعيدها بل أنه قد أدى فريضة الحج .

وقد امتلأ أحمد خميس بشخصية الخيام وفلسفته ، فتلبسته شخصية الخيام الشاعر فأصبح مثله يسجل اهتزازات قلبه فينطلق شعره من سجن التقاليد فيرسل معانيه كما يرسل القمر ضوءه ، أو الزهرة عبيرها والبلبل أغاريده .. فهل يعنف الزهرة إنسان ، أو يوبخ الشادي أحد ، أو يلوم القمر عاقل ؟!

وكانت للخيام فلسفة مؤمن عميق الإيمان تدعو إلى اجتناب الأسى والهموم، لأن العمر سريع الزوال فيعب من متع الحياة ، ولذاتها بين الشراب وكأس الرضاب في ظلال الطبيعة قبل أن «تسفيه كف القدر » !

وقد يتهم البعض الخيام بأنه كان متناقضًا مع نفسه ، فهو تارة ماجن مستهتر، وتارة أخرى زاهد متنسك ، وحينا ملحد كافر ، وحينا آخر مؤمن عميق الإيمان .. تارة متفائل ، وتارة أخرى متشائم ..

في رباعياته تجد رائحه الخمر واللذة .. وصلوات الابتهال والاستغفار ..

والحقيقة أن هذا ليس تناقضًا .. بل هي موجات من الحب والأمل والشك والإيمان ، واللذة والألم اصطرعت في نفسه وروحه ، سبح خلالها في بحار الحيرة والتساؤل والشك حتى وصل إلى شاطئ الحب واليقين والإيمان ، فكان إيمانه عميقًا ثابتًا راسخًا بعد رحلته المضنية في تلك البحار الصاخبة المتسائلة ، وهكذا شاعرنا أحمد خميس خاض نفس الرحلة الوجدانية والروحية المضنية حتى وصل إلى شاطئ اليقين والإيمان والحب والأمل !

أصبح الخيام المصري الجديد شاعرًا صادقًا عكس لنا خفقات قلبه وهمسات روحه ونوازع وجدانه .

كان شاعر الرباعيات عمر الخيام بقلبه المشبوب وحسه المرهف ، وروحه الطامح المتوثب، وخياله المرح المتفلسف وعقله المتأمل في ملكوت الكون قد حاول استكناه أسرار الكون، واستشراف المجهول ، وأن رده قصور عقله الإنساني عن تفسير لأسئلته الحائرة ، فاندفع إلى نشدان المتعة في الخمر والمرأة ، ليجد فيهما السلوى عن عجزه الإنساني ، فصدحت هذه الرباعيات في نفس على محمود طه مستلهما منها «كأس الخيام» التي قال فيها [1] :

كلما لألأ في الشرق السنا
دقت الباب الأكف الناحله
أيها الخمار .. قم وافتح لنا
واسقنا قبل رحيل القافله

* * *

خمرة العشاق لازالت ولا
جف من ينبوعها نهر الحياة
نضبت في قدح العمر الطلا
وهي في الأرواح تستهوي الشفاه

ثم يخاطب على محمود طه شاعر الرباعيات عمر الخيام مستذكرًا موطنه نيسابور بأجوائها الحالمة الساحرة :

أيها الخالد في الدنيا غرامًا
أين نيسابور ، والروح الأنيق ؟

(1) على محمود طه ، ليالي الملاح التائه ، قصيدة ، كأس الخيام .

أيــن معــشوقك إبريقــا وجامــا ؟

هـل حطمـن الكـأس ؟ أم جـف الرحيـق

أما شاعر الروابي أحمد خميس فقد مزج بين فلسفته وحسه الجمالي وروح شاعر الرباعيات ، فأبدع لنا همسات للخيام رائعة [1] :

لا تلمنــي إن بــدا نــور الــصباح

وأنــا لاه بكــأسي ... لا أفيــق

ســنة العــيش .. غــدو ورواح

وغــدًا .. تــشتاقنا هــذى الطريــق

* * *

زهــرة العمــر إذا لم تــسقها

بالرضــاب الحلــو والحــسن الجميــل

لا تنثنــت تــنفض عــن أوراقهــا

وهــي تــستعجل أيــام الزحيــل

ثم يردد مع الخيام تساؤلاته الحائرة :

أيهــا التائــه في كنــه الوجــود

فاتــك العمــر وأضــناك المــدار

عبثــا تــسعى إلى سر الخلــود

يــا مقــيم الليــل بحثًــا .. والنهــار

والملفت للنظر أن فلسفة عمر الخيام استغرقت أحمد خميس منذ مطلع شبابه، وتلبست روح الخيام وجدان شاعر الروابي الخضر ، حيث استخلص لنا بعض

(1) الهلال : مارس ١٩٥٣ .

همسات الخيام في مناجاة وجدانية حميمة شجيه، وهو ما زال في مطلع شبابه في الثامنة والعشرين من عمره[1] :

هتفـــت بي في منـــامي همـــسة :

لا تـــضع ليلـــك في نـــوم ســـقيم

قـــد حلـــت فـــوق الـــروابي جلـــسة

فأعـــد شـــدوك واللحـــن القـــديم

***

يـــا نـــديم العمـــر .. هيـــا نجتـــل

صـــبوة العمـــر التـــي لا تخلـــد

واغتـــنم صـــفو الزمـــان الحـــول

قـــبلما يـــودي بنـــا أو يجحـــد

***

فكـــرة مـــن عـــالم الغيـــب القـــديم

رقـــصت آلهـــة الفـــن .. لهـــا

وغـــدت خمـــرًا عـــلى ثغـــر النـــديم

فـــرأى العـــالم في ياقوتهـــا !

***

ذلـــك الغريـــد في مهـــد النـــدى

عـــامر اللحـــن . تـــسامي وزهـــا

كيـــف يغـــدو ذا الطليـــق المنـــشدا

لوجفـــا منقـــاره حباتهـــا

(1) الهلال، مارس ١٩٥٣، ٣٨.

تـــه عـــلى كــف الربيـــع النـــاضر
واجتلـــب متعـــة كاســـات المـــرح
إنـــما خفـــق الفـــؤاد الـــشاعر
حبـــب يطفـــو عـــلى ســـطح القـــدح

***

هـــات .. زدني مـــن أفـــانين الحيـــاة
يـــا أخـــا الـــروح ، ودعنـــي مـــن غـــدى
قـــد غفـــا الأمـــس عـــلى صـــدر ســـواه
وغـــدٌ .. مـــا زال رهـــن المولـــد

***

سرت بـــين الـــروض أنـــسى مـــا بيـــه
وأرد الـــروح .. روحـــا شـــاعره
فرأيـــت الله .. عينـــا صـــاحيه
ويـــدا تحنـــو .. وأخـــرى قـــادره

***

ســـاعة مـــرت مـــن العمـــر الحبيـــب
أيقظتنـــي مـــن رؤاهـــا رغبـــة
أيـــن تمـــضي دورة الكـــون العجيـــب
وهـــو في كـــف المنايـــا لعبـــة

من رباعيات الخيام المصري:

في رباعيات أحمد خميس نجد أنفاس عمر الخيام وشطحاته وتأملاته وفلسفة حياته بين الشك واليقين والإثم والتوبة :

عـــش كـــما تحيـــا فراشـــات الزهـــو
تلـــثم العطـــر .. وتلهـــو بالـــسنا
مـــا تراهـــا بـــين أهـــوال الـــسفر
تمـــزج النـــور .. بمعـــسول الجنـــي

* * *

قـــم خـــلي البـــال .. مجلـــو الـــرواء
واغتـــسل قلبًـــا .. ونفـــسًا .. ومنـــى
فـــالربيع الطفـــل بالآمـــال جـــاء
والـــروابي الخـــضر تـــشدو للـــسَّنا

* * *

عـــشتُ للحـــب وأحـــلام المنـــى
وحبيـــب يـــزرع الأيـــام نـــشوه
وُيفيـــق الكـــون حـــولي .. وأنـــا
نـــشوتي تفـــضُل عنـــدي ألـــف صـــحوه

* * *

غَفـــوُة الحـــسّ .. ونـــسيانُ الأمـــلّ
خـــيرُ مـــا تمنحـــه كـــأس الرضـــا
فـــاشرب الآن عـــلى جَـــرْس القُبـــل
قبـــل أن يـــدركنا حُكـــم القَـــضا

* * *

يـــا فُـــؤادي .. نـــضُبتْ كـــأسُ الهـــوى
وليـــالي الـــشوق مـــا زالـــت ظِـــما
كـــم عـــلى فيـــضك غنـــيٌّ وارتـــوى

مــــنُعمٌ بالحــــبِّ .. لاقـــى الـــمُنعما

* * *

رقــــصتْ في حانـــة الليــــل النجــــوم
وانتـــشتْ حتـــى غــــلالات القمـــــر
فكـــــأن الليــــل بـــــستانُ كـــــروم
وقلـــــــوبٌ تتهيــــــا للــــــسمر

* * *

عابــــد الـــنجم الــــذي هـــام .. وتـــاه
وأثـــــار الليــــل سُـــهدًا .. وضــــنَى
قـــد خبـــا الـــنجمُ .. وأغفـــت مُقلتـــاه
فـــأفقْ يـــا صـــاح مـــن وهـــم الــــمُنى

* * *

ربِّ .. إني مُــــودعٌ قلبــــي لـــــديك
وهــــــو يــــسنى برفيـــــع النــــــدم
أو تـــرضى .. وهـــو مـــن صـــنيع يـــديك
أن يُـــــــردَّي في جحـــــــيم الألم

* * *

إن يكـــن هجـــرُك أجـــرى مـــدمعي
وعرفـــتُ الـــصبر مـــن صـــبري معـــك
فأنـــــا .. يـــــا طالمـــــا غنَّــــى معـــــي
ضـــاحك الوصـــل .. الـــذي كـــم أمتعـــك

* * *

يـــــا حبيبًـــــا مـــــال عنـــــى طيفـــــهُ

أرسلَ الطرفَ .. وأغفى وانتَشى
فكأن الشوق لا يعرفهُ
وكأن السهد عنّي ما وشَى

* * *

سيِّدي .. والحسن ولاَّك العُلا
كم سعى حُسنكَ فينا .. وأذل
غير أن العتب حقُّ المُبتلى
وعتابي لك .. تسليمٌ ودل

* * *

وغزالٌ خِلْتُ أنّي صدتهُ
وأرحت القلب من شُغل الغزل
كلما عاتبني .. ألفيتُه
لم يزل يرعى .. بقلبي لم يزل

* * *

ما عفا قابيلُ عن هابيل .. لكن
أورث الإنسانَ فوق الأرض شرَّه
ثم أوصى بين صرخات الضَّغائن
بلقاءٍ بين معتوهٍ .. وذرَّهْ

* * *

في سِجلّ العُمر .. والسَّفر النَّحيل
كلَ حيٍّ عاكف .. يُكملُ سَطْره
وسواءٌ كان بعثًا .. أو رحيل
لن يزيد البحرُ أو ينقُص قَطْره

كـــم غـــزا الإدراك أفـــلاك الأثـــير
فـــإذا مـــا زاد تيهًـــا .. وارتفـــعْ
هالـــهُ الإعجـــازُ .. والفـــيضُ الكبـــير
فـــإذا بـــالطير يعُلـــو .. لِيقَـــعْ

أحمد خميس شاعرا غنائيًا

لما كان أحمد خميس من أبرز شعراء القصيدة الوجدانية الغنائية في الشعر العربي المعاصر ، حيث يعد امتدادًا لمدرسة على محمود طه في الشعر الغنائي ، فأصبحت قصائده تغني قبل أن تلحن على حد تعبير الموسيقار محمد عبد الوهاب عن شعره .

حيث اتسمت قصائده بدرجة عالية من الموسيقا والنغم ، نظرا لاختياره لأوزان ذات نغم عال وألفاظ ذات رنين موسيقى عذب مثل : الروح المذاب - أغاريد الربيع - لحن الخلود - موكب السحر - نهر الخيال - أسرار الليالي - أنفاس العذارى - نشوان الصدى - أساطير الليالي - ابنة السحر ، وغيرها من قاموسه الشعري المنغم الساحر .

فأصبحت أبرز ملامح الموسيقا في شعره ظاهرة «التناغم الصوتي» وهي الظاهرة التي وصفت بها الشاعرة نازك الملائكة شعر على محمود طه وهي ظاهرة فية تؤكد على حسه الشعري المرهف الذي كان يملكه .

والمقصود بتعبير « التناغم الصوتي» هو إحساس الشاعر بالحروف إحساسًا خاص ، بحيث تأتي في شعره متناسقة متناغمة تشكل «هارموني موسيقى متناغم» كأنها سيمفونية حالمة تعطينا أنغامًا رائعة ، فكلما تدفق الشاعر وأبدع في رسم الجو وتجسيده وتصوير أجوائه وعالمه ظهرت بوضوح ظاهرة «التناغم الصوتي والموسيقى» في شعره .

ومن نماذج ذلك التناغم الموسيقى في شعر أحمد خميس قوله في قصيدة خمرة الربيع :

يا صحابي .. رددوا أنشودة القلب الطليق

واسمعوا رجع الأماني من رفيق لرفيق

فهنـا في موكـب الـسحر ومغنـاه الأنيـق

كـل ثغـر فتنة تغـري وكـأس مـن رحيـق

إذا نظرنـا إلى كلمات «القلـب الطليق ـ موكـب السحر ـ كـأس مـن رحيـق ـ الربيع الطلق وجـدنا ذلـك التنـاغم الموسيقى الـذي يجسد لنـا ذلـك الجـو المرح المنتشي الذي يصفه لنا شاعر الروابي .

ولذلك لم يكن غريبًا أن تتحول قصائده إلى غنائيات ناجحـة بأصـوات كبـار المطربين والمطربات العرب.

فغنى له الموسيقار محمد عبد الوهـاب قـصيدة «الـروابي الخـضر» وغنـى لـه الموسيقار فريد الأطرش نشيد البعث الجديد الذي مطلعه :

بنــي مــصر قــد راح ليــل العبيــد

فكونـــوا لمــصر الــضياء الجديــد

كما غنى له الموسيقار فريد الأطرش أيضًا قصيدته «رجال الغـد» التـي يقـول مطلعها :

دعــا الفجــر هيــا رجــال الغــد

فهبــوا فإنــا عــلى موعــد

وغنت له المطربة سعاد محمد قصيدته «الضياء» التي لحنها الموسيقار ريـاض السنباطي ويقول مطلعها :

ضــياء مــن الــشرق هــز الــضياء

فغنــت لــه جنبــات الــسماء

وغنـت لـه نجـاح سـلام قـصيدته موكـب الخالـدين بمناسـبة وحـدة مـصر وسوريا عام ١٩٥٨ بتلحين الموسيقار رياض السنباطي ومطلعها :

أقبــل نــدى الغــار حلــو الموكــب

واسكب رحيق النور للفجر الصبي

وغنى له المطرب السوري نجيب السراج قصيدته « حديث الحب» ومطلعها :

إذا ما عانق الليل حديث الحب والشعر

وغنت بالمنى الأرواح في أرغنها السحري

وراح الليل موسيقا من الألوان والعطر

فقومي يا عروس الروح يا حلم الهوى البكر

وعودي للهوى عودي على أشواقي الحمر

***

هناك على ظلال الحور يحيا بالمنى قلبي

يعيش العمر صداحا على درب الهوى العذب

ويحكي قصة الينبوع والأنسام والعشب

فقومي يا عروس الروح يا حلم الهوى البكر

وعودى للهوى عودي على أشواقي الحمر

كما تغنت أيضًا المطربة سعاد محمد بقصيدته الوطنية «الموكب الكبير» التي يقول مطلعها:

مع الفجر هذا ضحانا يسير

يضم الصباح على أرضنا

وللموكب العربي الكبير

هتاف تدفق من عمرنا

ونحن الأباة ونحن الحماة

ونحـــن مـــن الفجـــر فجـــر يـــسير

يـــضم الـــصباح عـــلى أرضـــنا

كما غنت له أيضًا المطربة لور داكاش قصيدة له العاطفي.

* * *

كان شعر أحمد خميس الوجداني الغنائي الذي اتسم بالرومانسية وتحليق الخيال وذلك التناغم الموسيقى الرائع هو الأقرب للغناء، سواء في شعره الوجداني العاطفي، أو في شعره الوجداني القومي والوطني فاستحالت قصائده على لهاة المطربين والمطربات سيمفونية من النغم والغناء الشجي المطرب الذي يوقظ المشاعر ويهز النفس، ويمس شغاف القلوب.

الصورة الفنية:

الصورة الفنية عند أحمد خميس - قامت - شأنه شأن الشعراء الرومانسيين - على «الخلق الذاتي» وليس على التمثيل المحاكي عند الكلاسيكيين الذين كانت عناصر الصورة عندهم تستمد غالبا - من معطيات الحواس خاصة «المرئي» منها، ولذلك نجد في صور الكلاسيكي نوعا من «محاكاة» العالم المعطي، ولذلك يقترب الشعر الكلاسيكي من فنون الرسم والتصوير، الصورة الشعرية عند أحمد خميس وعند الشاعر الرومانسي تعبير ذاتي وخلق فني تبدعه مخيلة الغناء، لا ترى الكون إلا من خلال مرآة الذات، ولا تعكس الرؤية إلا ممتزجة متفاعلة بوجدان الشاعر الذي يستبطن عالمه الداخلي، وأعماقه الوجدانية أكثر من بصره بواقعه الخارجي، فهو في هذه الحالة لا يحاكي الواقع، وإنما يقدم لنا صورة رمزية له ممتزجة بذاته وداخله ووجدانه مغلفة بإحساسه المتفرد، ومشاعره الذاتية.

شعر أحمد خميس الرومانسي يؤكد لنا ثراء قاموسه الشعري وثراء عالمه الذاتي وتنوع تجاربه وعمق طاقة مخيلته وخصوبتها.

انظر مثلاً كيف مزج الشاعر بين سعادته ونشوته مع ملهمته وبين امتزاج النيل والليل والطبيعة حوله حتى إن النيل أصبح عطرًا، والليل تجلى أنشودة

تتغنى لتبارك المحبين وتشاطرهم لحظات السعادة والهناء:

وتبعنـا رغبـة الـروح وأهـواء الـصبا

وتبـدى الليـل مفتونـا تغنـي وصـبا

وبـدا لألاؤهـا يعبـث في صـدر الـربي

فانطلقنـا بـين خمـر وجنـى

كخيـالين عـلى ذوب المنـى

إن صوره الشعرية تجسد الكون والطبيعة في اكتمالها وتمازجها ، مع ائتلاف موسيقا الشعر فتكون سيمفونية رائعة للحب والجمال .

أحمد خميس برموزه وصوره الشعرية يحاول أن يجسد الأشياء المعنوية ويبث الحياة في الأشياء المادية المحسوسة ، فيمزج بين عناصر الكون في وحدة فنية خصبة ، بحيث ترى مشاعره الذتية ممتزجة بجمال الطبيعة والكون ومما ساعده على ذلك قاموسه الشعري الثري ، ومعجمه التصويري المنوع ، فاستطاع أن يقدم لنا مجموعة من اللوحات الفنية الحية ذات النسق الفكري والفني المتناغم ممتزجة برؤية الشاعر الفنية ووجدانه العاطفي وموقفه الفكري .

فالصور الشعرية عند أحمد خميس التي استمدها من خياله الخصب ترتبط بموقفه الفكري ورؤيته الشعرية ، فيتضافر الشكل والمضمون ، وتتسق الأداة والموقف في شعره بتشكيل جمالي يؤكد اتساق مخيلته وخصوبتها .

إن القاموس التصويري عند أحمد خميس الذي ينطلق فيه من موقفه الفكري ورؤيته الفنية يستخدم تراكيب شعرية خاصة به ، فيها التشخيص الفني للمحسوسات والمعنويات حيث يوظف صوره الشعرية لترمز لتجربته العاطفية والإنسانية والجمالية .

وإذا طالعنا شعر أحمد خميس الوجداني وجدنا العديد من الصور الشعرية التي رمز فيها لتجاربه ومواقفه الفكرية فعمقت تشكيل بناء الصورة إلى مستوى أعمق في التجريد المعنوي والدلالة الفنية مما أعطى صوره الشعرية الكثير من الحيوية والعمق والثراء الفني والجمالي .

وإذا كان «الحب» قد سيطر على معظم تجربته الفنية في مطالع شبابه (١٩٤٩ ـ ١٩٥٤) فقد استطاع أن يقدم لنا خلال هذه الفترة رؤيته الفكرية وفلسفته الجمالية في الحب والجمال والحياة بصورة عميقة متميزة .

في مرآة فاروق شوشة:

ويستذكر الشاعر والناقد الكبير فاروق شوشة بعض ذكرياته عن شاعر الروابي الخضر ، أحمد خميس ويفصل لنا أبرز ملامح شخصيته الإنسانية ، وتجربته الشعرية ، حيث يعتبره أحد القلائل الذين تمسكوا بالرومانسية ، لكن طغت شهرته الفنية كممثل على شهرته الشعرية ، فقال[1] :

« في صمت وهدوء ، وفي خضم أحداث صاخبة ومفتعلة رحل عنا الشاعر والإذاعي أحمد خميس ، الذي اتسعت حياته ـ في بواكيرها ـ للعمل الإذاعي في إذاعة الإسكندرية والقاهرة ، قبل أن يصبح واحدًا من نجوم التمثيل في الإذاعة والسينما والتليفزيون . أما الشعر فقد ظفر منه بمجموعة شعرية واحدة أصدرها عام ١٩٩٥ ، سماها باسم أشهر قصائده وأكثرها دورانا وهي قصيدة «الروابي الخضر» التي تغني بها الموسيقار محمد عبد الوهاب ، فلفتت الأنظار إلى الشاعر، وعرفت الأوساط الأدبية والشعرية به وبشعره ، وبخاصة عندما جعل الإذاعي الكبير وجدي الحكيم من أبياتها الأولى المغناة لحنًا مميزًا لسهرته الإذاعية الشهيرة «ليالي الشرق» في إذاعة صوت العرب .

وأحمد خميس ـ في دماثته الإنسانية والشعرية والفنية ـ واحد من الأصوات الشعرية التي ظلت عاكفة على محراب القصيدة الرومانسية ، بعد رحيل أقطابها من شعراء جماعة أبوللو إبراهيم ناجي، على محمود طه ، أبو القاسم الشابي ، محمد عبد المعطي الهمشري ، محمود حسن إسماعيل ، أحمد رامي، أحمد فتحي ، صالح جودت ، ومختار الوكيل ، وغيرهم .. ولم تكد أصوات هؤلاء الرواد تخفت حتى كانت الموجة الأولى من رواد حركة الشعر الجديد أو الشعر الحر ـ منذ أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات قد بدأت تعلن عن ميلاد النماذج

(١) صحيفة الأهرام ـ ١٤ من يونيه ٢٠٠٩ .

الأولى في تيار الشعر الواقعي التي ارتبطت به قصيدة التفعيلة وتغيرت ذائقة الجمهور الأدبي ، الذي بدأ يتابع إبداعات عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور في مصر ، والسياب ونازك الملائكة والبياتي في العراق ، متوقفًا عند مغامراتهم وكشوفهم وصياغاتهم - على اختلافهم - لنمط جديد من القصيدة الشعرية ، لم يكن معروفًا من قبل .

وفي ظل هذا الانحسار الرومانسي والتفجر الواقعي كان شعر أحمد خميس وأضرابه من الشعراء: إبراهيم عيسى ومحمد الجيار وعبده بدوي وعلى الصياد وغيرهم يمثل من ظلوا يحيون على ضفاف القصيدة الرومانسية وينفخون في جذوتها ، مؤملين أن يكون لها الدور والتأثير الذي حققه شعراء أبوللو من الرواد . واختار أحمد خميس أن يكون الأقرب إلى نموذج الشاعر الملاح على محمود طه ، في هيامه بالطبيعة والجمال ، وبخاصة في رحلاته الصيفية المتتابعة إلى أوروبا وبحثه عن مواطن الفتنة والانطلاق ، وتصيد لحظات المتعة والنشوة . ويبدو أن تغني الموسيقار محمد عبد الوهاب بقصيدتيه : الجندول وكليوباترا قد جعل من شعره نموذجا يستهوي الشعراء الشباب، يحاولون محاكاته وترسم خطاه ، واقتباس صيغة الرباعيات التي اختارها لكثير من قصائده البديعة. وكان أحمد خميس من هؤلاء الشعراء الذين اجتذبهم هذا القالب الشعري يضمنه نفثات وجدانه وأشواق روحه . يقول محاكيا لغة على محمود طه وتقسيماته النغمية والإيقاعية في قصيدة عنوانها «رقصة» :

أي همس حالم الإيقاع نشوان الصدى
طاف كالفرحة ، كالنجوى ، كلألاء الندى
حين ناداني وحيا وهو يلقي لي يدا
قلت : أهلا ، فتثنى ورنا
وتبدى لي الرفيق المحسنا
نظرة ثم دعاني قائلاً في همستين
أيها المفتون ماذا لو شربنا قدحين
قلت : هات فأنا سمع وأصداء وعين

وصولاً إلى «النغمة» التي طالما عزفها على محمود طه ، في تصويره للتقابل بين «الشرق» الذي يسري في دمائه ، و«الغرب» الذي يجتاحه بحريته وانطلاقه ، يقول أحمد خميس :

يا أخا الغرب ليالي الشرق عشق وهوى
وضفاف ظمىء الحب عليها وارتوى
وشباب خالد الفتنة معبود الروا
فتعال اسكب على روحي وقلبي غنوتين
وترفق يا أخا الغرب وخذها قبلتين
فأنا آه أنا سمع وأصداء وعين

والتفاتًا إلى رباعياته التي مزج فيها بين إصغائه العميق للخيام وعلى محمود طه حين يقول:

عش كما تحيا فراشات الزهر
تلثم العطر وتلهو بالسنا
ما تراها بين أهوال السفر
تمزج النور بمعسول الجنى!

ويرحل أحمد خميس الذي طغت شهرته الفنية في التمثيل على شهرته الشعرية ، بعد أن توقف عن مواصلة أنفاسه الرومانسية في زمن لم يعد يتسع لها أو يفسح لها من اهتمامه ، تاركا في أسماعنا شدو عبد الوهاب بأبيات قصيدته «الروابي الخضر» وهو يقول :

ياليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء
فالروابي الخضر تشدو والسنا حلو الرواء
والأماني هتاف ، عزفته الضفتان
فجرى في مقلة الأرض ، وفي قلب السماء!

* * *

شاعر الحب

يعد شعر الحب أعذب الألوان الشعرية بشرط أن يتسم بصدق العاطفة وحرارة المشاعر، والمقصود بشعر الحب هو ذلك الغناء العاطفي اللهيف الذي يصدر عن العاشق ، ليعبر فيه عن مشاعره المشتعلة وحنينه المعذب الذي لا يهدأ وهو يختلف عن الشعر الوصفي الذي يصدر عن الإعجاب الحسي الذي لا يصل إلى درجة الجد ، وفيه يملك الشاعر من هدوء القلب واستقلال الذهن ما يستطيع معه أن يتأنق ويختار وينظر إلى الموصوف من الخارج فيصفه وصفًا جميلاً دون أن يضيع فيه ومثل هذا الشاعر واصف لا عاشق ، وبينه وبين العاشق عدة فروق تحددها د. نازك الملائكة وهي :[1] إن الشعر بالنسبة للعاشق مسألة حياة فهو يغني لأن عواطفه تعذبه فلا يجد منفذًا لها في غير التعبير ، ولذلك تجيء قصائد العشاق دافقة بالشعور الحي والحرارة الخصبة والجمال الثر والفرق الثاني أن العاشق مثالي لا يقوى على رؤية تفاصيل موضوعه ، وإنما يحلق في ضباب الخيال فيسبغ على من يحب تهاويل الرؤى وفتنة المجهول وسحر المثال الذي يصطبغ برغبات الروح وهو في ذلك خلاف الشاعر الواصف الذي ينظر إلى الموصوف فاحصا فيراه على حقيقته دونما زخارف ، فإذا زخّرفه فعل ذلك وهو واع لكي يمنح قصيدته سمة التحليق الطبيعي الذي هو جوهر كل شعر جميل ، فالجمال في القصيدة غاية الواصف ، بينما عند العاشق نتيجة غير مقصودة، فالواصف يصف ولا يحب ، بينما العاشق يحب ولا يصف أما الفرق الثالث فإن العاشق إنسان ذا عقل يكاد يغيب ـ في ضباب من رغباته غير الواعية ، وتعصف به أجواء العوالم العاطفية التي يهيم فيها لأنه يصبح أسير هواه ، يهيم فلا يقوى على الوصف ، فقصارى ما يستطيع هو أن يصرخ معبرًا عن مشاعره ، أما الواصف فيملك وعيه الكامل فيستطيع أن يجيد الوصف بفن وحرفية بينما يتوء...

(1) د. نازك الملائكة : شعر علي محمود طه ، القاهرة ١٩٦٥ .

العاشق في ضباب اللاوعي بتأثير سلطان الحب وسحره الخلاب القاهر .

هنا تفرق د . نازك الملائكة تفريقًا حادًا بين العاشق والواصف ، فهي ترى أن الحب يتعارض مع الوصف بسبب أزمة المشاعر التي يعيش فيها المحب ، وذلك يضع جدًا فاصلاً بين مملكة العاشق ومملكة الواصف فلا لقاء بينهما ومن هنا فإن شعر الحب يعد أرقى من شعر الوصف في مراتب العاطفة الإنسانية ، وأجمل منه في مراقي الجمال .. وأقوى منه تعبيرًا ، وأرحب أفاقًا ، وسبب ذلك أن حرقة الوجد في قلب الشاعر تفتح له من أبواب الخيال والموسيقى والتعبير ما لا يحلم الواصف بمثله مهما أوتي من البراعة وذلك هو السبب في خلود قصائد المحبين ، بينما تبقى دواوين الواصفين تقرأ للتسلية والظرف !

وإذا كنا نختلف مع د . نازك في فصلها الحاسم والباتر بين شعر الحب وشعر الوصف لأن شعر الحب لا يمنع الشاعر من أن يضمنه صورًا شعرية رائعة يجسد بها مشاعره وعواطفه مثلما نرى مثلاً في شعر ناجي وهو الشاعر الوجداني العاطفي الذي امتلأ شعره بالحرارة وصدق المشاعر ومشاعر اللوعة والحنين ألم يصف أعماق ملهمته من خلال عينيها بقوله [1]:

قـــربي عينـــك منــــي قـــربي
ظلليـنــــي واغمريـنــــي بـــــصفاها
وأريـنــــي هــــدأة البحـــــر إذا
انبـــسط البحـــر جـــلالاً وتنـــاهى
وأريـنــــي لجـــة الــــسحر التــــي
ضـــل في أعماقهـــا الفكـــر وتاهـــا
ألمـــــح اللؤلـــــؤ في أغوارهـــــا
وأرى الطيبـــة تطفـــو في ســـناها

(1) ديوان ناجي ، قصيدة إلى «س» .

وأراهـــا تخبـــأ الخلـــد لمـــن
بـــاع دنيـــاه وبـــالروح اشتـــراها

وفي شعر الحب عند علي محمود طه وهو من أساطين شعراء الوصف نجد المشاعر المتقدة والقلب العاشق المفتون ونجده عاشقا واله القلب ، مفتون الروح، يتقلب على وهج العاطفة والحنين كما نجد ذلك مثلاً في قصيدته «انتظار» التي يقول فيها :

طـــال انتظـــارك في الظـــلام ولم تـــزل
عينـــاي ترقـــب كـــل طيـــف عـــابر
ويطـــير ســـمعي صـــوب كـــل مُرَّنـــةٍ
في الأفـــق تخفـــقُ عـــن جنَـــاحي طـــائر
وتـــرفُّ روحـــي فـــوق أنفـــاس الربُّـــا
فلعلَّهـــا نَفَـــسُ الحبيـــب الزائـــر
ويخـــفُّ قلبـــي إثـــر كـــل شُـــعاعةٍ
في الليـــل تـــومض عـــن شـــهاب غـــائر
فلعـــلَّ مـــن لمحـــات ثغـــرك بـــارقٌ
ولعلـــه وضـــحُ الجبـــين النـــاضر
ليـــلٌ مـــن الأوهـــام طـــال ســـهادُه
بـــين الجـــوى المـضني وهجـــس الخـــاطر
حتـــى إذا هتفـــتْ بمقـــدمكَ الـــمُني
وأصـــختُ أســـترعى انتباهـــة حـــائر
وسَرى النـــسيمُ مـــن الخمائـــل والـــرُّبي
نـــشوان يعبـــقُ مـــن شـــذاك العـــاطر

ومـــضت تكـــذبني الظنـــوُن فـــأنثني
متّـــــسمعًا دقـــات قلبـــي الثـــائر
أقبْلـــتَ بالبـــسمات تمـــلأ خـــاطري
ســـحرًا وأمـــلأُ مـــن جمالـــك نـــاظري

صحيح أن هناك شعراء وصافين أجادوا الوصف الخارجي الذي يفتقد حرارة المشاعر وصدق العواطف لكن هناك أيضًا شعراء وجدانيين عبروا عن مشاعرهم وعواطفهم بصور شعرية رائعة ، وأجادوا تصويرها بصورة تفوق الشعراء الوصافين النظامين لأنهم جمعوا بين البراعة في التصوير والوصف والصدق في المشاعر والعواطف وحرارة المشاعر وروعة التعبير الفني ، وهذا هو الذي يمكن أن نسميه شعرا حقيقيًا صادقًا بخلاف النظم الذي يصبح مجرد رص كلمات وحروف وقواف موحدة .

إذا تأملنا شعر أحمد خميس الوجداني وجدنا أن له قصائد وصفية رائعة اعتمد فيها على صنعته وفنه وقلمه الوصاف فقدم لنا لوحات شعرية وصفية حية تجسد لنا المشهد الشعري الذي ينم عن عالمه الرومانسي الحالم الذي يرى في الحياة مشاهد من الطبيعة المصرية الحية كالنهر والبحر والشجر والورد والطيور وزوارق الأحلام الهائمة في بحار الحب والوصال والنجوى وذلك في صور شعرية مبدعة تنم عن حسه الفني الراقي وقد تجلت هذه اللوحات الشعرية في مطلع حياته الشعرية وهي الفترة التي نشر قصائده في مجلة الهلال من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٤ مثل قصائده : «الشروق" و"خمرة الربيع » و «ابتسام» و «همس الغروب» و «غريبة» و «الحيرة الخالدة» و «ليالي شهر زاد» وغيرها .

في قصيدته «ابتسام» يقدم لنا شاعر الروابي عالمه الشعري المليء بصور الحسن والجمال : فيها الليل الساكن وأدوات الشاعر من مزامير وكئوس وأناشيد للحب والنجوى ، وفيها الفجر بشروقه وأحلامه المعطرة وروضه الحالم ، وطيوره الغناء ، وقيثاره الهامس كل هذه الصور الشعرية الحالمة الهامسة يضمنها

شاعرنا أحلام حبه ونجوى قلبه لمحبوبته «ابتسام» الشاردة عن وكر الهوى فيناجيها بقوله [1] :

ربة الحسن وأصداء الخيال الساهر
شاقني الليل فعطرت حنايا مزهري
ودعوت الكون يصغي للنداء الساحر
فتعالى نبعث الكون ابتسامًا وسنا
ونغني والأماني تغني حولنا

ثم يطلب منها أن تحدثه عن هوى الأمس وأشواق حاضرهما السعيد ، فماذا قال لها ؟

حدثيني عن هوى الماضي وشوق الحاضر
واسكبي لي خمرة الروح ونجوى الشاعر
ترقص الدنيا لعينيَّ ويأسو خاطري
وابعثيني نغما يخلد في سمع المنى
فاتن الإيقاع يطوي في صداه الزمنا

في هذه القصيدة الوجدانية يناجي أحمد خميس محبوبته فتحس فيها صدق النداء وحرارة المشاعر غلفها الشاعر بالجو الرومانسي الحالم الذي يود أن يعيشه مع محبوبته البعيدة عنه فيقدم لنا عالما رومانسيا ساحرا صنعه لنفسه مع محبوبته .

أما المرحلة التالية وهي التي تبدأ في الستينيات من القرن العشرين وشاعرنا قد جاوز الثلاثين من عمره ، فشعر الحب فيها يمتلئ بالمشاعر والأحاسيس أكثر من الصور الجمالية والمشاهد الرومانسية الحالمة .

في قصيدته «إلى سيدة» يناجي الشاعر حبه الكبير وهي صاحبة عمره الحلو

(1) مجلة الهلال ، قصيدة «ابتسام» : يوليو ١٩٥١ .

كما سماها السيدة «ليلى» التي يناديها لكي تعود إلى عشه وحماه وهي في الغربة في ألمانيا بصحبته والدها بعيدة عنه يقول لها :

تعـــالى إلى خفقـــات الحنـــين
تهدهـــد أحلامـــك المجهـــده
تعـــالى إلى لثمـــة في الجبـــين
ألمُّ بهـــا بالخـــصلة المبعـــده
أقـــام الـــصباح لهـــا موعـــدا
لتـــشرب مـــن مقلـــة مـــسهده
ونـــام العبـــير عـــلى ليلهـــا
ليطلـــق في موجتيهـــا يـــده

ويوالي الشاعر المحروم من حبيبه نداءه اللهيف النابع من قلبه الحزين : علها تسمع آهته ونجواه في ديار الغربة :

أناديـــك أنـــت فهـــل تـــسمعين
وهـــل تـــرحمين صـــدى آهتـــك
وعـــبرة مـــسهدة في الـــدجى
تعـــيش عليهـــا رؤى وحـــدتك
تعـــالى فـــما زلـــت أهفـــو إليـــك
ومـــا زلـــت أخطـــر في مهجتـــك
ومـــا زلـــت أنـــت عـــلى لهفتـــي
ومـــا زلـــت أنـــت في لهفتـــك

هذه القصيدة فيها اللهفة والحنين وأشواق القلب الظامئ إلى محبوبته غلفها الشاعر بصور شعرية مبدعة جمل بها أشواقه الحارة ونداءاته الظامئة الملتهبة .

وكانت لحظات الحنين والشوق قد أوحت إلى أحمد خميس بمثل هذه القصيدة التي ضمنها أشواق قلبه الظامئ التي يستعيد فيها ذكريات الحب على شاطئ البحر في الصيف، فيحاول أن يذكرها بلحظات الحب والسعادة :

أو تـــــــــــــــــذكرين ؟
أو تذكرين الشاطئ الورديّ والعُشب النَّدِى
وحديث وشوشة تروح على الرمال وتغتدي
لما تعاهدنا .. وقد نامت يداكِ على يدي
أقسمت لي والشمس تغفو فوق صدر المخمل
وتلملم الياقوت في جيد المغيب الشارد
أقسمت لي إن الهوى سيدوم لي .. أقسمت لي
فضممت أسراب الأماني كلها في ساعدي
وسَكرتُ في هذا البريق الشاحب
ينَساب في صمْتٍ كهمسِ الراهبِ
أو تـــــــــــــــــذكرين ؟

أبدع أحمد خميس في الشعر الوصفي كثيرًا وقدم لنا صورا شعريا مبدعة فيها من براعة صانع اللؤلؤ وإبداعات الفنان الملهم بأجوائه الحالمة وعالمه الأسطوري الملون بجمال طبيعة مصر وسحرها الفتان لكنه يقدم لنا صورا حية يضفي عليها حرارة مشاعره وصدق عواطفه تجمع بين الوصفي والوجداني، فتكتسب جمالاً وإبداعًا وصدقًا .

أما قصائد الهجر والفراق والعتاب فنجد فيها ذلك اللون من شعر الحب المتوهج بمشاعره الحزينة وعواطفه المشتعلة شجنا وأسى واعتدادا بكرامته وعزة نفسه رغم توهج عواطفه.

في قصيدته «بداية ونهاية» ينعي الحب الوليد مع تلك الملهمة الجاحدة التي انتهت قصته معها قبل أن تبدأ :

قبـــل أن نلتقـــي افترقنـــا خفافًـــا

مـــا تهـــادى بناظرينـــا عتـــاب

قبـــل أن نبـــدأ انتهينـــا .. وعُـــدنا

وترامـــى عـــلى خُطانـــا الـــضباب

حَـــسبنا في بلاهـــة الـــدرب وهمًـــا

وكفانـــا مـــن الطريـــق الإيـــاب

وإذا كانت تجربة الحب انتهت قبل بدايتها فإن هناك تجربة حب قاسية انتهت بالفراق لكن الشاعر لملم جراح قلبه وتنفس الصعداء وأحس أن هذا الفراق أعطاه حرية الانطلاق والتحرر من قيود وعذابات هذا الحب المراوغ بكل ما فيه من العتاب والفراق والخصام، فودع هذا الحب بلا أسف وتمنى أن يكون نهرا بلا عودة :

لا تعـودي فقـد نـسجتُ الربيـع البكـر

ســـترا عـــلى جـــراح الخريـــفِ

لا تعـودي فقـد نظمـتُ المنى في سرحـاتي

أحـــــلام طفـــــل شـــــفيفِ

وضـــممت الحيـــاة أنقـــى مـــن الـــوهم

وأبقـــى مـــن الخيـــال المطيـــفِ

لا تعـــودي فلـــن أعـــود بقايـــا

تتهـــاوى عـــلى فـــؤادٍ كـــسيفِ

إنه العاشق الجريح يوجه لتلك الملهمة المراوغة سهام غضبه بعد أن طعنت

قلبه وأدمت روحه بغدرها فليتحامل على نفسه لتخبو جذوة لهفته وحبه العاصف ، وهيامه العنيف:

هدأت جذوة الجنُون بقلبي
وخبتْ شُعلة الفؤاد العميد
وأفقنا من الخمار وراحت
سكرة الشوق والهيام الشديد
وطويتُ الشراع لما سعت
بي للمنيات ثائراتُ الرُّعود
فاذهبي الآن .. لا رجعتِ
ولا عادت لعمري مأساةُ عمر فقيد

لكنه وإن كان قد ودعها غير آسف فإنه لم ينس الجراح التي سببتها له هذه الملهمة المراوغة الجاحدة :

أنا إن كنت قد أسِفتُ
فما ذنبُ الأزاهير في فراديس وهمي
سحقتْ عودها الوليد
وأردته خطاياك كالقضاء الملمِّ
وإذا أنت قد ندمتِ
فماذا عن شهيد ما زال يُدمي ويُدْمي
حسب قلبي ما رَّوعته الليّالي
وجَرتْ فيه من شقاءٍ وسُقْم

وإذا كان شاعر الروابي يودع هذا الحب الضائع بلا أسف ، فإنه في نفس الوقت يرى أن روحه قد تحررت ، وأن قلبه قد عاد يغني للحياة طليقًا بعد أن

نسى جراح ذلك الحب الذي كاد أن يحطمه ويأسر روحه وقلبه بقيود من الغيرة والشك وأشواك المد والجزر بتقلبات تلك الحسناء الظلوم.. فمرحبًا بآفاق الحرية الرحب .. وأغنيات الحياة الطليقة :

يـــا ســـماء الحيـــاة قـــد عُـــدُت حُـــرًا
بجنـــــاح إلى الأغـــــاني طليـــــق
وغـــسلتُ الـــشموس مـــن درن الغَـــيم
وألقيـــــتُ في ســـــناها طريقـــــي
أنـــا قـــد عُـــدتُ للـــصحاب .. لنفـــسي
لـــــشبابٍ عـــــلى الربيـــــع وريـــــق
أنـــا قـــد عـــدتُ يـــا حيـــاةُ .. فهـــاتي
وأريقـــــي المُنـــــى عـــــليَّ .. أريقـــــي

الحب في ظلال الطبيعة :

ارتبط الحب عند أحمد خميس بالطبيعة ، فغاية السعادة عنده أن يلتقي حبيبه وسط الطبيعة الغناء الساحرة من بحر ونهر وورود وطيور وغناء ، وهو في هذا الجانب شبيه بشاعر الجندول على محمود طه الذي حفل شعره بالحب المرتبط بالطبيعة ، فلم يكن رجوع على محمود طه إلى الطبيعة واستذكاره لها في ساعات الانفعال والوله إلا سمة من سمات الحب الصادق الذي يرد الإنسان إلى بساطة الإحساس وبذلك يعيده إلى أحضان الطبيعة فيزداد ارتباطه بها ويشعر أنه بضعة منها يلتحم فيها كل الالتحام ، فالحب هو نفسه انكفاء إلى طبيعة الإنسان بما يفرضه عليها من اندفاع في اتجاه الذات البسيطة المجردة من طلاء المجتمع وتصنع الحضارة وعند هذه الحالة من العفوية والبساطة تكون الطبيعة أقرب ما تكون إلى نفس الإنسان فيقترب منها ويجد فيها تعبيرًا عما تختلج به نفسه ، بل إنه يجد منها عطفًا خفيًا وتعاطفًا وكأنها تحنو على ألمه وتفرح مع فرحه ولعلنا في أفراحنا وأحزاننا نلقي على الطبيعة ظلال مشاعرنا فنلونها بها فلا هي تحزن ولا

هي تبهج وإنما ذلك من صنع حساسيتنا وخيالنا [1] .

ومن أروع قصائد على محمود طه في تشخيص صلة الحب بالطبيعة قصيدته «رجوع الهارب» وفيها تبدو الطبيعة حليفة الحب الكبرى ، فهي تصادق الشاعر حين يكون محبًا مخلصًا للحب، وتجفوه وتتنكر له حين يهرب من حبه وكأنها هي الحب شيء واحد يتعاونان على من يعاديهما ويبتسمان لمن يقبل عليهما وقد جسد أحمد خميس في شعره الصلة الوثيقة بين الحب والطبيعة كما فعل على محمود طه .

وإذا كان الشاعر الرومانسي يشعر بالغربة بشعوره وإحساسه ، فإن قلبه عامر بعواطف إنسانية عمادها الوطنية والحرية والحب المستحيل القوى ، وحب الطبيعة .

ولذلك نجد في كثير من قصائد أحمد خميس ذلك الهروب من المجتمع والناس إلى عالم الطبيعة مع محبوبته ، إنها صورة حالمة للعزلة في برج عاجي أو فوق قمة جبال الخيال ، فهو في الربيع مع حبيبته يرتشفان كؤوس الحب والهوى حتى أصبحا معا سكري الحب :

يا حبيبي قد صحا الورد وما زلنا سكارى

وتهادى العطر فياضًا بأنفاس العذارى

والكؤوس الحلوة الشقراء في لهف حيارى

وينتشي وهو في ظلال الطبيعة مع حبيبته بخمر الربيع ، فيدعو صحابه أن يشاركوه فرحة الحب، ونشوة السعادة وأن يغمروا روابي الحب بأنغام الحب ، وموسيقا النشوة :

رفع الكأس وغنى شاركوني يا صحابي

وابعثوا النشوة فينا ، وجوى الروح المذاب

واملؤوا الآفاق شدوًا واغمروا تلك الروابي

(1) د. نازل الملائكة ، شعر على محمود طه ١٩٦٥ ، ص ٢٤٦ .

يـا صـحابي أي سـحر في دنيـا الوجـود ؟
أي خمـر عــصروها مـن شـعاع وورود ؟
سـكر العـشاق فيهـا وأفـاقوا مـن جديـد
فــدعتهم ربــة الحــب إلى خــدر ســعيد

حيث يرى كرومانسي أن الحب في ظلال الطبيعة يمثل له واحة من واحات الجنة الحالمة التي يهرب إليها ويلوذ بها من الناس والمجتمع وغدر الأيام .

فالعلاقة الوثيقة بين المرأة والطبيعة تجعله مفتونا بهما ، تصوفًا وعشقًا ووصفًا ، فترى في قصائده تلك الصور الخيالية الحالمة في وطن أفلاطوني خيالي غير واقعي على أرض الحقيقة .

حيث يشعر أحمد خميس بالنشوة بين أحضان الطبيعة وأحضان الحبيب شأنه شأن الرومانسيين فحب الطبيعة الجميلة والهيام بها تحت ظلال الأشجار أو على شاطئ البحر أو النهر ، هو ينبوع الشعر الحق وصور الحياة الجميلة .

والحب عنده ليس مجرد فضيلة ، بل هو عنده شأنه شأن الرومانسيين على رأس الفضائل لأنه وسيلة تطهير النفوس وصفائها ، حتى تبلغ نظرته الحالمة للمرأة باعتبارها ملكًا هبط من السماء يطهر قلوبنا بالحب ، ويسمو بمشاعرنا ، ويذكي شعورنا .

ويمثل هيامه ، بأجواء الحب الرومانسي من طبيعة ساحرة تتمثل في الورود والأنسام العطرة، والشاطئ الساحر والطيور الصادحة وغيرها من التعبيرات ارتباط برومانسيته بالمجنحة ويماثل ذلك أيضًا هيامه بالصوت والنغم والموسيقا الهامسة في شعره حيث نجد عنده صورًا سمعية يترقرق في طواياها الصوت الحالم والصوت النشوان وتغريد القلب هذه الموسيقى الساجية يحفل بها جل شعره .

هذه النعومة الموسيقية السائدة في شعره سايرت انفعالاته وتأملاته المحلقة

وفي شعره تنويع في الموسيقى أحيانًا يرق ويشف وأحيانًا يزداد حدة وصخبًا في حالة الغضب أو الثورة .

في شعره يجتمع عنصر الموسيقى وعنصر المعنى من فكر وانفعال ودقة معنى، فهو شاعر غزلي غنائي ابتداعي مجيد .

شاعر الوجدان :

يعد أحمد خميس من شعراء الوجدان الذين يؤمنون بأن الشعر تعبير عن العواطف أو عن النفس والمشاعر الذاتية بعيدًا عن التكلف والاصطناع ، حيث اتخذ من الذاتية نقطة انطلاق للعواطف والأحاسيس في مجال التعبير ، فعبر عن عالمه النفسي ، وما يتصل بهذا العالم من تأملات فكرية ، ونظرات فلسفية تهتم بحقائق الكون ، وتفتش عن أسرار الوجود .

وإذا كان شعراء مدرسة الديوان ومدرسة أبوللويرون أن الشعر الحق ما اشتمل على ثلاثة عناصر هي : «الفكر والعاطفة والخيال » حيث عبر عن ذلك الشاعر عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ ـ ١٩٥٨) أحد رواد مدرسة الديوان فقال[١] :

« الشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة ، وإنما تختلف العواطف التي يعرضها الشاعر ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع ، فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب وذكاء وخيال واسع لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها».

وقد نجح أحمد خميس بشعره الذي عبر فيه عن هواجس النفس الإنسانية وخفقات القلب العاشق فأصبح أحد أبرز شعراء الوجدان الذي يجمع بين الفكر والعاطفة ، خاصة أنه نجح في الغوص إلى الحقيقة الروحية والعاطفية في شعره خاصة في الرباعيات .

(١) مقدمة ديوان عبد الرحمن شكري .

انعكس في شعر أحمد خميس هواجس روحه ، وتلك الروح المرحة المقبلة على الحب والحياة ، وتلك التأملات الفلسفية الخيامية الحائرة في الحياة والوجود، فظهرت شخصيته الفنية واضحة في شعره ، كواحد من أبرز شعراء الوجدان في الشعر العربي المعاصر .

ويبدو لقارئ شعره ورباعياته أن اللون الذي يغلب عليه هو الإقبال على الحياة والمتعة وعشق الجمال والإحساس بالخوف من الغد والزمن وغدر الليالي حيث يذكرنا بالفلسفة الأبيقورية التي ترى أن هدف الأخلاق هي السعادة ، حيث يعتبر أبيقور أن البساطة والتواضع والاعتدال هي خير وسائل السعادة ، فهو لا تعنيه مجرد اللذة الوقتية بل يقصد اللذة التي تدوم حياة كاملة سعيدة لا تبالي بأي عوائق في طريقها كالخوف أو الأوهام ، فإن التحرر منها يفتح الطريق إلى السعادة .

فإن التخلص من الألم هو هدف الرجل الحكيم وقد انعكس كل ذلك في شعر أحمد خميس الوجداني الذي أصبح سيمفونية منغمة رقيقة عذبة الجرس كأن كل مقطوعاتها ملحمة واحدة في امرأة واحدة وأن اختلف لونها وصوتها .

***

رباعيات أحمد خميس:

في هذه المرحلة التي تبدأ في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين كانت مرحلة «رباعيات أحمد خميس» التي نجد فيها نفحات من روح شاعر اللذة والشك والتساؤل عمر الخيام ، وبرغم تأثره بها إلا أنها اختلفت عنها واتسمت بسمات خاصة .

إن رباعيات أحمد خميس تختزل تجاربه وتأملاته وأفكاره ، وفلسفته فيها فلسفة الحب والموت واللذة والألم والحياة والتأمل في الوجود ، وتعد مرحلة أكثر عمقا وشجنا في حياة أحمد خميس وشعره، إنها تتجاوز المرحلة الرومانسية بأحلامها وسحرها وخيالها المفعم بالبسمة والتفاؤل واللذة والألم والحب والفراق والاستغراق في الاغتراب الروحي .

إنها تعكس فلسفة الحياة، وخبرة الدنيا .. فيها التأمل والتفكر وتأرجح نفسيته بين الحيرة والتساؤل واللذة والألم والتفاؤل والتشاؤم والشك والإيمان إنها تجمع بين فلسفة اللا أدرية.. فلسفة الخيام وإيليا أبو ماضي .. مرحلة الرباعيات الفلسفية العميقة المتسائلة المؤمنة .. مرحلة الحكمة واليقين بعد التطواف في بحار التساؤل والشك والحيرة !

إنها خلاصة تجارب أحمد خميس في الحياة التي عبر عنها في عمق وحكمة نادرة حتى يمكننا أن نطلق عليها «رباعيات أحمد خميس» مثلما نطلق «رباعيات الخيام» للتعريف بالشاعر الفارسي الكبير.

يقول أحمد خميس في إحدى رباعياته لنديمه في ساعات الصفو والانتشاء :

أطلق الفجر حبيبات الذهب

وجرى باللحن في كل جناح

فتهيا يا نديمي للطرب

واسقنا قبل نداءات الرواح

ويدعو إلى انتهاب لذة اليوم وعدم التفكر في الغد لأنه رهن الغيب :

هات .. زدني من أفانين الحياة

يا أخا الروح .. ودعني من غدى

قد غفا الأمس على صدر سواه

وغد .. ما زال رهن المولد

كأنه يردد قول الشاعر الحكيم :

ما مضى فات والمؤمل غيب   ولك الساعة التي أنت فيها

ويمنى نفسه أن يمسح الليل أوهامه وأحزانه :

عجبًا يا ليل .. تأتي كل يوم

تـــسكب الأوهـــام في كـــأس الخـــلي

لم لا تأســـــو جراحًـــــا لم تـــــنم

يـــا نـــديم الـــدمع في حـــان الـــشجي

ويدعوه الربيع الباسم للبهجة والمرح والنشوة والانطلاق :

قـــم خـــليّ البـــال .. مجلـــو الـــرواء

واغتـــسل قلبًـــا ونفـــسًا ومنـــى

فـــالربيع الطفـــل بالآمـــال جـــاء

والـــروابي الخـــضر تـــشدو للـــسّنا

وإذا كانت الفلسفة الأبيقورية Epicureanism ترى أن هـدف الأخلاق السعادة ، فالشعور باللذة خير وكل ما تؤدي إليها خير والألم شر وكل مـا يـؤدي إليه أيضًا ، حيث يعتبر أبيقور أن التخلص من الألم هدف للرجل الحكيم فهـو يستهدف الهدوء والسكينة التامة وراحة الروح وعدم القلق مـن جـراء الخـوف ، كما اعتبر أبيقـور أن البساطة والتواضع والاعتدال هي خـير وسـائل الـسعادة، فأبيقور لا تعنيه مجرد اللذة الوقتية بل يقصد اللذة التي تدوم حياة كاملـة سعيدة ولبلوغ السعادة واللذة يرى أبيقور أنه لابد من إزالة جميع العوائق التـي تعـترض طريقها كالخوف من تدخل الآخرين في حياة البشر ، فالتحرر من جميع المخـاوف يفتح الطريق إلى السعادة .

ويعيش أحمد خميس في الحديقة الأبيقورية لحظات من السعادة المليئة بالنشوة والسباحة في بحار الحب والجمال ، فتدعوه حديقـة أبيقـور إلى انتهـاب لحظـات الشدو والغناء ونجوى الحبيب التي تـوفر لـه الـسعادة ليستفيق مـن رتابـة نومـه العميق الحبيب :

هتفـــــت بي في منـــــامي همـــــسة

لا تـــضع ليلـــك في نـــوم ســـقيم

قــد حلــت فــوق الــروابي جلــسة
فأعـــد شـــدوك واللحـــن القـــديم

وفي غمرة لحظات نشوته يستذكر حكمة الشاعر الأبيقوري المفتون الذي قال :

مــا مــضى فــات والمؤجــل غيــب
ولــك الــساعة التــي أنــت فيهــا

فيهمس شاعر الروابي لمحبوبته بفلسفته الأبيقورية المحبة للحياة المنتشية بصفو الزمان الجميل العابر .

يــا نــديم العمــر هيــا نجتــلِ
صــبوة العمــر التــي لا تخلــد
واغتــنم صــفو الزمــان الحَــوَّلِ
قــبلما يُــودي بنــا أو يجحــدُ

كما يدعو الليل أن يواسي جراح قلبه بدلاً من أن يسكب فيه ألحان الأسى والوهم والشجن:

عجبًــا يــا ليــل.. تــأتى كــل يــوم
تــسكب الأوهــام في كــأس الخــلي
لم لا تأســـو جراحًـــا لم تـــنم
يــا نــديم الــدمع في حــان الــشجي ؟

وهو يبرر لنا سر ارتباطه بالكأس ، فلم يكن ذلك سعيًا للذنوب أو لحرارة حمياها بل هو يهرب إليها من آلام روحه وأحزان قلبه ، وأشجان واقعه القاسي :

مــا شربــتُ الــراح ســعيا للــذنوب
لا .. ولا شـــوقًا لوقـــد الحبـــب

إنـــما في الكـــأس آلامـــي تـــذوب

ومعانـــــاة الفــــؤاد المتعـــــب

لقد عاش شاعر الروابي الخضر للحب والنجوى الموسيقا في نشوة ممتدة لا تنتهي لا يود أن يصحو منها :

عـــشتُ للحـــب وأحـــلام المنـــى

وحبيـــب يـــزرع الأيـــام نـــشوه

ويفيـــقُ الكـــونُ حـــولي .. وأنـــا

نـشوتي تفـضُل عنـدي ألـف صـحوه

هو يلبي نداء الحياة والحب والجمال ولا يتردد لحظة في تلبيته الداعي إلى حديقة الحب وهو تائه في غياهب الحيرة والحرمان والآسى :

مـــدَّتْ الـــدنيا لـــدنياك اليـــدا

وانجلـتْ حـسنا وقالـتْ «هيْـتَ لـكْ»

فلـــماذا تتجـــافي الموعـــدا

أيهـــا الـــضَّاربُ في تيـــه الحَلَـــكْ ؟

وكيف لا يلبى نداء الحب والحياة وحياته بين أمس ضائع ويوم غائم وغد مجهول لا يحمل في آفاقه إلا فراق الأحباب :

أمُـــسنا ولَّي ... وأحـــلامُ الـــدَّد

وضـــياءُ اليـــوم .. كـــأسٌ وانعِتـــاقْ

وغـــــدٌ .. أوّاه مـــن ذاك الغـــدِ

مـــا لنـــا فيـــه ســـوى مُـــرِّ الفِـــراق

اكتشف الشاعر في مشوار عمره أن أجمل أنغام رحلته هو الشعر والطرب وهمس النجوى بعيدًا عن القيل والقال ودقات الطبول الغريبة الهادرة التي

تؤرق أيامه وتذهب بجمال لياليه :

صَـادق الأشـعارَ والألحـانَ واطْـربْ

وانـأ عـن قـالوا وقُلنـا .. وتجنَّـبْ

دمـدماتُ الطَّبْـل تُـؤذي وهـي أقـربْ

وصـداها الـمُنتهى في البُعـدِ أعـذَبْ

فليعش إذن شاعرنا المحلق بين أجواء السحر والفن والجمال كالفراش الطائر الذي يتنقل بين الزهور يلثم رحيقها في نشوة وهو يتخذ من الفضاء الرحب والنور وسنا الفجر مسرح مراحه ودنياه الساحرة :

عـشْ كـما تحيـا فراشـات الزّهـرْ

تلـثم العطـر وتلهـو بالـسنّا

مـا تراهـا بـين أهـوال الـسفرْ

تمـزج النـوّر بمعـسول الجنـيَ

وليعزف أنغام الحب والفرحة والبهجة وسط زهور الربيع ونشوة الطبيعة الغناء :

سَلـسل الأنغـام في قلـب الرُّبـا

واسـكب الأفـراح فـوق الـسُّندُسِ

فـالربيعُ الـسَّمحُ دفَّـاقُ الـصَّبا

والمنـى تـشدو لعـرس الأكـؤُس

فإذا كان منطق الأيام أن الحياة أبيض وأسود وري وظمأ ونشوة وحرمان فلتنهل لذاتها في ربيع عمرك قبل أن تسرق الأيام أجمل أيامنا وأحلى لحظات السعادة :

منطـقُ الأيـام رِيٌّ وظـما

وهــــي في غفلاتنـــا تخــــدعنا
فانتبــه- مــا دُمــتَ تحيــا- قَــبلما
تــسرق الأيــام أحــلى مــا بنـــا

إنه يتخذ من الفلسفة الخيامية والأبيقورية مذهبًا وطريقًا ، فإن بلسمها وكوثرها الخالد هو روعة الجمال وسحر العيون :

زهـــرة العُمـــرِ إذا لم تَــسْقِها
بالرُّضــابِ الحُلــو .. واللحـظ الجميـل
لانثنــتْ تــنفضُّ عــن أوراقِهـــا
وهـــي تــستعجلُ أيــام الرَّحيـــل

إنه دائمًا ينتظر عطايا الربيع بزهوره وعطوره وأنغامه التي تنعش روحه، وتجدد ربيع حياته:

زارني في وحـــدتي طيــفُ الرَّبيـــعْ
راقــصًا يحمــلُ ضِــحكًا وعُطــورْ
ورمــى في كــأس أحلامــي الــصَّديع
نظــرةً حــيرى .. وشــيئًا مــن زُهــور

لكنه ما يلبث أن يفيق على واقعه الحزين الباكي ، فيجد أن الربيع قد ولّى ، وقد دهسته أقدام الخريف بقسوتها فلم يجد حوله إلا زهورًا ذابلة ، وأصداء باهتة لربيع العمر الذي ضاع :

يــا ربيعًــا بــات رهــن الــذكريات
صرعـــت أوراقـــه كـــف الخريـــف
لم تعــــد إلا بقايــــا خـــاملات
وصــدى عطــر مــن المــاضي الوريــف

أنه يأسى على الربيع الضائع والأحلام المحطمة في بحار الأماني وأمواج الأوهام :

تحـــت مـــوج الـــوهم في بحـــر الحيـــاه
مُهـــج غرقـــيٌ .. وأحـــلامٌ حُطـــام
كُلَّـــما نـــادتْ عـــلى طـــوق نجـــاه
ذهبـــت صرخُتهـــا بـــين الزِّحـــام

إنه يدعو قلبه لأن يكف عن التغني بذكريات الماضي الجميل الذي ولى وراح .. وأن يرعوي عن أن يظل أسيرًا لأوهام الذكرى ، وأطياف الماضي الجميل الراحل ، حتى لا تستبد به أطياف الحب الضائع :

يـــا فـــؤادي .. هـــل مـــع المـــاضي رجـــاء
والتغنـــيِّ بالـــذي كـــان .. وضـــاع؟
أَعـــزاءٌ ؟ أنـــتَ لا تـــرضى العَـــزاء
أم تعـــلَّات ووهـــمٌ .. وضَـــياع؟

وحين يحار قلبه الظامئ لصور الحسن وبدائع الجمال يطلب قلبه أن يدعه ينتشي بنثار الحسن وأطيافه ، لكن دموع أحمد خميس وأحزانه كانت هي الرد والجواب على دعوات القلب المفتون الحالم!

قـــال لي قلبـــي .. تأمـــل .. واســـقني
فنثـــارُ الحُـــسن تـــدعُو بـــالجني
قلـــت يـــا قلبـــي .. كفانـــا .. خلِّنـــي
حـــسُبنا يـــا قلـــبُ دمعًـــا .. حَـــسُبنا

لكن رغم أحزان القلب وشجونه يحاول شاعر الروابي أن ينتهب لحظات الحب والنجوى والسعادة فإن سحر طلعة المحبوب تنسيه كل شجون نفسه

وأحزان روحه :

يـــا نـــديمي .. هـــات أقـــداح الـــسنا
وامتثـــل للحـــب .. فالحـــب أمـــر
طلعـــة المحبـــوب في ليـــل الهنـــا
فاقـــت الـــشمس بهـــاء والقمـــر

وحين يمسك كأسه بين يديه وفي نشوة الحلم يرى في أعماق الكأس دموع الأسى والألم والعذاب، فتتكدر روحه ، وتطير النشوة العابرة :

في ضـــمير الكـــأس رُوحٌ تـــشتهي
وعـــذابٌ ودمـــوع ونـــدم
آه لـــو تـــدركُ كـــفُّ المُـــشتهي
مـــا حوتهـــا مـــن عـــصارات الألم

أنه يحاول أن ينسى أحزان الأمس الضائع وقسوة الحاضر الساخر ، وأحلام الغد المجهول بأن ينغمس مع محبوبه في الشوق والمنى والنشوة الحالمة الساحرة :

غـــايتي في العـــيش .. شـــوق ومنـــى
وحبيـــب يـــزرع الأيـــام نـــشوه
ويفيـــق الكـــون حـــولي .. وأنـــا
نـــشوتي تفـــضل عنـــدي ألـــف صـــحوه

شاعر الروابي انتشى بين أحلام الحب والوصال في بحار الحسن والجمال فطار عقله عشقًا وصبابة :

في روابي العـــشق في وادي الغـــزل
بـــين أعطـــاف الجـــمال الـــمُمتثل
وشـــفاة تتمنَّاهـــا القبـــل

ضـاع عقـلي يـا صـحابي .. واختيـل

وبعدما اكتوى بنيران الحب ونار الأشواق هل يقوى على هذا الجوى الممض:

آه يـا قلبـي .. وآه يـا هـوى

عاشـقٌ .. دربي عـلى الأشـواق طـال

أتُـرى أقـوى عـلى هـذا الجـوي

بعـدما أصـبح حـالي ألـف حـال ؟

أن قلبه العاشق الصب لا يشبع من رحيق الهوى وحلاوة النجوى وعطور الوصال والحب :

هـات يـا شـوق فـما زال الهـوى

وامـضًا مـلء فـؤادي .. مـا وهَـي

واسـقني عنـد لُهاثـات الجـوى

عبـق الغيـد .. وأنفـاس المهـا

لكن مهما نهل شاعر الروابي من عطور الحب والوصال فما زال قلبه يصبو لليالي الحب وسعير النجوى :

قـد نَهلنـا الحـبَّ .. سِـحْرًا مُعلنًـا

مـن فَـم وردٍ .. وأهـداب حَريـق

ثُـم عُـدنا .. والهـوى مـا علَّنـا

نـشتهي النظـرة في بعـض الطَّريـق

إنه يدعو الحبيب أن يطيل وصاله الذي يمر كالومضة العابرة :

أيهـا الواعـدُ قلبـي .. كلَّـما

شـــاقك اللهـــوُ وأغـــراك الـــسَّمر

لم يـــــدُم وصـــــلك إلا ريـــــثما

ومـــض الفجـــرُ بأهـــداب الـــسَّحر

أنه حين يعييه وصال الحسن يستذكر ويستعيد ذكريات الأمس الجميل الضائع الذي يروي حكاية قلبه المسافر دوما بين أقطار الحسن وأجواء والجمال :

غنـــوة الحـــسن التـــي كانـــتْ .. وكـــانْ

رقـــصتْ فـــوق شـــبابي .. ألـــف رقـــصه

يـــوم كُنـــا .. حيـــنما كـــان الزَّمـــان

وأنـــا قلـــبٌ .. ومـــلاَّحٌ وقـــصَّه

إنه حين يستعيد الأمس الجميل لا يكاد يصدق أنه عاش هذا الفيض من الحب والوصال في بحار الحسن والجمال :

إيـــه يـــا دنيـــا .. وكـــم العمـــر فـــات

والبـــواقي لم تعـــد تـــروي الغليـــل

أو حقـــا عـــشت تلـــك الـــذكريات

وتنعمـــت مـــع الأمـــس الجميـــل؟

ويتذكر دوره الحياة فتيقظه من نشوة الحب ، وأحلام الخلود ، فيهمس لنفسه :

كـــم خَـــليّ قهقهـــتْ .. أحلامـــهُ

فـــأراق العمـــر لهـــوًا .. واغـــترف

فـــإذا مـــا آذنـــتْ أيامـــهُ

ودَّع الكـــأس .. وحيَّـــا وانـــصرف

ويستوعب فلسفة الحياة وغايتها فيردد :

هكـــذا تـــأتي الأمـــاني .. هكـــذا
مـــن سـماء الحُلــم في الــوشي الجميــل
ثُـــم تمـــضي مـــثلما جـــاءتْ .. إذا
قُـــضى الأمـــرُ .. ونادانـــا الرَّحيـــل

ثم يفسر مشكلة الشاعر المهموم بقضايا الوجود ، والذي تتفاعل في وجدانه نوازع الخير والشر، والحب والكره ، والتأمل والسخرية ، والشك واليقين ، لكنه في النهاية يعيش ليزرع الحب والجمال في أنحاء الوجود :

خُطـــوةُ الـــشاعر في الأرض عطـــاء
أيـــنما حـــلَّ .. وأيـــان ارتحـــل
عبقـــريُّ الحـــزن .. مـــشبوبُ الرجـــاء
يـــزرعُ الحـــبَّ .. ويقتـــاتُ الأمـــل

وبعد تطوافه في بحار الحب والجمال ، وحيرته في فهم كنه الوجود ، وقلقه وسط صراعات البشر ، وتناقضات دنياهم ، لم يجد يقينًا إلا وجه الله :

سِرتُ بـين الـرَّوض .. أنـسى مـا بِيـه
وأردُّ الـــروح .. رُوحًـــا شـــاعرهْ
فرأيـــتُ الله .. عينًـــا صـــاحيَه
ويـــدًا تحنُـــو .. وأخـــرى قـــادرهْ

ثم تـأتي أيامـه الأخيرة وتغسل دموعـه حيرة الماضي ، وتـساؤلاته ولا يجد أمامه إلا تجلي قدرة الله ورحمته ورجاء تقبل توبته :

يـــا جميـــلَ العفـــو .. هَـــذي عَـــبْرتي
ترفـــعُ التَّوبـــة مـــن بحـــر الأســـفْ

فتقبـــل يــا إلهــي تــوبتي
واعــفُ يــا رحمــنُ عَمَّا قــد سَــلفْ

ويرسـل شـاعر الـروابي هـذه النفثـة الفياضـة بالأمـل في عفـو الله ورحمتـه وغفرانه:

ربِّ إني مُــودعٌ قلبــي لــديك
وهــو يَــشْنَي برفيــع النَّــدم
أوَ تُــرضَى .. وهــو مــن صـنيع يــديك
أن يُــرَدّي في جحـــيم الألم

وتبلغ شفافية روحه وصفاء نفسه جدًا كبيرًا ، فيرى رحمة الله تسع كل الدنيا وكل البشر :

كُلَّــما أورق للفجــر عبــيْر
نهــض الفجــرُ يحيــي نِعْمتــكْ
ومــشى بــالنُّور هَــدْيًا و بــشير
باســطًا للكــونُ نعمــي رَحمتِــكْ

وتـصفو روحـه وتـشف وهـو ينـاجي خـالق الوجـود فيعـدد آيـات رحمتـه ووجوده :

كُلَّــما مَــرَّتْ عــلى غُــصن يَــداكْ
أشرق الــبرعمُ واهتــزَّ العِــير
وإذا مــا عــانَق الــروض نَــداك
لــبس الــروضُ شُــعاعًا وحريــر

كما أن كل ما في الكون يسبح بحمد الله وقدرته وعلاه :

كُلَّـــما صـــفَّقَ للفجـــرِ جَنـــاحْ

يرفـــعُ الحمـــدَ .. ويجلُـــو صَـــنَعتك

رقـــصَ الحُـــسن بآيـــات الـــصَّباح

مُعلِنًـــا فـــوق الـــرَّوابي طَلعتَـــكْ

وبعد ، فإن أحمد خميس كان شاعرًا وجدانيًا رومانسيًا غنى للحب والحياة والأمل ، وكان أيضًا شاعرًا قوميًا غنى لمصر والعروبة والعزة والكرامة ، فكان رغم كونه شاعر الشراع التائه الذي ظل يبحث في بيداء الوجود عن الحقيقة المجهولة ، شاعر الحياة المتفائل المحب للحياة والوجود والناس .

جسّد لنا أحمد خميس في شعره كل ألوان الطيف :

آمال الحب وسرابه ، وآمال الحياة وزهورها المتألقة وأوهام الواقع وسراب الأماني الخادعة ، مصر في معاركها وانكساراتها ، ومصر في انتصاراتها وزهوها وعزتها .

محمد رضوان

ألـوان مـن شـعـره

أحلى ما كتب أحمد خميس

ليالي شهرزاد

خــــاطرٌ.. رف جناحـــــاه بأنغـــــام الجـــمالِ

وسرى يحكـــي عـــن المــاضي .. أســـاطيرَ الليـــالي

مــن رُؤى بغــداد هــذا الحلــم ؟ أم وحــيِ خيــال ؟

عانقتـــه مـــن صـــدى الأمـــس ظـــلالٌ عربيـــه

قـــصةُ الـــشرق ، وأنبـــاءٌ ، وأبكـــارُ غـــواني

وبـــساط الـــريح والنُـــدمان والخمـــر الرويَّـــه

وأحاديـــثُ وعاهـــا الليـــلُ في ســـمع الزمـــانِ

وهنـــــا .. أدركهـــــا طيـــــف الـــــصباحِ

ضـــــاحكُ الأهـــــداب ، فتـــــان الوشـــــاحِ

فـــاطوى يـــا حـــسناء عـــن همـــس مبـــاحِ

***

وهفــا كــالحلم همــسٌ .. هاهنــا قــصر الأمــيرِ

فــامنحي روحــك مــا تــشتاق مــن عطــر ونــور

هـــذه الليلـــة يـــا عـــذراء .. مـــن عمـــر الزهـــور

وتبـــدى مـــلء عينيهـــا بريـــق يتغنـــى

وأزاحـــت بيـــد الـــسحر نقابًـــا مـــن حريـــرِ

ومـــضت تخطـــر عـــبر القـــصر طيفًـــا يتثنـــى

واحتواهـــا مرقـــد الأشـــباح مخـــضوب المـــصير

وهنـــــا .. أدركهـــــا طيـــــف الــــــصباح

ضـــاحك الأهـــداب ، فتـــان الوشـــاح

فـــاطوي يـــا حـــسناء عـــن همـــس مبـــاحِ

***

ليت شعري .. يا ابنة السحر ويا بعث الخلودِ

هـــل تحـــدرتِ مـــع الأنـــسام كـــاللحن البعيـــد

أم بُعثـــتِ فَتنـــةً ســـكري بكـــأس وتـــشيد

أم تَهـــدَّاك عـــلى النهـــر ، شراع مـــن فنـــون

أطلقتـــه مـــن يـــد الأسرار ألحـــانٌ رخيّـــه

صـــور العـــشاق ، والحـــب ، وربـــات الفنـــون

وجـــوار مـــلء أيـــديها كـــؤوس ذهبيـــه

وهنـــــا .. أدركهـــــا طيـــــف الـــــصباح

فـــاطوي يـــا حـــسناء عـــن همـــس مبـــاح

***

خبرينـــي يـــا عـــروسَ الـــشرق ، يـــا سرَّ القلـــوبِ

أيّ أشـــواق أثارتهـــا أقاصـــيصُ الغـــروب

نـــسى المفتـــون مـــا كـــان مـــن الأمـــسِ القَريـــب

أخذتـــه ومـــضة المجهـــول فاضـــتْ مـــن ســـناكِ

فغـــدا كالطفـــل ، روحَـــا تتـــشهَّى وتـــذوبُ

وانتـــشى في عـــالم الأحـــلام يـــشكو مـــن هـــواكِ

ومـــضت أطيافـــه الحـــيرى مـــع الليـــل تجـــوبُ

وهنـــــا .. أدركهـــــا طيــــف الــــصباح
ضـــاحك الأهـــداب ، فتـــان الوشـــاح
فـــاطوى يـــا حـــسناء عـــن همـــس مبـــاحِ

***

شـــهرَزاد .. يـــا ابنـــة الأوهـــام والـــسر الخفـــيّ
أيـن دنيـاك التـي فاضـت علـى العـصر الـوضيّ ؟
مـــثلما لألأت الأشـــواق بالقلـــب الخلـــى
آه مـــن ذكـــرى لياليـــك ومـــن بهـــو وخـــانِ
آه مـــن شـــوقي إلى عهـــد مـــن الفـــن تـــسامى
وقبـــاب حانيـــاتٍ فـــوق أعطـــاف حـــواني
غنَّـــت الحـــب دموعًـــا وتـــساقته ابتـــساما
وهنـــا .. أدركهـــا طيـــف الـــصباح
ضـــاحك الأهـــداب ، فتـــان الوشـــاح
فـــاطوى يـــا حـــسناء عـــن همـــس مبـــاحِ

***

فتنـــة الأجيـــال هـــاتي .. ليلـــة مـــن ألـــف ليلـــه
غـــرّدي لحـــن الفـــرات .. وانهـــلى مـــن خمـــر دجلـــه
واحلمـي يـا شـهرزاد .. مـن صـدى كـأس وقبلـه
وابعثـي مـن شـاطئ الغيـب أهـازيج الـصباح
وأعيـــدي نـــدوة الفـــن ، وأحـــلام الـــسقاةِ
كـــم تنـــاجي في لياليهـــا حنـــين الـــشعراء

وتجلـــت بـــدفوفٍ .. وقيـــان راقـــصاتَ

وهنـــا .. أدركهـــا طيـــف الـــصباح

ضـــاحك الأهـــداب ، فتـــان الوشـــاح

فـــاطوى يـــا حـــسناء عـــن همـــس مبـــاحِ



شهرزاد سنة ٢٠٠٠(*)

عجبًا يا عينُ ! ما هذى المقاصيرُ الوضاءْ
ضاقتِ الأرضُ بأهليها فلاذوا بالسَّماءْ؟
عجبًا يا أذنُ ! ما هذا الضجيجُ الصاخبُ
لستُ أدري أين يمضي بي ، ولا من أينَ جاءْ ؟
وكأنّ الكونَ - والعالمَ فيه لاغبُ -
قافلاتٌ تائهاتٌ في شِعابِ الصّحَراءْ
يا إلهي : أيُّ سرّ هو عني غائبُ
جعلَ العالمَ يبْدو في شقاءٍ وعناءْ ؟
صيحةٌ مشبوبةٌ بعد رقادْ
أرسلتها في الليالي شهر زادْ

ذهبتْ صَيحتها في الليل أدراجَ الهواءْ
وتلاشي صوتُها في الأفق مخنوقَ الدُّعاءْ
ضلّت الآذانُ عنها ، أو تغاضتْ عن نِداها
وهيَ من كانتْ تلينُ الصخرَ من حلو النداءْ
واشرأبّتْ ترقبُ العالمَ نارًا في لظاها

(*) الهلال - يناير ١٩٥٠.

وتـــديرُ الطَّـــرف لهفـــانَ بأرجـــاء المـــساء

فـــرأتْ طيفًـــا شرودَ الخطـــو أشـــجاهُ أســـاها

يتنـــادى .. : أيـــن يـــا ليـــلُ زمـــانُ الـــشعراءْ ؟

راعهـــــا فيـــــه أســـــيرٌ للـــــسُّهادْ

***

فتهـــــادتْ في حنـــــانٍ شـــــهرزادْ

أطـــرق الـــشاعرُ يُخفـــي بـــادراتٍ مـــن بُكـــاء

فأظلّتـــــهُ يـــــداها في حُنـــــوٍّ .. وإخـــــاءْ

قـــال : أضـــحى الكـــونُ غابًـــا ، والأنـــاسيُّ ذئابـــا

لـــيس فـــيهم لحيـــاة الخـــيرِ والحـــقّ رجـــاء

ذللـــوا العلـــم لمـــا شـــاؤوا وســـلُّوها حرابـــا

فـــإذا بـــالأرض بحـــرٌ مـــن دمـــوعٍ ودمـــاء ...

وأجـــادوا صـــنعةَ الحِربـــاء طبعًـــا وإهابـــا

فأحـــالوا العـــيشَ زورًا وأفـــانين ريـــاء

فـــانظري كيـــف انتهـــى أمـــرُ العبـــادْ

وانظـــري ، ثـــم انظـــري .. يـــا شـــهرزاد

***

فأجابـــتْ وبعينيهـــا شـــقاءٌ وشـــقاءْ :

آه يـــا ضـــيعةَ أحلامـــي وقـــد صـــارت هبـــاء

أيـــن منـــى الآن ذِكـــرى ليلـــةٍ مـــن « ألـــفِ ليلـــهْ»

وأمـــيرٌ فـــاتنُ الطلعـــةِ مجلـــوٌّ البهـــاء

طالمـــا ألقـــى عـــلى عمـــري وآمـــاليَ ظلّـــه

فكـــسا عمـــري وآمـــاليَ أثـــواب الهنـــاء

لم أجـــدْ مـــن بعـــده حبًّـــا .. ولا نادمـــتُ قبلـــه

غـــيرَ أحلامـــي العـــذارى ، وخيـــالاتي الوضـــاء

وأغـــــــانٍ تركـــــــتْ في كـــــــلّ وادْ

« شـــــــهريَارًا » يتمنـــــــى شـــــــهرزادْ

***

ومـــضتْ تـــضربُ في الأرض عـــلى غـــير اهتـــداء

خُطـــوةَ المجـــزوع في دُنيـــا ضـــلالٍ وعـــماء

بـــين قـــومٍ عـــشقوا الـــشّهوةَ حتـــى عبـــدوها

وتفـــشّى حبُّهـــا فـــيهم كـــما يـــسري الوبـــاء

ورِثـــوا الأرضَ ، فلـــما عمَّروهـــا .. دمَّروهـــا

وبنَـــوا أمجـــادهمْ فـــوق رمـــام الـــشّهداءْ ...

ليـــتهم إذ جمعـــوا أحطـــابهم كـــيْ يُـــشعلوها

نُبِّئـــوا أنَّ غِـــذاها مـــن شـــغافِ الأبريـــاء

فـــانتهوا عـــما جنـــوهُ مـــن فـــساد

واســــــتناروا بمعــــــاني شــــــهرزاد

الشروق

يا حبيبي .. قد صحا الورد ومازلنا سكاري
وتهادي العطر فياضًا بأنفاس العذارى
والكؤوس الحلوة الشقراء في لهف حياري

تتهادي بين تغرينا كأطياف المني
ملؤها شوق الليالي وخيالات الصبا
في حناياها أمان .. آه لو دامت لنا
وبدنياها خلود مثل أفراح الرُّبى
أنت نشوان على صدري تميل
وأنا السابح في الحلم الجميلْ

***

يا حبيبي .. قد بدت في الأفق أعلام الصباح
وأنا صداح روض خضّب الشوك جناحي
أنا ساقي الزهر من دمعي وأحلامي وراحي

وبدت تهفو تباشير الأماني حولنا
بعد أن ولّتْ مع الأسحار آهات الحنينْ
وطويتُ الليل فرحان أناديك : هُنا
يا غرامي .. املأ الكأس بأحلام السنينْ

(١) الهلال / ديسمبر ١٩٤٩ / ص٤٠ .

أنـــت نـــشوان عـــلى صـــدري تميـــلْ

وأنـــا الـــسابح في الحلـــم الجميـــلْ

***

يـا حبيبـي قـد بـدا الـشاطئ في نهـر الخيـالِ

وترامـــي المـــوج مـــشتاقا إلى صـــدر الرمـــالِ

وتغنـــي الزهـــر للفجـــر بـــأسرار الليـــالي

مـــرت الأنـــسام تلهـــو بالـــشراع الخـــافق

ضـــاحك الأنـــوار مطلـــولا بأنـــداء الـــصباحْ

طّيـــع المجـــداف منـــسابا كحلـــم شـــيّقٍ

هـــو رؤيـــا لحبيـــبٍ وعنـــاقٍ ومـــراح

أنـــت نـــشوان عـــلى صـــدري تميـــلْ

وأنـــا الـــسابح في الحلـــم الجميـــلْ

* * *

يـا حبيبـي .. لم يعـد في الكـون وسـنان سـوانا

والأزاهـــير مـــع الطـــير تغنـــت بهوانـــا

والـــروابي خلـــدتها لثمـــة النـــور حنانـــا

أشرف الـروحُ عـلى فجـر مـن الحـب الـسعيد

في شـــعاع راقـــص القلـــب عـــلى نـــور ســـناه

وتغنـــي البلبـــل الظمـــآن للـــصبح الوليـــد

وشربنـــا الخمـــر فياضّـــا عـــلى كـــأس الـــشفاه

أنـــت نـــشوان عـــلى صـــدري تميـــلْ
وأنـــا الـــسابح في الحلـــم الجميـــلْ

* * *

يـا حبيبـي .. كـل مـا حـولي نـاداك : حبيبـي
يـانجّي الزهـر والأنـسام والعـشب الرطيـب
فاصحُ يابن الذكريات البيض والكأس الطروب
طـرِ عـلى النهـر وغـرد بجنـاحي شـاعر
وابتـسم للحـب وارقـص بـين أوتـار الـسنا
واسـتمع لحـن الحيـاة العبقـري الـساحر
وادعًـا يـسري مـن الخلـد ليهفـو حولنـا
أنـــت نـــشوان عـــلى صـــدري تميـــل
وأنـــا الـــسابح في الحلـــم الجميـــلْ

خمرة الربيع

رفـعَ الكـأسَ وغنـي شـاركوني ياصـحابي

وابعثوا النشوة فينا ، وجوي الروح المذاب

واملؤوا الآفاق شدوًا واغمروا تلك الروابي

يخطـر الحسن عـلى كفيـه ريـان القـدود

ويغنـي الحـب في أعطافـه لحـن الخلـود

يـا أخـا الأحـلام هيـئ خمرنـا

واسـكب الأشـواق في كـأس المنـي

فـالهوى والـشعر ، والنجـوي لنـا

***

يا صحابي ... أي سحر ذاب في دنيا الوجودِ

أي خمـر عـصروها مـن شـعاعٍ وورودِ

سـكر العـشاق فيهـا وأفـاقوا مـن جديـد

فـدعتهم ربـة الحـب إلى خـدْر سـعيدِ

رقَّـشته بينـان مـن أعاجيـب وفـنَّ

لم تُغْـد تخفـق فيـه غـير أرواح تغنـي

يـا أخـا الأحـلام هيـئ خمرنـا

واسـكب الأشـواق في كـأس المنـي

فـالهوي والـشعر ، والنجـوي لنـا

---

(٦) الهلال / إبريل ١٩٥٠ / ص٧٨ .

يـا صـحابي .. رددوا أنـشودة القلـب الطليـقِ
واسـمعوا رجـع الأمـاني مـن رفيـق لـرفيـقِ
فهنـا في موكـب الـسحر ومغنـاه الأنيـقِ
كـل ثغـر فتنـة تغـري وكـأسٌ مـن رحيـقِ
والربيـع الطلـقُ صـداحٌ كحـوراء الخيـال
هاجهـا الوجـدُ فغنـت ذات ليـل مـن ليـالي
يـا أخـا الأحـلام هيـئ خمرنـا
واسـكب الأشـواق في كـأس المُنـي
فـالهوي والـشعر ، والنجـوى لنـا

* * *

يـا صـحابي .. هـذه النبـأة مـن فـرح الـسماء
طـاف بـالروض نـداها ، فتغنـيّ للنـداء
وأفـاق الزهـرُ في أحـضانه ، حلـو الـرواء
ورنـا الكـون وأصـغى ، وحـلاّ همـس اللقـاء
وسري بالـضفة الخـضراء لحـن شـاعريٌّ
سـاحر النـبرة ، رفـافٌ ، رقيـقٌ ، عـاطفيٌّ
يـا أخـا الأحـلام هيـئ خمرنـا
واسـكب الأشـواق في كـأس المنـى
فـالهوى والـشعر ، والنجـوي لنـا

* * *

يا صحابي .. قد غفا الدهر ، فهاتوا الخمر هـاتوا

ودعـوا الأوهـامَ تمـضي قـبلما تمـضي الحيـاةُ

كيـف نقـضي مثلما تـذوي الـورودُ الظامئاتُ

بيـنما في العمـر كـأس وعيـون حالمـات

وشـفاه ضـاحكاتُ تتغنـي بـالربيع

وتـشيع الـسحر والنـشوة في اللحـن الرفيـع

يـا أخـا الأحـلام هيـئ خمرنـا

واسـكب الأشـواق في كـأس المنـي

فـالهوي والـشعر ، والنجـوي لنـا

خواطر طفل

أماهُ .. حبًا صافحتك وناغمتك خواطري

أماه .. لا غير الحنان يضيء في مهد سرائري

ويفيض كالعطر المضوع في نقاء مشاعري

مازلتُ منذ أتيت بي عبر الوجود الزاخر

أحبو على كف الحياة تحية من عابر

لأري الحياة بهاءةً تختال عبر نواظري

فأبيت أحلمُ بالضياء ، وبالصباح العاطر

وأفيق ألمح في الوجود سعادتي وبشائري

* * *

أماه .. إني لا أري غير ابتسام ساحر

يسري على ثغر الوجود كغنوة شاعر

ويفيض كالحلم الموشيّ .. كالربيع الناضر

طلقًا ترفّ به المفاتن في ضياء غامر

أماه .. حقًا أنها آيات ربٍ .. قادر

أماه .. سبحان الذي أوحي بذاك الخاطر

رسم الجمال بنانهُ في كل روضٍ زاهر

فكأنّ هاتيكَ الحياة غدتْ عروس مزاهر

* * *

(١) الهلال / يونيه ١٩٥٠/ ص١٦٢ .

أماه .. إني قد خرجت إلى الوجود كطائر
متنقلا بين الرياض بها أفضتُ مشاعري
وسكبتُ في أفنانها شدو الهزار الباهر
إن كنتُ أهواها فإن عبيرها هو ساحري
والى الجمال صبابتي فله ومنه خاطري
أشتفّه رأد الضحي عود الحبيب الزائر
وإذا دجي الليل الحبيبُ قضيتُ ليلَ الساهر
لي في الجمال هوىً وإن هو الجمال .. لآسري

***

أماه .. ماذا في الحياة خبيثها والسافر
أحببتُها لم أرع فيها غير حبي الطاهر
أماه .. أخشي أن أضلّ مع العُباب السائر
فإذا أنا أغدو غريبًا في خضمٍ ثائر
تنفضّ من حولي الأمانيُّ انفضاض السامر
ولو استطعتُ لعشتُ في دنياي عيشة سادر
لا تفرحي أماه أو تبكي لعزٍّ غابر
وتجّملي بالصبر .. يسعد مثل بدئي آخري

ابتسام

ربة الحسن وأصداء الخيال الساهر
شاقني الليل فعطرتُ حنايا مزهري
ودعوت الكون يصغي للنداء الساحر

فتعالي نبعث الكون ابتسامًا وسنّا
ونغني والأماني تغني حولنا
حيث ألقاك بكأسي ومدامي
وبعينيَّ أحاديثُ الغرام
وأناديك بروحي يا ابتسامي

****

حدثيني عن هوى الماضي وشوق الحاضر
واسكبي لي خمرة الروح ونجوى الشاعر
ترقص الدنيا لعينيَّ .. ويأسو خاطري

وابعثيني نغمًا يخلد في سمع المنى
فاتن الإيقاع يطوي في صداه الزمنا
كلما طاف بصحوي أو منامي
صحتُ من صبوة روحي وهيامي
حدثيني وأعيدي : يا ابتسامي

---

(١) الهلال / يوليو ١٩٥١

بسمة العمر : صحا الفجرُ كحلم عاطر

واحتوى الروض شعاع من جناحي طائر

ينشر الفتنة والشعر وأنس الحائر

أخت روحي : مثل هذا الحسن لم أسمع أنا

فيه قيثارُ وعطرُ وشبابُ وجني

فيه ما يفتن من زهرِ وجام

وربيعيِ ضاحك البهجة سامي

وأنا فيه أغني لابتسامي

همس الغروب ....

يا ضفاف الحب هل حيتك أطياف المغيب
وتراءت مثل شقراء تغني لحبيبِ
تنثر السحر على الأمواج والرمل الرطيبِ
صورُ من خفقة الماضي وذكرى من لقاءْ
وبقايا نشوة راحت ودنيا وصفاء
خطرت كالحلم في جفن الليالي
حين سرنا فوق واد من خيالِ
نشرب النور ونهفو للظلال
وبعينيك من الشوق فتون
وبقلبي منك سحرُ وجنونُ

* * *

قلت لي والشمس تلقى فوق خديك رداها
وتحيل الصخرَ والماءَ قلوبًا وشفاها
وتعيد الطير مسحورًا على خفق سناها
قلت لي والشفق الورديُّ في روعته
آه لو يغفلُ هذا الكون عن دورته

---

(١) الهلال / مايو ١٩٥٢ .

ونـــري الـــدنيا بعينـــيْ طـــائرينِ

أطلقـــا فيهـــا جنـــاحيْ عاشـــقين

فـــأغني وتغنـــي لـــك عينـــي

وبعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــونُ

وبقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــونُ

* * *

واحتوانـــا زورقٌ يختـــال في زرقـــة مـــاءِ

الهـــوي ملاّحـــهُ الـــشادي بأنغـــام الرجـــاء

فيـــه مـــا ألقتـــه ربـــاتُ الـــصبا ذات مـــساء

مـــن أزاهَـــير وقيثـــار وكـــأس عـــاطر

ســـكرتْ مـــن خمـــره روحُ الـــشباب الثـــائر

فأحطتـــك عـــلى رفـــقٍ ذراعـــي

وتـــساقينا عـــلى همـــس الـــشراع

وتبـــديت كحلـــم أو شـــعاع

وبعينيـــك مـــن الـــشوق فتـــونُ

وبقلبـــي منـــك ســـحر وجنـــونُ

* * *

ثـم عـدنا للـضفاف الخـضر واللهـو المتـاحِ

بـــين عـــشاق أســـاري وأبـــاريق وراحِ

كـل كـأسٍ غفلـة تقـصيك عـن ذكـر الـصباحِ

سـاعة شـعت لهـا الأضـواء واسـتحَى القمـرْ

صـــحتِ بالغيـــبِ تمهــلْ وترفــق يــا قـــدر
يـــا حبيبـــي مـــا عـــلى الـــدنيا ســـوانا
فـــاشرب الليلـــة مـــن خمـــر هوانـــا
وادع بالأيـــــام أن ترعـــــي صـــــبانا
وبعينيـــــك مـــــن الــــشوق فتـــــونُ
وبقلبـــــي منـــــك ســـــحر وجنـــــونُ

***

وصـــحا الفجـــر وضّي المهـدِ رفـافَ العبـير
وسَرتْ في بـسمة الإشراق همـساتُ الزهـورِ
فانثنينـــــا لـــــوداعٍ وأفقنـــــا لمـــــسيرِ
شـفة ذابـتْ عـلي ثغـري وأخـري ترقـبُ
ويـــدُ تهتـــزُّ في شـــعري وعـــينُ تـــسكبُ
ومـــضى طيفُـــك ظـــلاً شـــاعريا
لم يخّلـــفْ غـــير ذكـــري في يـــديا
وحنـــــين مـــــضرم في شـــــفتيا
وبعينيـــــك مـــــن الــــشوق فتـــــونُ
وبقلبـــــي منـــــك ســـــحر وفتـــــونُ

***

كـلّ مـا في الليـل ولّي وخبـا الـضوء العليـلَ
وخيـالات المنـي راحـت مـع الفجـر تميـلَ
ومـضي العـشاق في أعيـنهم حلـم جميـلَ
وخـلا الكـون بـدنياه عـلي روحـي وقلبـي
وبقايـا لثمـة في كـأسي المحطـوم قـربي
فتـذكرتُ أحاديـث الغـروبِ
وتـشّهي سـاعدي خـصر حبيبـي
غـير همـسٍ طـاف بالـشطّ القريـبِ
وبعينيـك مـن الـشوق
وبقلبـي منـك سـحر وجنـونُ

خطيئة البشر

عــلى رفــرف الموجــةِ اللاهيــه — تَلَمَّـــستُ في الليــلِ قيثاريــه
وأطلقـــتُ أفراحـــهُ نغمـــةً — تَخاصرُهـــا في الـــصدى أغنيــه
وقلـــتُ شراعِـــيَ مـــل بي إلى — ديـــارِ الحبيـــبِ .. وأصـــحابيه
وأمهـــلْ خطـــاكَ عـــلى مرفـــأٍ — يُرقِّـــشُهُ النـــورُ .. والفاغيــه
يطـــوف بـــه الحسنُ في موكـــبٍ — تظلِّلُـــه نـــشوةٌ ... غافيـــه
أناشـــيُدهُ مطلقـــات الجنـــاحِ — ونجـــواهُ آمـــرةٌ ... ناهيـــه
صـــباباتُ أمنيـــة تُرتجَـــى — ولقيـــاهُ ضِـــلَّةُ آماليـــه
يعـــيشُ عـــلى مِهرجـــانِ الربيـــعِ — ويـــشربُ أنغـــامَ أشـــواقيَه
بـــه الـــروحُ تغفـــو عـــلى وجـــدها — فتعلنـــه أخـــتُ أحلاميَـــه
تـــرفُّ بهـــا أغنيـــات الـــشبابِ — لـــتملأ أيـــاميَ الخاليـــه ...

* * *

عـــلى شـــفتيها عبـــيرُ الحيـــاةِ — ومقلتهـــا دعـــوةٌ حانيـــه
أراحـــتْ عـــلى شـــعرها زهـــرةً — لتأخـــذَني فتنـــةٌ طاغيـــه
فرحـــت أنادمُهـــا بـــسمةً — فقالـــت : رُويـــدَكَ يـــا داهيـــه
أمـــا تـــستحي مـــن فـــضولِ المساءِ — ومـــن هـــذه النـــسمةِ الغاديـــه
وتلـــك الفراشـــةُ تُـــصغي لنـــا — وترنـــو بأهـــدابها الـــسَّاهيه
تَلفَّـــتُ مـــن حولنـــا الكائنـــاتُ — كـــأنّ عيـــونَ الـــرُّبي صـــاحيه

(1) هلال / يناير ١٩٥٣ .

وذاك الشعاعُ خفوقَ الجناحِ أخافُ يُحدثُ عمّا بيه ...
لهيبُ الصباباتِ يمشي بنا على ظمإٍ المهجةِ الصّادية
سئمتُ من الأرض والكائنات ومن هذه الجفوةِ الباديه

***

فقلتُ وفي نبرتي دمعةٌ تُغَلِّفها نظرتي الغاضِبيه
صدقتِ فصّورتِ هذا الترابَ ونضّيتِ أسماله العاريه
ومثلتِهِ كاختلالِ القصيدِ ولكن ترفَقتِ بالقافيه ...
تحدثتِ عن جَفْوةٍ في الرحيقِ وأغفلتِ أكوابَهُ الخاويه ...
ألم تسمعي شَهَقاتِ الخَبالِ ترددُها الأنفسُ الضاريه
تنامُ على أملٍ أسود وتصحو على رغبةٍ داميه
يكادُ اللظى يشتكي جمرَها وفي عُرفهمْ .. فطنة واعيه
شريعتُهُمْ .. آخذٌ حاصدٌ وبسمتهمْ .. صُفرةٌ باغيه
على غابهم تقشعرُّ الذئابُ وأنفاسُهُمْ شهوةٌ عاتيهِ ...
بكلِّ قوانينِ عرفِ الدّمارِ يشيدونَ دنياهُمُ الواهيه

***

كأنهمُ خُلقوا للفناءِ على مذبحِ النزوةِ الفانيه
وما آدميّتُهُمْ للثرى .. سوى زفرةِ الجذوةِ الخابيه
فلم يُدركوا تبعاتِ الحياةِ ولا مُبتغاها .. ولا ماهيه
قطيع من الطينِ لَمّا يزلْ يموجُ على شفةِ الهاويه
حنانَكِ أختاه .. لا تجزعي ولا تُفزعي روحَكِ الشاديه
تعالىْ فما الأرضُ بالمرتجاة وما هيَ بالجنةِ الباقيه

تعـــالَ إلى شُرُفـــاتِ الـــسحابِ إلى مـــسبح القبّـــةِ الباقيـــه
هنـــاك عـــلى درجـــاتِ الـــضياء نجـــدِّدُ أرواحنـــا العانيـــه

***

نُطـــرزُ للحـــب أســـطورةً ... ســـماويةً مـــا لهـــا راويـــه ..
ونمـــضي ســـويًا إلى الفرقـــدينِ بأجنحـــةٍ للمُنـــى خافيـــه ..
ونـــرقصُ في شـــفقِ الزَّهـــرةِ ونـــشربُ ألوانهـــا الزاهيـــه
ونرفـــعُ متّكـــأ للربيـــعِ ونُخفِـــضُ متّكـــأ الـــشاتيه
ونعلـــو إلى حَلبَـــاتِ الفنـــونِ نعابـــثُ أربابهـــا الـــساريه ...
ونخطَـــرُ كـــالحلم فـــوقَ النجـــومِ ومـــا خلـــفَ آفاقهـــا العاليـــه
نهدهـــدُ كـــلّ فـــؤادٍ شـــقيٍّ ونحنـــو عـــلى المَقْلـــةِ الباكيـــه
ونمـــنحُ أشـــواقنا قبلـــةً ... نراهـــا عـــلى حرهـــا ســـاميه
وننظـــرُ لـــلأرضِ مـــن بُرجِنـــا لنمنحَهـــا القبلـــة الثانيـــه .. !!

همسة الخيام

هتفــــــتْ بي في منـــــامي همـــــسةٌ

لا تـــــضع ليلـــــك في نـــــوم ســــقيمْ

قـــــد حلـــــتْ فـــــوق الـــــروابي جلــــسةٌ

فأعــــدْ شَــــدوَك واللحـــــنَ القـــــديمْ

***

يـــــا نـــــديمَ العمـــــر .. هيَّـــــا نجتـــــلِ ..

صـــــبوةَ العمـــــر التـــــي لا تخلـــــدُ

واغتـــــنم صـــــفوَ الزمـــــان الحَـــــوَّل

قـــــبلما يُـــــودي بنـــــا ... أو يجحـــــدُ

***

لا تلمنـــــي إن بـــــدا نـــــورُ الـــــصباحْ

وأنـــــا لاهٍ بكـــــأسٍ .. لا أفيـــــقْ

سُـــــنَّةُ العـــــيش .. غـــــدوٌّ .. ورواحْ

وغـــــدًا .. تـــــشتاقُنا هـــــذى الطريـــــقْ

***

(1) هلال / مارس ١٩٥٣ .

فكـــرةٌ مـــن عـــالم الغيـــب القـــديمْ
رقـــصتْ آلهـــة الفـــنّ .. لهـــا ..
وغـــدتْ خمـــرًا عـــلى ثغـــر النـــديمْ
فـــرأى العـــالمَ في ياقوتِهـــا ..!

***

ذلـــك الغرّيـــدُ في مهـــد النّـــدى
عـــامرُ اللحـــن ، تـــسامى ، وَزَهـــا
كيـــف يغـــدو ذا الطليـــقَ المنِـــشدا
لـــو جفـــا منقـــاره حباتِهـــا ..!

***

تِـــهْ عـــلى كـــفِّ الربيـــعِ النـــاضرِ
واجتلـــبْ متعـــة كاســـاتِ المـــرَحْ
إنـــما خفـــقُ الفـــؤادِ الـــشاعرِ
حَبـــبٌ يطفـــو عـــلى ســـطحِ القـــدح ..!

***

هـــاتِ . زدني مـــن أفـــانين الحيـــاه
يـــا أخـــا الـــروحِ ودعْنـــي مـــن غـــدى
قـــد غفـــا الأمـــسُ عـــلى صـــدر ســـواه
وغـــدٌ .. مـــا زال رهـــن المولـــدِ

***

زهـــــرةُ العمــــــر إذا لم تَـــــسْقها
بالرُّضـــابِ الحلـــو والحـــسن الجميـــلّ
لا نثنـــتْ تـــنفضّ عـــن أوراقهـــا
وهــــي تـــستعجل أيـــامَ الرحيـــلّ

***

سرتُ بـــين الـــروضِ أنـــسى مـــا بِيَـــهْ
وأردُّ الـــــروحَ .. روحًـــــا شـــاعرهْ
فرأيـــــتُ اللهَ .. عينًـــــا صـــــاحيَهْ ..
ويـــدًا تحنـــو .. وأخـــرى قـــادره .!

***

ســـاعة مـــرَّتْ مـــن العُمـــرِ الحبيـــبْ
أيقظتنـــــي مـــــن رُؤاهـــــا رغبـــــةٌ ..
أيـــن تمـــضي دورة الكـــون العجيـــبٌ
وهـــــو في كـــــف المنايـــــا لعبـــــةٌ

***

أيهـــا التائـــهُ في كُنـــه الوجـــودْ
فاتـــكَ العمـــرُ وأضـــناكَ المـــدارْ
عبثًـــا تـــسعى إلى سر الخلـــودْ
يـــا مقـــيمَ الليـــل بحثًـــا .. والنهـــار

غربية

أي همــس حــالم الإيقــاع نــشوان الــصدى
طــاف كالفرحــة كــالنجوى كــلألاء النــدى
حــين نــاداني وحيّــا وهــو يلقــى لي يــدا
قلـــــت : أهـــــلا .. فتثنـــــى ورنـــــا
وتبــــدّي لي الرفيــــق المحــــسنا
نظــرة .. ثــم دعــاني قــائلا في همــستين
أيهــا المفتــون .. مــاذا لــو شربنــا قــدحين
قلــت هــات .. فأنــا سـمع وأصــداء وعــين

* * *

وتبعنــا رغّبــة الــروح وأهــواء الــصِّبا
وتبــدي الليــل مفتونــا .. تغنــى وصــبا
وبــدا لألاؤهــا يعبــث في صــدر الرُّبــى
فانطلقنــــا بــــين خمــــر وجنــــى
كخيــــالين عــــلى ذوب المنــــى
وتهــادى النيــل .. عطــرا تــاه بــين الــضفتين
موجــه .. حلــم وقيثــار وأقــداح لجــين

(1) الهلال / مايو ١٩٥٣ .

آه هــات .. فأنــا ســمع وأصــداء وعــين

* * *

ثــم سرنــا بــين لحــن وقلــوب شــاعره
نثــر الحــب عليهــا مــن رؤاه الــساحره
وسرى فيهــا سرى الحلــم بعــين ســاهره ..
قــال والكــون شــباب حولنــا
أيهــا العاشــق .. دنيانــا هنــا
مــا علينــا لــو تخاصرنــا ودرنــا دورتــين
وتهامــسنا عيونــا تتنــاجى .. ويــدين
وأنــا منــك أنــا .. ســمع وأصــداء وعــين

* * *

ورمــى للــساعد الحــاني نحيــل الخــاصر
وصــبابات حيــارى فــوق نهــد حــائر
فرأيــت العمــر أوهامــا ورؤيــا شــاعر ..
يــا حبيبــي قــد ملكنــا الزمنــا
وكتبنــا خلفــه ليلتنــا ...
خطــوة مــل بي مــع اللحــن .. ودر بي دورتــين
واحتــويني .. ثــم دعنــي .. ثــم عــد في خطــوتين
فأنــا .. مــاذا أنــا .. ســمع وأصــداء وعــين

* * *

وغفــا اللحــن فــضمتنا الأمــاني الغافيــه

واحتوتنــا نــشوة ســكرى .. ودنيــا شــاديه

مهجــة تهتــف للحــب .. وأخــرى حانيــة

يــــا ربيــــب العطــــر يــــا روح الــــسّنا

طابــــت الليلــــة فــــاملأ واســــقنا

وأدر كأســـك تحكـــي عـــن ثنايـــا شـــفتين

وأدرهـــا لثمـــه منـــك ومنـــي رشـــفتين

ثـــم هـــات .. فأنـــا ســـمع وأصـــداء وعـــين

***

قــال حــدثني عــن الــشرق وصــف لي عالمــه

وعــن الأشــواق في صــدر العــذاري الناعمــه

وحــديث النيــل في أذن الــضفاف الحالمــه

أيـــن منـــا زورق يمـــضي بنـــا

ومـــساء يـــستخف الفتنـــا ...

لرأيـــت النيـــل يحكـــي قـــصة للـــشاطئين

عـــن ليـــال .. مـــا رآهـــا قبلنـــا مـــن عاشـــقين

الأمـــاني لهـــا .. ســـمع وأصـــداء وعـــين

***

يا أخا الغرب .. ليالي الشرق عشق وهوى
وضفاف ظمئ الحب عليها .. وارتوى
وشباب خالد الفتنة معبود الروا
أطلق الوجدان .. روحا معلنا
وقلوبا تتشهى مثلنا ..
فتعال اسكب على روحي وقلبي غنوتين
وترفق يا أخا الغرب وخذها قبلتين
فأنا آه أنا .. سمع وأصداء وعين

* * *

يا أخا الغرب .. ويا لحن الليالي الخالده
أقبل الصيف وعادتني الظلال الشارده
ورؤى طيفك يدعوني ويلقي لي يده ...
أي دنيا شعشعت أنغامنا
ثم عادت .. فطوت ما بيننا
غير تذكار من الماضي جرى في مقلتين
كلما هاجته أشواقي ترامى دمعتين
وثوى في خاطري .. سمع وأصداء وعين

الحيرة الخالدة

أنـا يـا فتنـة الـدنيا ويـا رجـع الأناشـيدِ
شراع تـاه في بحـر شريـد المـوج عربيـدِ
بـشطيهِ خيـالاتي وأحلامـي وتغريـدي
تنـاديني نـداء الحـبِّ للعـشاقِ والغيـدِ

* * *

أنـا لحـنٌ عـلى قيثـارة الحرمـانِ والـشّعر
أنـا سـاقٍ تناسـتني كـؤوسُ الحـبِّ والخمـرِ
أنا زهرٌ وهبتُ الروضَ ما حُمّلتُ من عطرِ
أنـا الغرّيـدُ في شـجوي ولكـن ليتنـي أدري

* * *

أنـا الفكـرُ والأوهـامُ .. سُـمارٌ بأعتابـكْ
وبي مـن لهفـة الظمـآن أشـواقٌ لأكوابـكْ
أنـا والعمُـر والنجـوي .. مُصلّونَ بمحرابـكْ
ولي في الفجـر والأنـداءِ تـذكار عـلى بابـكْ

* * *

أنا الطيفُ الذي يخطر في أحلامكِ السَّكري
حيـيٌّ الخطـو هيّـابٌ كـأنُّ بليلـهِ سرّا
يَسيرُ على لهاثِ القلب والأشواق والذكرى

---

(1) الهلال / إبريل ١٩٥٤ .

ويمــضي مــثلما أقَبــل ، في أدمعــه الحَمْــرا

* * *

أنـــا روح مغلفـــة بـــأظلال .. وأضـــواءِ
كما طافت عـلى الـشمس .. تـردَّتْ في سري الماء
دعتهـــا فرحـــةُ الـــدنيا إلى وَردٍ وأنـــداءِ
فــضلّتْ عَــبر أشــواكٍ وكثبــانٍ وحــصباءِ

* * *

تعّرتْ عن هوي العمر ، وهذا الموكب الفاني
فــسالتْ آلهـــة تهتـــزّ في أعـــماق فنـــانِ
تنـادي وهـي ذائبـة عـلى أشـلاء ظمـآنِ
أليـست هـذه الـدنيا سـوي أحـلامِ وسْـنانِ ؟

* * *

وهزتْ ظلمةُ الشكويَ دموعَ النور من أمسى
فحطمتُ عصا ديْري .. ولبيتُ نـدا الكـأس
ولكـنْ لم أجـد في الخمـر مـا يرُجْـع لي نفـسي
فـما أبقيـتُ إيـماني .. ولا أنقـذت مـن حـسيِّ

* * *

أنا من طينة جمدُت .. ورجعٌ من صـدَى آدمْ
وليِّـد الفكـرةِ الحمقـاء وابـنُ الحـيرة النـاقمْ
أنـا الـشاعر يـا أخـتُ .. ضـياءٌ خالـدٌ . واهـمْ
أنا الضَالّ على الأرضِ .. ولستُ بضلتّي آثـمْ

شعر الوجدان العاطفي

« دم العشّاق ..»

دارتْ على مُهْجَةِ الصّادى تُرَوِّيها ... رَواوقُها من حلالِ السِّحْرِ سَاقِيها

العِطْرُ فِي خطْوِها مُسْتَرْوِحٌ ... عَجِبٌ ... والتِّيهُ يَرْقُصُ فِي أَعْطافِها .. تِيهَا

أَوَّادَةٌ بِالهَوَى .. تَخْطو عَلَى كَبِدِي ... يا لَيْتَها بِالهَوَى دانَتْ مَغانِيها

تَغْدُو .. فَتَسْكُبُ فِي أَعْماقِنا خَدَرًا ... يُغْوى الحَنايا .. ويَجْلو كُلَّ خَافِيها

تُومِى .. فَما لِخَلِيِّ القَلْبِ مُنْتَجَعٌ ... من غَزْوَةِ السَّهمِ .. أَوْ مِن قَوْسِ بَارِيها

وتَنْثَنِي .. فَيَمِيدُ الكَوْنُ مِنْ فِتَنٍ ... تَتْرَى .. وتَصْطَخِبُ الدُّنيا وما فِيها

و (الآهُ) .. فوقَ شَغَافِ اللَّيلِ أَجْنِحَةٌ ... أنا المُعَنَّى بها وجْدًا .. وشادِيها

سَأْمانَةَ الطَّرْفِ .. رُدِّى الطَّرْفَ عن طَلَلِي ... أو فابعَثى في حُطَامى ما يُمَنِّيها

وَهْنانَةَ العِطْفِ .. ما للدَّربِ مُنعَطَفٌ ... إلا سَنَا رحْمةٍ .. بالعُمْرِ أَفْدِيها

هَجْرُ الأَحِبَّةِ آهاتٌ مُؤَرِّقَةٌ ... إن مسَّها الفَجْرُ .. لا نَامَتْ لَيالِيها

تَظَلُّ أَبْيَاتُنا في الوَجْدِ تَبْهَرُها ... وشَجْوُنا في مَرَاثِى القَلْبِ .. يُحْيِيها

والحُسْنُ في مِهْرجَانِ الغِيدِ .. عافِيةٌ ... تُحْيِى دِمَاءَ الفتَى حِينًا .. وتُرْدِيها

أُمْسِى .. فَأُغْبِطُ لَيلاتى عَلى حُلُمٍ ... واهٍ .. وأَنْشُرُ أَوْهَامًا .. وأَطْوِيها

وأَغتدى .. فَنَوالُ الحُلْمِ أُمْنِيَةٌ ... عَزَّتْ سَماءً .. وتاهَتْ في تَعَالِيها

كَدُمْيةٍ في مِهادِ الطِّفْلِ ما لَبِثَتْ .. ... غِرُّ المَشَاعِرِ يُدْنِيها .. ويُقْصِيها

لوْلا الهَوى .. ما هَوى المجْنُونُ من ولَهٍ ... ولا تَشَفَّعَ في لَيْلَى .. تَجَافِيها

ولا أُبِيحَ دَمُ العُشّاقِ مَكْرُمَةً ... ولا تَرنَّمَ خَلْفَ البِيدِ حَادِيها

كـأنّنا أنـا موسـى .. والهَـوى صُـحُفي أتلـو عُهُـودِي عَلَيهـا .. ثُـمَّ أُوصِـيها

فَـمَا وَصَـايا الهَـوى أبقَـتْ ولا حَفِظَـتْ ولا عُهُـودٌ لَنَـا خَفَّـتْ .. لِتُوفِيهـا

مَـنْ لِلْحَيـارى .. إذا خُطـواتُهمْ أَلِفَـتْ أن تَـزْرَعَ الـشَّوْكَ غِيطَانًـا .. وتَمْـشِيها

مَنْ للسَّهَارىَ .. بلَيْلِ السُّهْدِ .. ما غنَّتْ في كاسِـهِمْ مـن سُـلافِ الحُـبِّ صَـافِيها

مـن للتَّعَـابَى إذا أَسْـفَارُهُم جَنَحَـتْ في رِحلَـةِ الـشَّوقِ .. تَغْرِيبًـا وتَمْوِيهـا

مَـنْ .. حَسْبُنا مَـنْ .. فما للـصَّبْرِ تَعْزِيـةٌ أنْ يَـسْتَوِى فَـوقَ نـارٍ .. بَـات يُـذْكِيها

يـا سَـائِلي عـن دمـوعي .. كَيْـفَ أَرْقَأُهـا والقَلْـبُ يَهْتِـفُ بالحُرْقـاتِ .. هَاتِيهـا

إنّـى نَـشَرْتُ حِبـالَ الـصَّبْرِ أذْعِيَـةً لَعَلَّهـا تَهْتَـدي يومًـا .. خطاوِيهـا

مـا زالَ في خَـافِقِي نَهْـرٌ وأَشْرِعَـةٌ وفي رَوَابـى الهَـوى .. طَـيْرٌ يُغَنِّيهـا

ولَمْ يَـزَلْ في دِمَـائي عِطْـرُ لاهِيَـةٍ وفي البَقَايـا بقايـا .. هَـل تُنَادِيهـا ؟ ..

« أوّاه ..... »

لَــوْ يعــرفُ مــاذا يَفْعَــلُ بي ... لَمَّــا تــأكُلُني عَيْنــاهُ
قَلْــبُ العُــصْفورِ المُــضطَرِبِ ... أوَّاهُ لِقلبــي .. أوَّاهُ ..

***

عَينــاهُ شُــعاعٌ يأخــذُني ... يــاللعينْ
يُمْــلأنى أنثــى .. يُــورقنى ... في غَمْــضَةِ عَــينْ
فَــأَروحُ أروحُ ولا أدرى ... وأُفيــقُ أُفــتِّشُ عــن عُمْــرى

واهًــا للقَلْــب وأوَّاهُ
لمَّــا تــأكُلُني عَيْنــاهُ

***

لَــوْ يَعْــرفُ أنّــى مــا هَتَفَــتْ ... أَشْــوَاقى إلاَّ لَــوْلاهُ
لَــوْ يَعْــرفُ أنّــى مــا هَــزَّتْ ... أَعْماقِــى إلاّ عينــاهُ
لا خُــضرُّ العُــودْ ... وَسَــقَى المَوْعــودْ

شَــهْدًا و ورودْ

فَــأَتوهُ أتــوهُ ولا أدرى ... وأُفيــقُ أُفــتّشُ عــن عُمْــرى

واهًــا لِلقَلْــب وأوّاهُ ..
لــمّا تــأكُلُنى عينــاهُ

***

لَــوْ يَعْــرفُ .. أَوْ لَــوْ لا يَعْــرفْ ... فَــالأَمْرُ سَــواءٌ يــا قلبــى
أَهْتِــفُ أو أصْرُخُ او أَحْلِــفْ ... أنّ الأحْــلامَ عــلى دَرْبــى
خَــضراءُ العــودْ ... تَــسقِي المَوعــودْ

شــهْدًا وَ ورودْ

وأَغِيــبُ أَغيــبُ ولا أدرى ... وأُفيــقُ أُفــتّشُ عــن عُمــرى

واهًــا للقَلْــب وأوَّاهُ
لَمّــا تــأكُلُنى عينــاهُ

كريستال

أرسل الطّرف .. وأومى .. وتفّضل

وصحا البارفان موسيقى .. وأقبل

قال أهلا .. وجرى نهرُ الكريستال

فتفضّل .. يا حبيبي .. وتفضّل

***

قال أهلاً .. فإذا قلبي ينسى موضعه

قلت أهلا .. ويَدى فوق السّماء السّابعه

تُطّعمُ النّجماتِ أحلى أغَنيه

وتضمّ الأمنيات السَّاريه

حينما نادى حبيبي .. مُنْعمًا

حينما أومى لقلبي .. حينما

قال أهلا .. وجرى نهرُ الكريستال

فتقّضل .. يا حبيبي .. وتفضّل

***

قال أهلا .. فإذا الدّنيا بعينيَّ .. تدور

قلت أهلا .. وبأعماقي .. زهو .. وغرور

ورَبيعُ لَيْسَ يأتيه شتاءْ

يرقصُ الفجر عليهِ .. والمساء

حيـــــنما أغـــــرى جنـــاحي .. وزمـــــى
حيـــــنما .. أومــــــى لقلبـــــــي .. حيـــــنما
قـــال أهــــلا .. وجـــرى نهـــر الكريـــستال
فتفّــــضل .. يـــا حبيبــــــي .. وتفـــــضّل

* * *

قـــال أهـــلا .. وكـــلام وشوشـــته مقلتـــاه
قلـــتُ أهـــلا .. وتهـــادت للقـــائي راحتـــاه
وتنـــــاثرت شــــــموعا مُرَهفـــــــــه
مرقـــــص .. حُلّـــــمُ .. ودفء .. وشــــفه
حيـــــنما .. أهـــدى لعَمَــــرى موســـــما
حيـــــنما .. أومــــــى لقلبـــــــي .. حيـــــنما
قـــال أهــــلا .. وجـــرى نهـــر الكريـــستال
فتفّــــضل .. يـــا حبيبــــــي .. وتفّـــضلّ

إلى سيدة ....
إلى صاحبة عمري الحلو ...

ربيبة هذا السنى العاطر تعالى إلى صدرى الشاعر
وهزى جناحيك في ساعدي على رعشة الندم الغافر
فما زلت أقرأ في مقلتيك حنينا إلى أمسنا الغابر
وما زلت في خاطري طفلة تلوب على قلبي الثائر ...

* * *

تعالى إلى خفقات الحنين تهدهد أحلامك المجهده
تعالى إلى لثمة في الجبين ألم بها الخصلة المبعده
أقام الصباح لها موعدا لتشرب من مقلة مسهده
ونام العبير على ليلها ليطلق في موجتيها .. يده

* * *

تعالى لنملأ كأس الشباب بخمرة أشواقنا الضارجه
تعالى .. لنفتح قلب الربيع بأقصوصة للهوى .. ساذجه
تعالى .. فما العمر إلا خيال تلونه اللمسة الهازجه
وما الحب في مهجتينا سوى نبيذ وأغنية .. دارجه

* * *

تعالى .. إلى جنة الذكريات تنام على الشاطئ الأملد
تمر بها صور الأمسيات فتغفو .. وتحلم بالموعد

تعالى .. تعالى شبابا يذوب ... وتنثال أعصابه في يدى ..
وخصرا تضج به الصبوات ... ينام ويصحو على ساعدي ..

* * *

تعالى فهذى المروج ظماء ... لوشوشة في الربى شاديه
وهذى الدروب على حالها ... تدغدغ بالعطر تذكاريه
وأنشودة الأمس في مخدعي ... تحدث عن ليلة صاحيه ..
وهذا عبيرك ملء دمي ... يكاد يمزق أنفاسيه ..

* * *

تعالى .. ربيبة هذا السّنا ... تعالى لتضحك أعمارنا
ونبعث لحنا حبيب الرنين ... تولى .. وأغفل أحلامنا ..
تعالى لنعبث ملء الحياة ... وملء الوجود .. وملء المنى
ونخطر فوق الربيع الوثير ... ونرقص تحت امتثال الجنى..

* * *

تعالى .. فكم حلم في الدجى ... ينقب عن واقع باسم ..
وكم غنوة تستدر الصبًا ... وتهتف بالغافل الواهم
وكم فكرة في رحيل الربيع ... تسائل عن غدنا المبهم
وكم زهرة تتشهى يدى ... فأقذف بالقيد في معصمي

* * *

تعالى .. أناقات حلم المنى ... وإشراقة الأمل الرائعه..
تعالى فأنى زرعت الطريق ... حكايا لأشواقنا الضارعه..
وأهرقت فوق رباه الليالي ... تلملم أمسية ضائعه

فقـــال لي الـــصمت أنـــى أراك وأســـمع أغنيـــة راجعـــه ....

***

تعـالى هنـا .. في انـدلاع الـصبًا نعابـث أنجـم هـذى الـسماء
ونغـــزل أشـــواقنا ضـــمتين تـذوب المنـى فـيهما والرجـاء
ونــزرع ألــوان هـــذا الوجــود حـديث الفراشـات خلـف المساء
فتـــصحو بـــسيرتنا في الـــصباح شــفاه الــورود ويــوح الـضياء

***

تعـالى حماقـات عمـر الـشباب وأهـــواء رقـــصاته الفـــائره
تعـالى .. ينـاديـك روح حبيـب يعــيش بآلامـه الـــساخره ..
أعيـدي إليـه انفـلات الـشباب وإشراقـة الغفلـة البـاهره ..
وردى عليـــه الربيـــع الربيـــع بألوانـــه الطفلـــه .. الفـــاجره

***

أناديـك أنـت .. فهـل تـسمعين وهـل تـرحمين صـدى آهتـك
وعـــبرة مـــسهدة في الـــدجى تعـيش عليهـا رؤى وحـدتك
تعـالى .. فـما زلـت أهفـو إليـك ومـا زلـت أخطـر في مهجتـك
ومـا زلـت أنـت عـلى لهفتـي ومـا زلـت أنـت عـلى لهفتـك ..

« بداية .. ونهاية .. »

قبلَ أن نلتقِي افترقْنا خِفافًا .. ما تهادى بناظرينا عتابُ
قبلَ أن نبدأ انتهينا وعُدْنا .. وتَرامى على خُطانا الضّبابُ
حَسْبُنا في بلاهَةِ الدَّرب وَهْمًا .. وكَفانا من الطَّريقِ الإيابُ
قدْ نَزعْنا عن الخيالِ خيالاً .. وأفقنا .. فما عليهِ ثيابُ
وطَوَينا صحائفًا كمْ تمنَّت لُغَةً .. العِشْقِ لَوْ حَواها كِتابُ
ونَبذْنا الكؤوسَ وهْى عروسٌ .. لم يُزغْرِدُ على سناهَا الحَبابُ

***

وسلكْنا منازِلَ الزُّهدِ في الأشواقِ .. حتَى جَرى عليها الحجابُ
رُبّما أرَّقَ الفؤادَ لهيبٌ .. أوْ سؤالٌ بِلا جوابٍ .. يُجابُ
غيرَ أنّ العبيرَ في رَحْمَةِ الشّوكِ .. وخَيرُ الدَّواءِ مُرٌّ وصابُ
فإذا ما تساءلَ الصَّحْبُ عَنَّا .. فأجيبِهِمْ .. إننا يا صِحابُ
قبلَ أن نلتقي افترقنا خِفافًا .. ما تهادى بنا ظرينا عِتابُ

نهر بلا عودة

لا تعــودي .. فقــد نَــسجتُ الرَّبيــعَ البكــرَ سِــترًا عــلى جِــراحِ الخريــفِ
لا تعــودي .. فقــد نظمــتُ المَنــى في سَرحــاتي .. أحــلامَ طفــلٍ شــفيفِ
وضــممتُ الحيــاةَ .. أنقــى مــن الــوهمِ .. وأبقــى مــن الخيــالِ المَطيــفِ
لا تعــودي .. فلــنْ أعــودَ بقايــا تتهــاوى عــلى فــؤادٍ كــسيفِ ..

***

هَــدَأَتْ جــذوةُ الجنــونِ بقلبــي .. وَخَبَــتْ شُــعلةُ الفــؤادِ العَميــدِ
وأفقنــا مــن الخَــمارِ .. وراحــت ســكرةُ الــشّوقِ والهَيــامِ الــشّريدِ
وطويــتُ الــشّراعَ .. لّمــا سَــعَتْ بــي للمنيّــاتِ ثــائراتُ الرُّعــودِ
فــاذهبي الآنَ .. لا رجعــتِ .. ولا عــادتْ لعمــرى مأســاةُ عُمــرٍ فقيــدِ

***

أنــا إن كنــتُ قــد أسِــفْتُ .. فــما ذنــبُ الأزاهــيرِ في فــراديسِ وهمــي
سَــحَقَتْ عودَهــا الوليــدَ وأردتْــهُ خطايــاكِ .. كالقــضاءِ الَملــمِّ
وإذا أنــت قــد نــدمتِ .. فــماذا عــن شــهيدٍ مــا زال يُــدمي .. ويُــدمى
حَــسْبُ قلبــي مــا رَوَّعتْــهُ الليــالي .. وَجَــرَتْ فيــه مــن شــقاءٍ .. وسُــقْمِ

***

زَلّــةَ الأمــسِ .. آنَ للأمـــسِ أن يـــسترجعَ الثّــاوىَ الكئيـــبَ الخـــدوعا
قــد دفنـــتُ الّـــذى مـــضى وتـــولّى .. وعـــلى القـــبرِ مـــا أضـــأتُ شـــموعا
ونـــسيتُ المكـــانَ قَفْـــرَ المراثـــى .. وزمانًـــا وأذتُ فيـــه الـــضّجيعا
وأبيـــتُ العـــزاءَ .. فـــيمن أعـــزّى .. ودمـــوعُ الخـــلاصِ ليـــستْ دموعـــا

* * *

سَـــقَطَ العَـــرشُ والقِنـــاعُ .. ودالـــتْ دولـــةُ الزّيـــفِ والغـــرامِ الكـــذوبِ
وهـــوى المعبـــدُ المَـــضمّخُ بالـــسُّهدِ وبالـــدّمعِ والـــدّعاءِ الـــسّليبِ
والتّراتيـــلَ .. جهـــشةٌ صَرَعتهـــا عـــبراتٌ عـــلى أســـاكِ الـــشّحيبِ
ومـــضى الرّاهبـــانِ .. كـــلّ بمنـــأى .. في طريـــقٍ مـــن الحيـــاةِ غريـــبِ

* * *

كـــلّ مـــا كـــان بيننـــا .. كـــان رؤيـــا .. جَثَمَـــتْ فـــوقَ صـــدرِها الأشـــباحُ
ألأزاهـــيرُ في رُباهـــا قتـــامٌ .. والـــسّواقي عبيرُهـــا الفَـــوّاحُ
فـــاشربي الآنَ .. فـــالطّريقُ طويـــلٌ .. والمقـــاديرُ أدمـــعٌ وجِـــراحُ
واجرعـــي حُرْقَـــةَ اللّظـــى .. لا كـــما شـــئتِ .. ولكـــنْ كـــما تَـــرى الأقـــداحُ

* * *

يـــا ســـماءَ الحيـــاةِ .. قـــد عـــدتْ حـــرًّا .. بجنـــاح إلى الأغـــاني طليـــقِ
وغـــسلتُ الـــشّموسَ مـــن دَرَنِ الغـــيمِ .. وألقيـــتُ في ســـناها طريقـــى
أنـــا قـــد عـــدتُ للـــصّحابِ .. لنفـــسي .. لربيـــعٍ عـــلى الربيـــع وريـــقِ
أنـــا قـــد عـــدتُ يـــا حيـــاةُ فهـــاتِي .. وأريقـــى الـــمُنى عـــليّ .. أريقـــي

إليها

إليها .. إليها .. ترى من هيه ... ربيبة أهّته الشاكيه
ومن هي فكرة هذا النداء ... ومن هي فتنته الساجيه
وما ذا أحس لها في الضلوع ... وما خلف دمعته الهاميه
ترسل في ليلها نغمة ... تجاوبها في الصدى أغنيه
فأطلق في حلمها الأمنيات ... وأسرى بآياته الشاديه
وأشعل من دمه زفرة ... ترقرق في أذنها القافيه
تذكرها أمسيات الصفاء ... وتعطف من روحها الساهيه
يصور في اللحن ما يرتجيه ... وما اضمرت روحه الحانيه
ويخطر بالحب فوق السحاب ... ويمضي بآفاقه العاليه
يهدهد كل فؤاد شقى ... ويحتو على المقلة الباكيه
ويسكب همس العتاب الرقيق ... إلى كل فنانه عاصيه
أللحن أطلق هذا النشيد ... للطفلة الحلوة اللاهيه
تراها إذا الليل ما جاءها ... أفاقت على ليلها صاحيه
ترقش بالعطر أعطافها ... وتملأ أكوابها الخاليه
أغاريده مطلقات الجناح ... ونجواه آمرة ناهيه
تراها .. تراها .. ترى من هيه ... ربيبة آهّته الشاكيه

هي الطفلة الحلوة اللاهيه

مقاطع شعرية

الموكب الكبير

مـــع الفجـــر هـــذا ضـــحانا يـــسير

يـــضم الـــصباح عـــلى أرضـــنا

وللموكــــب العــــربي الكبــــير

هتـــاف تـــدفق مـــن عمرنـــا

ونحـــن الأبـــاة ونحـــن الحـــماة

ونحـــن مـــع الفجـــر فجـــر يـــسير

يـــضم الـــصباح عـــلى أرضـــنا

يا حبيبي
(قصيدة صوفية لم تكتمل)

يـا حبيبـي سـكر الليـل بأنفـاس الـرُّبي

حيـثما جـارت عـلى الغابـة ألحـان القمـر

وتجـلي الله حبـا وجمـالا وصـبا

ويـدا منعمـة تغـزل أحـلام الزهـر

وسرى همـس حبيـب كمناجـاة القلـوب

***

يـا إلهـي .. كـل هـذه المعجـزات ترفـع

الحمـد وتعلـو للحيـاة

وتغنـي في تـسابيح الـصلاة

سيرانادا

حديث الحب

إذا مـا عـانق الليـل حـديث الحـب والـشعر
وغنـت بـالمنى الأرواح في أرغنهـا الـسحري
وراح الليـل موسـيقى مـن الألـوان والعطـر
فقـومي يـا عـروس الـروح يـا حلـم الهـوى البكـر
وعـودي للهـوى عـودي عـلى أشـواقي الحمـر

* * *

هنـاك عـلى ظـلال الحـور يحيـا بـالمنى قلبـي
يعيش العمـر صـداحا عـلى درب الهـوى العـذب
ويحكـي قـصة الينبـوع والأنـسام والعـشب
فقـومي يـا عـروس الـروح يـا حلـم الهـوى البكـر
وعـودي للهـوى عـودي عـلى أشـواقي الحمـر

(1) ألحان وغناء المطرب السوري نجيب السراج .

إلى سمراء النيل

حلا الحبُّ وطافَ السِّحرُ بالنّشوانِ والصّاحي
وغنّى الكأسُ لحنَ اللّيلِ والعُشّاقِ والرّاحِ
فهيّا يا ابنة الأنغام قد هيأتُ أقْداحي
ولم تخطرْ على شفتي .. ولم تصدحْ بأفراحي

***

أنا يا أختُ ظمآنُ .. وكأسي بين كفّيكِ
وهذى الفتنةُ السّمراءُ تدعوني لخديّكِ
ومِجدافي على شوقٍ يمنّيني بشطّيكِ
تناديه على الضِّفةِ أشواقٌ بعينيكِ

***

وهذه جنّةُ الأحلامِ .. كمْ جِئنا رَوابيها
نشاوَى .. نحفظ الوِّد .. ونشدو في مغانيها
وكم عهدٍ أخذناهُ .. وميثاقٍ بواديها
وكم يا أختُ ضمَّتْنا على حبٍّ لياليها

***

دخلناها حبيبينِ بكأسٍ من هوى النيلِ
وهامتْ روحُنا فيها .. بألحانٍ وترتيلِ
وأمضينا بها العمرَ .. لتُصغى لى
فأنت عقيدتي الكُبرى .. وقرآني وإنجيلي

***

دَرجنــا في رُبـــى النيـــلِ .. وفينـــا بـــاركَ اللهُ
أنـــا في طَرفـــه الأدنـــى .. وأنـــتِ عنـــدَ أقـــصاهُ
ومـــا يُـــسْهِدُ جفنيـــكِ .. فـــداءٌ لـــكِ ألقـــاهُ
وإنْ غنّـــى لـــكِ الفـــرحُ .. سَـــعدنا واقتـــسمناهُ

❊❊❊

وكـــمْ أرســـلتِ مـــن آهٍ عـــلى موجاتِـــهِ حـــيْرَى
وكـــمْ ضـــمَّت حنايـــاهُ دمـــوعَ الـــشّوقِ والـــذّكرَى
تعـــالَيْ فـــوقَ راحـــاتي .. ولا تخـــشَيْ بنـــا ضُرّا
فلـــو متنـــا عـــلى حـــبٍ .. فإنّـــا لمْ نُـــذِعْ سِرّا

❊❊❊

تعـــالَيْ نَـــسْكُبِ الآمـــالَ في ســـمعِ المَنـــى تـــسْرى
وهـــاتِي صـــدرَكِ اللّهفـــانَ يرتـــاحُ إلى صَـــدري
يُبارِكنـــا عـــلى النيـــلِ . وليُّ البـــيضِ والـــسُّمرِ
ويبعـــثُ مـــن أمانينـــا دويًّـــا في خُطَـــا الـــدَّهرِ

❊❊❊

أنـــا لـــولاكِ مـــا كنـــتُ .. ولا كانـــتْ صـــباباتي
ولا عَـــرَفَ الهَـــوى قلبـــي .. ولا ردَّدتُ آهـــاتي
وقِـــصَّتُنا إلى الـــدَّنيا قـــصيدٌ رائـــعُ الـــذّاتِ
أنـــا مطلعُـــهُ الـــشّادي .. وحُـــسنكِ فيـــه أبيـــاتي

❊❊❊

مُحـــالٌ أنْ يُفرّقنـــا مـــن الحـــسّاد تـــضليلُ
فـــدَعْوانا هـــيَ الحـــبُّ .. ودعـــواهُمْ أباطيـــلُ
هَواَنـــا يـــا ابنَـــةَ الأنغـــام تقـــديسٌ وتنزيـــلُ
وعهـــدٌ خالـــدٌ يزْهـــو بـــه التَّـــاريخُ .. والنيـــلُ

« قطر النّدى .. »

أحْضانُ هذا الفجرِ ضمّتْ في الرُّبى قَطْرَ النّدى
وَتَـأنّقَ الـصّبحُ الهنّـيُ عـلى المجـالي .. والمَـدى
لَمـا بَـدتْ في حسنِها شمسُ البهـا (قطرُ النّـدى)
ألحـسْنُ كـبَّرَ للجـمالِ .. وأوْرَقَـتْ ألوانُـهُ
دِفْئًـا .. يُـديرُ عـلى القلـوبِ نـسائِمَه
والـسّحرُ .. كـلّ الـسِّحرِ أقبـلَ طِيّعًـا سـلطانُهُ
يُهـدى إلى هـذى العيـونِ تمائِمَـه
فـإذا المقـاديرُ تمُـدّ إلى خطاويهـا اليـدا
لَمـا بـدتُ في حـسنها شـمسُ البهـا (قطـر النـدى)

***

دوري بأعطـافِ الـصّباحِ الـشّاعريِّ .. المَجْـتلى
وتمـايلي .. مَيْـلَ الـضّياءِ عـلى انـسكابِ المُخْمَـلِ
وتـدلّلي .. يـا قُبْلَـةَ النّـورِ الطّـريِّ .. تـدلّلى
فـاليومَ .. يَـصَدحُ بالبـشائرِ شـاعرٌ متفـرِّدُ
يُـصغى لـه قلـبُ الزّمـانِ ويَخفُـقُ
واليـومَ .. يزهـو مُـنْعَمًا هـذا الـصّباحُ الواعـدُ
وتَفـيض بالحـبِّ العيـونُ .. وتُغْـدِقُ
وصـحائفُ التّـاريخِ حُـرّاسُ .. وعهـدٌ .. وفِـدا

لَمـا بَـدتْ في حـسنها شـمسُ البهـا (قطـرُ النـدى)

***

بغــدادُ نــادتْ .. فاشرأبّــتْ للنّــداءِ القــاهره

أثْــرَى منابرَهــا البــشيرُ عــلى القُــرى والحــاضرَه

في موكـــبٍ لم يَـــدْرِ أوّلَـــهُ الزّمـــانُ وآخـــرَه

وكـــأنّما أغْـــرَى بـــوادي النّيـــلِ لحـــنٌ.. وصَـــدَى

رَقَـــصَ الوجـــودُ لـــه وغنّـــى وارتـــوَى

وشَـدَت عـذارَى الـضِّفّتين (الحنّـه يـا قطـر النّـدى

شـــبّاك حبيبـــي يـــا عينـــي جـــلاّب الهـــوى)

وتـــسابقَ النّبـــأ الحبيـــبُ يـــزفّ هـــذا الموعِـــدا

لَمـا بـدتْ في حـسنها شـمسُ البهـا (قطـرُ النـدى)

***

طافَـــتْ بـــأرض الرّافِـــدَيْنِ كـــما يطـــوفُ المُرْسَـــلَ

في صـــمتها حِكَـــمُ المـــشيبِ وَقَولَـــهُ المَتفـــضِّلَ

فتواكبـــتْ هِمَـــمُ المعـــالي .. تـــستزيدُ وتنهـــلَ

ضَـــمّتْ إلى شَرَفِ الأصـــالةِ والعـــصورِ البـــاهِرَه

قلبًـــا يميـــلَ إلى النُّهـــى قَبْـــلَ الهَـــوَى

مـن سَلْـسَلِ النّيـلِ العظـيم .. مـن الـرَوابي الطّـاهِرَه

شـــبَّ العطـــاءُ عـــلى يـــديها واســـتوَى

وَغَـدَتْ قلـوبُ العـارفينَ بـها أفاضـتْ سُـجَّدَا

لَمّـا بـدتْ في حـسنها شـمسُ البهـا (قطـرُ النّـدى)

***

حورّيــةَ الإلهــامِ .. يــا شُــغْلَ الأمــاني الدّافِئَــه

يــا مَوْجَــةَ .. عَــرف الجَــمالَ بــشاطئيها مَرْفَــأه

وسَــما إلى عــرشِ الفتــونِ .. يــضمُّ أحــلى لَؤلــؤَه

قَــسَمًا بطيفِــكِ يــستثيرُ بنــا الخيــالَ المُتْرفَــا

ويُهدهِــــــدُ الأشــــــواقَ في ليلائِنــــــا

مـا غـابَ ذكـرُكِ عـن أهـازيج الـرُّواةِ .. ومـا غَفَـا

عـــــن رقـــــصةِ النَّـــــشوةِ في أعماقِنــــا

وحكايــةٍ .. طــارتْ بهــا الأيّــامُ فنّــا خالــدًا

لَمّـا بـدتْ في حـسنها شـمسُ البهـا (قطـرُ النّـدى)

رحيل طائر النيل (صالح جودت) !

طائر النيل .. هل مللت الأغاني ... أم هجرت النشيد قلبا يعاني

جمد الدمع لوعة في المآقي ... وتهاوت على النذير المعاني

وأفقنا .. وزفرة الهول زلزال يدك الجنان فوق الجنان

فإذا الخطب .. هزة تفدح العمر ويودى نذيرها بالكيان

وإذا الحزن .. جهشة ودموع ... فجرتها مواكب الأحزان

فلقد غاب صالح شاعر العرب ... وقد غاب مونق الأوزان

وانزوت نبرة الغناء عن الشدو ... وضنت بلحنها الشفتان

فسلام على زكي المعاني ... وسلام على القوافي الحسان

إيه يا نيل .. والمصاب أليم ... كيف تحكي عن الأسى الضفتان

أين منك الحبيب .. أين هواه ... أين ساقي الخيال والوجدان

أين شادي الجهاد عند التحدي ... وعزيف النضال عند الطعان

أين تغريدة للفؤاد المغني ... وانطلاق النهى وسحر البيان

أين سحر الربيع يفعل فينا ... فعلة الطل بالقطوف الدواني

وشباب على الشباب ضحوك .. ... ملء جنبيه للحياة أماني

شاعر السهد والجراح .. سلاما ... وتوسد على رضا وأمان

فانطلق في حدائق الله .. وحَيّا ... سرمدّي الغناء والألحان

وارو للخالدين .. شاعر مصر .. ... كيف يحيا بذكرك الهرمان

رب موت يفوق في الخلد عيشا ... وفناء هو اخضرار الجنان

---

(1) الأهرام / ٢ يوليو ١٩٧٦ : قصيدة رثاء للشاعر صالح جودت (١٩٠٨ ــ ١٩٧٦) حيث توفى في ٢٣ يونيه ١٩٧٦ بالقاهرة بعد مرض عضال .

رحلة الحصان الأبيض ..

رحماك .. ما أبقتِ الأيامُ من حَذر   أودي بـه مهرجـانُ الحسنِ والخَفرِ
عينان .. إنْ صافحَ الأنواءَ دفئُهما   تناسمت غضبةُ الأنواءِ من خَدَر
لوْ أنَّ أصدافَ بحرِ الحور معجَبَةٌ   لكنتِ في كنزها علويّةَ الدّررِ
لوْ أومضَتْ في سماء الحسنِ بارقةٌ   ففي سناها صديً من لفحِ مستُعرِ
وإنْ تأنّقَ في مشواره نغمٌ ...   فأنتِ في منتُهاه خفقةُ الوتَرِ
الفجرُ نوران .. ما لاحَ الجبينُ على   فَرْعٍ من النّور في أملودك النضرِ

***

والثّلجُ في وَحدتي .. نارُ مؤجّجةٌ   لمْ تبقِ في مقلتي .. دمعًا ولم تَذَرِ
مواكبُ الغيد لمْ تشهدْ مثيلتهَا   وما وَعتْ حسنَها في البيد والحَضرِ
قصائدُ الحبّ ما ضنّتْ بقافيةٍ   فالوزنُ مستسلمُ .. والبحرُ في خطَرِ
مستفعلنْ راحَ في مستفعلنْ فعلنْ   وراح في ظلّها ما راح من عُمُري

***

أسطورةٌ .. طوّفتْ بالأرضِ نبأتُها   فكلّ ما قبلها نَسْيُ بلا ذكَرِ
كم أرّقتْ مهجًا حار السؤالَ بها   تُري مع الرّيح جاءتْ .. أم معَ المَطَر
كلّ الشّموس تهاوتْ عن ترفّعها   واسترحمتْ قَبَسًا من دارة القَمَر
لو أنصفوا ما جري بالشّوق لاهتهمْ   وما سعوْا في الهوي بالمطمحِ الوعِرِ
لكنّه الحبُّ .. واللوّامُ ما خبروا   أسْرَ الصبّابةِ .. والأوهامِ .. والفَكِرِ
والأسْرُ في الحبِّ أمنيّاتُ من عَشقوا   فليتَه خُطّ في لَوْحي .. وفي قَدَري

***

يا واحةً في هجيرِ الظّنِّ .. ما خبَري ... إن كـان لي في الرّضـا بعـضٌ مـن الخَـبَر

يـا ليتنـي فـارسٌ .. في سـيفهِ نَـزَقٌ ... حِـصانه أبـيضُ الأعـلامِ والغُـرَرِ

أمـضي بـه في روابي الـوهم منتـشيًا ... أرعَـي ضـياءك في غيبوبـة الـسَّحَرِ

أدافـعُ المجـتري عـن ظِـلّ سـانحَةٍ ... تـلألأتْ بـالمُني في غَفـوة الخَـوَرِ

وأمسك الـرّيحَ لا تقسو خوافقُهـا ... وأفتـدي ليلـةً مجنونـةَ الـسّهَرِ

حتّـى إذا صـفّقتْ للفجـرِ صـادحةٌ ... وأرسـلتْ شـذْوَها في المـاءِ والـشّجَرِ

واستيقظتْ في ضـحُي الفـردوس وشوشـةٌ ... يـا أيّهـا الـصّحبُ .. هـذي سـاعةُ الـسّفَرِ

عـرائسُ النّـورِ قـدْ أرخَـتْ جـدائلَها ... وعانقـت في الـرّبي إشراقَـةَ الزَّهَـر

هّبـوا فقـدْ أوشـكَ العُـذّالَ أن يَلِجـوا ... لِيُـضرموا فتْنـةَ محمومـةَ الـشَّرَرِ

***

أمـيرتي .. لا علينـا مـن وشـايتهمْ ... فـالرّوضُ لا يزدهـي حـسنًا بـلا قَطَـرِ

هيّـا إلى عـالمٍ لم تَطْـوِهِ قَـدمُ ... تنـأي مفاتنـه عـن عـالَمِ البـشَرِ

نَرقـي إلى كوكـب يحنـو عـلى غـدنا ... أو نجمـةٍ عَطفَـتْ مـن قلبهـا الحَجَـرِ

حيـثُ الحيـاةُ لنـا أنـشودة رقـصتْ ... تَـزُفّ أشـواقنا ورديّـةَ الـصّوَر

ويغـزِل الحُلـمَ في مـشوارِ موكبنـا ... حـصاننا الأبـيضُ الأعـلامِ والغَـررِ

أماكن في القلب:

المعادي ...

مِـلْ بنـا ياليـلَ وَهْنًـا .. مِـلْ بنـا
هَمَسـاتُ اللّيـلِ نـادتْ بـالغَزَلْ
مـا تـري العُـشّاقِ في مَوكبنـا
كلّهـم قلـبٌ تـشهَّى .. وامتثـلْ ؟
وصـحا عطـرُ الخَميـل
راهـبُ الحـسنِ الجميـلْ
يتهـادي وينيـلْ

يـسكبُ الفرحـة في كـلّ فـؤادِ   والمَني تـرقصَ .. والحُـب ينـادي
أيّهـا الأحبـابُ   هَيّـا للمعـادي

***

مِهرجانُ العِطْر يا عشّاقُ في عُرْس الزّهـورْ
نَبـأٌ بالحـبِّ .. فاقـت كـلّ سِـحْرٍ وخيـالْ
فـإذا الهمـسة شـعرٌ .. وإذا البـسمةُ نـورْ
وإذا الـدّنيا حبيـبٌ .. عـانقَ الـشّوقَ ومـالْ
في بُحـيراتُ عبـيرْ
كغِـلالاتِ عبـيرْ
تَتمنّـي لـوْ تطـيرْ

تـسكبُ الفرحـة في كـلّ فـؤادِ   والمَني تـرقصَ .. والحُـب ينـادي
أيهـا الأحبـابُ ..   هيّـا للمعـادي

يا عَذاريَ الضِّفَّةِ النَّشوى .. ويا دِفْءَ الصِّبا
شـاعرُ جُنَّـتْ قَوافيـه بألحـانِ الغَـرَامْ
هَـامَ بالحُـسْنِ فَغَنَّـي .. وتَمَنَّـى .. وصَـبَا
وحَـرامُ أنْ تَـرَي الجَنَّـةَ عَـيْنُ :. وتَنـام
قَـــدْ حَـــلاَ الحَـــبُّ هُنـــا
فـــامْلؤوا العُمْـــرَ هَنَـــا
وغِنـــــاءً .. وسَـــــنا

يَـسْكبُ الفَرْحَـةَ في كِـلّ فُـؤادِ والمَنى تـرقص .. والحـب ينـادي
ردِّدوا الليلـــــــة أَلْحـــانَ (المعــــادي)

***

كُلّنـــا يـــا ليـــلَ مَـــلاّحُ الهَـــوَي
وشراعُ فَـــوْقَ أمـــواجِ الغُيـــوبْ
ظَمِـــئَ الـــشّوقُ فَجِئْنـــا .. وارْتَـــوَي
وتَلاقيْنـــا لِقـــاءاتِ القُلـــوبْ ..
ورَمَـــــي الحَـــــبُّ يَـــــدَه
يتَـــــسَاقَي مَوْعِـــــدَه
في اللّيـــــالي الواعِـــــدَه

يـسكبُ الفرحـة في كـلّ فـؤادِ والمَني تـرقص .. والحـب ينـادي
ردِّدوا الليلـــــــة أَلْحـــانَ (المعــــادي)

« حلوان .. »

إلى حلوان .. كما كانت ..وكما تمنّيت لها أن تكون ..

هَدْهِـدي يـا نـسمةَ الفجـرِ خيـالَ الـسَّاهرِ
واسْـكُبي في كاسـهِ الظّمـآنِ .. وحْـيَ الـشّاعرِ
فهُنـا حلـوانُ .. والعـينُ .. وأُنْـسُ الخـاطرِ

***

يـا حبيبـي .. مَوعـدي منـكَ وِسـاداتُ القمـرْ
حيـثما جـادتْ ينـابيعُ الحيـاه
لـتَرَى أعجوبـةَ الحُسْنِ .. وآيـاتِ القـدَرْ
وهـي تَـشْدو .. بـين حمـدٍ وصـلاه
ذَوَّبَ الفـيروزُ سِـحْرَه
قطـرةً مـن بعـدِ قَطْـرَه
ودعانـا .. ألـفَ مـرَّه
فتـنعَّمْ .. بـينَ أعطـافِ الجـمالِ الآسِر
فهُنـا حلـوانُ .. والعـينُ .. وأنـسُ الخـاطِرِ

***

يـا حبيبـي .. مَوعـدي منـكَ عناقيـدُ المُنـى
نجْـتِلي في كَرْمِهـا خَمْـرَ الهـوى
فهُنـا .. في عـينِ حلـوانَ .. ومَغْناهـا .. هُنـا

كـــمْ حـــلا الحـــبُّ .. وأعطَـــى وارتَـــوَى
وتَمَنَّـــــــــتْ كـــــــلّ نظـــــــرَه
وتـــــــشهَّت كـــــــلّ زهـــــرَه
أن يُطِيـــــلَ الـــــشّوقَ عُمْـــــرَه
فتـــنَّعمْ .. بـــينَ أعطـــافِ الجـــمالِ الآسرِ
فهنـــا حلـــوانُ .. والعـــينُ .. وأنـــسُ الخـــاطِرِ

* * *

يـــا حبيبـــي .. مَوعـــدِي منـــكَ ســـطورٌ لم تَـــزَلْ
تَـــصْدَحُ الألـــوانُ فيهـــا والعبـــيرْ
صـــوتُها .. بَـــوْحُ العـــصافيرِ بـــشُرْفاتِ الغَـــزَلْ
وهْـــي تَحْكـــي قِـــصةَ الحَلـــمِ المثـــيرْ
كـــــلّ حـــــرفٍ فيـــــهِ فِكْـــــرَه
تَفْـــــضَحُ الأشـــــواقُ أمْـــــرَه
ولـــــــهُ عَـــــــــوْدٌ ودَوْرَه
فتـــنعَّمْ .. بـــينَ أعطـــافِ الجـــمالِ الآسِرِ
فهنـــا .. حُلـــوانُ .. والعـــينُ .. وأنـــسُ الخـــاطِرِ

* * *

يـــا حبيبـــي .. بَـــسَطَ الحُـــبَّ عـــلى حُلـــوانَ ظِلَّـــه
فَجَـــرَى قلبـــي عـــلى هَـــذِى الرُّبـــى
عاشـــقًا كنـــتُ .. وأَبْقـــى .. للأمـــانيِّ المُطِلَّـــه
في شـــبابِ العُمْـــرِ .. أو عُنْـــفِ الـــصِّبا

إنَّهـــــــــا تـــــــــاجٌ ودُرَّه

ولهـــــــا حِـــــسٌّ ونَـــــبْرَه

تُلْهِـــــــمُ الفنَّــــــــانَ سِرَّه

فتـــــنعَّمْ .. بـــينَ أعطـــافِ الجـــمالِ الآسِرِ

فهُنـــا .. حلـــونٌ .. والعـــينُ .. وأنـــسُ الخـــاطِرِ

الغردقة

عُـــدْ للأمـــانيِّ العِـــذابِ المورِقـــه
فـــالحلَمُ يهـــوى في الهـــوى أن نـــسرِقه
ويقـــول .. أهـــلاً بـــالقلوبِ العاشـــقه
في رقـــصةِ الأقـــارِ عنـــد (الغردقـــه)

* * *

المـــاءُ نـــافوراتُ دُرٍّ .. كالخيـــالِ الرّائـــقِ
نشوى .. تُعابِثُها النسائمُ .. كي تعودَ .. وتلتقي
كأنهـــا حبـــاتُ مـــاسٍ .. في الوشـــاحِ الأزرقِ
يـــــــشدو بهـــــــا التّيـــــــارْ
في زورقِ الأقـــــــــــــــــدارْ
ليقـــولَ .. أهـــلاً بـــالقلوبِ العاشـــقه
في رقـــصةِ الأقـــارِ عنـــد (الغردقـــه)

* * *

يـا موعـدًا غنّـى لـه عطـرُ الحبيـبِ العاشـقِ
مُـــسْترِوحًا في زورقـــي دفءَ اللقـــاءِ الـــشيّقِ
ترنيمـــةُ الـــسّحرِ الـــذي أنغامُـــه لَم تُخْلَـــقِ
مـــــــسحورة الأوتـــــــارْ
في موكـــــــبِ الأنـــــــوار

ليقـــولَ .. أهـــلاً بــــالقلوبِ العاشـــقه

في رقـــصةِ الأقـــمارِ عنـــد (الغردقـــه)

***

يــا زهــرةً نامــتْ عــلى أحْــلى جبــينِ مــشرقِ

تنهــلّ مــن نبــعِ الــضِّياءِ .. ومــن صــباحِ المِفْــرَقِ

لتكــونَ مُتّكــأ الحنــانِ .. الــشّاعريِّ .. المَغْــدِقِ

والــــــــشّاطئُ الثّرثـــــــارْ

لا يكـــــــــــــــتمُ الأسرارْ

ليقـــولَ .. أهـــلاً بــــالقلوبِ العاشـــقه

في رقـــصةِ الأقـــمارِ عنـــد (الغردقـــه)

مصر الجديدة

رقـــصَ القلـــبُ .. وغنيَّنـــا نـــشيدَه
يـــا ابنـــةَ الأحـــلامِ .. والـــذّكرى الـــسّعيدَه
عنـــدما عـــادتْ ليالينـــا البعَيـــده
في مغـــاني الحـــبِّ .. في « مـــصر الجديـــده »

***

وتَلاقْينـــا ذراعَـــا في ذراعْ وتَهادَيْنـا كـما شـاءَ الطّريـقْ
يـأمرُ الحـبُّ خُطانـا .. فيُطـاعْ وتمنينـا معًـا .. ألاّ نُفيـقْ

جِئـــتِ لحنًـــا شـــاعريّا
وأنـــا بـــينَ يَـــديّا
لمْ أزَلْ قلبًـــا صـــبيا

والأحاسيسُ التي كانتْ وليدَه أوْرقَتْ للعمـرِ دنيـاهُ الجديـدَه
في مغـاني الحـبِّ .. في « مـصر الجديـدة »

***

جئتِ بالماضي وأحلامِ الغدِ وابتِهالات الزّمانِ المُنعِمِ
وانعطافِ الجيدِ والخَصْرِ النّدِي ولهاثِ العِطْرِ حولَ المِعْصمِ

كلّها عادتْ اليّا
مِهرجانًا عاطفيّا
نتملاهُ سَويّا

حينَ يُهدى الحبُّ للعشّاقِ عيدَه ونُغنّي للهوى أحلَى قصيدْه
في مغاني الحبِّ .. في « مصر الجديدة »

***

جِئتِ موسيقى وعُرْسًا وشُموعْ وعطاءً ليس يكفيهِ وجودْ
أيْنما سرتِ .. فللحُسنِ خُشوعْ وحديثٌ بينَ أوراقِ الورودْ

وابتساماتٌ وَضِيَّه
وقلوبٌ وتَحِيَّه
وجنودٌ .. ورَعِيَّه

طَوْعُ أهْدابٍ من السّحرِ فريدَه أقْسَمَ القلبُ عليها أنْ تَزيدَه
في مغاني الحبِّ .. في « مصر الجديدة »

« بنات (الإسكندريّة) »

يـا بنـاتِ (اسـكندريه) .. حبّـة القلْـب الوَضِـيّه
كلّمـا عـاودَني الـشّوق لأيّـامي الخِليّـه
هتَـفَ القلـب وغَنّـى .. للعيـونِ العَـسَليّه
وجبـينٍ .. رَقَـصَ النّـورُ عليـهِ سـافرتْ ألوانُـه في خُـصلتيه
ذكريـاتٌ .. لم تَـزلْ نـشوى .. صَـبيّه
آهِ لـو عـادت لياليهـا الهَنيّـه
يـا بنـاتِ (اسـكندريّه)

***

شاطئ (استانلي) .. رعاك الحبّ .. ما طال العمر
كَـمْ على صـدرِك ضـمَّ المـوجُ أحـلامَ القمـر
وصَـحَتْ فـوق لياليـك الليّـالي .. والـسَّمر
وأنـا طفـلٌ على دَرْبِ الهـوى أبـيض الخَطَـوةِ .. وضّـاح الـرّوا
ذكريـاتٌ .. لم تَـزلْ نـشوى .. صَـبيّه
آهِ لـو عـادت لياليهـا الهَنيّـه
يـا بنـاتِ (اسـكندريّه)

***

موكـب الأقـمارِ .. يختـالَ على الـشّط الحريـر

يلـــثم الرّمـــل خطاويـــهِ .. فيهتـــزّ العبـــير
ولهاثـــات الأمـــاني .. حيـــثما ســـار .. تـــسير

مهرجـــان الحـــسنِ في موكبـــهِ يتغنّـــى شـــاطئ (اســـتانلي) بـــهِ

ذكريـــــاتٌ .. لم تَـــزلْ نـــشوى .. صَـــبِيّه
آهِ لـــــو عــــادت لياليهــــا الهَنيّــــه
يـــــا بنـــــاتِ (اســــــكندريّه)

* * *

عُــدْتُ يــا شــاطئ .. تنهــلّ بــصمتي .. وحــدتي
عُــدْت والأشــواق في جنبّــي .. ترعــى خطــوتي
لِلّتــــي أورَقَ في رَوْضي صِـــباها .. والّتـــي

لم تَدَع في كأس عمري غيرَ قَطْرَه وشـــهيدُ الحـــبِّ لا يملِـــك أمـــره

ذكريـــــاتٌ .. لم تَـــزلْ نـــشوى .. صَـــبِيّه
آهِ لـــــو عــــادت لياليهــــا الهَنيّــــه
يـــــا بنـــــاتِ (اســــــكندريّه)

* * *

الشاطئ الظامئ

أوَ تــــــــــــــــــــــذْكُرينْ .. ؟
أوَ تـذْكرينَ الـشّاطئَ الـوَرْديَّ .. والعُـشبَ النَّـدِى
وَحـديثَ وشْوشَـةٍ تـروحُ عـلى الرِّمـالِ .. وتَغْتَـدى
لَمّــا تَعاهَــدْنا .. وقــدْ نامــتْ يَــداكِ عــلى يَــدى

أقـسمت لي .. والـشّمسُ تَغْفـو فـوق صـدْر المَخْمَـلِ
وتُلملــمُ اليــاقوتَ في جِيــدِ المغيــبِ الــشّاردِ
أقْـسَمْتِ لي .. إنَّ الهَـوَى سَـيَدُوم لي .. أقْـسَمْتِ لي
فَــضَممْتُ أسرابَ الأمــاني كُلّهــا في ســاعِدي

وَسَـــكِرتُ في هـــذا البَريـــقِ الـــشّاحِبِ
يَنْــسابُ في صَـــمْتٍ .. كَهَمْـــسِ الرَّاهِـــبِ
أوَ تَــــــــــــــــــــذْكُرينْ .. ؟

***

أسـطوَرةُ الحَـبِّ التـي كانـت رَبيعًـا .. وجَنَـى
لَمْ يَرْوهـا شَـوْقٌ عـنِ الأحبـابِ يومًـا .. قَبْلنـا
لا .. لمْ تُـردِّدْ مِثلَهـا الأمـواجُ .. حتّـى بَعْـدَنا

كانـتْ غِنـاءً .. بـينَ ألحـانِ الطيّـورِ العائِـدَه
كانـتْ نِـداءً تَرْتَـوى منـه القلـوبُ الظّامِيَـه

أقْسَمْتِ أن تَحيا ضياءً للأماني الوَاعِدَه

وحِكايةً .. يُزهو المَصيفُ إذا حكَاها ثانِيه

وَرَفَعْتِني مِلكًا على هَامِ السَّما

ملكًا يعابث في يَدَيْهِ الأنْجُما

أوَ تَذْكُرينْ .. ؟

* * *

أقْبَلْتِ في تَرَفِ الجَمَالِ .. وفي تَجَنِّي سِحْرِهِ

وَجَمَعْتِ لي كَرَمَ الرّبيعِ .. وكُنْتِ أكْرَمَ زَهْرِهِ

وفَرَشْتِ دَرْبى بالعَبير .. وكنتِ أشْهَى عِطْرِه

صُوَرٌ .. يُهَدْهِدُها الخَيالُ لِترسُمَ الحَلْمَ الجَميلْ

حُلْمًا تُبارِكُهُ الدُّفوفُ .. وَتَجتلِي فيهِ الشُّموعْ

حُلْمَ العروسِ تَتِيهُ في وَشْى الصَّبايا .. أوْ تَميلْ

في كلِّ رُكْنٍ فتنةٌ تَخْتالُ .. أو عِطرٌ يَضوعْ

وأنا وأنتِ .. فراشتانِ تعاهدا

تمضي بنا أقْدارُنا خَلْفَ المَدَى

أوَ تَذْكُرينْ .. ؟

* * *

راحَت ليالي الصَّيفِ يا حسْناءُ .. وانْفضّ السَّمَرْ

ومواكبُ العُشّاقِ .. لا ترجو وداعًا أو سَفَرْ

هذا عصيُّ الدَّمعِ يُخْفيهِ .. وهذا ما صَبَرْ

والـشّاطئُ المهجـورُ .. تَبْكِيـه العيـونُ الرَّاحِلَـه

لَتمُــدَّ أذْرُعَهــا سَــحاباتُ الخَريــفِ الآتِيَــه

وأنـا .. وسُـهْدى .. واللّيـالي العاويـاتُ الذّابِلَـه

لم يَرْتَحِــلْ عنّــا الوَفَــاءُ .. ولا البَقايــا الباقِيَــه

لأظَـــــلّ أرعَـــــى ذِكْريـــــاتِ المَوْعِـــــدِ

في ليلَـــــةٍ .. نامـــــتْ يـــــداكِ عـــــلى يَـــــدى

أَوَ تَـــــــــــــــــــــــذْكُرينْ .. ؟

***

كليوباترا

كليوبـــاترا .. قبلـــة التـــاريخ في ثغـــر الـــضياء

وعنـــاق الـــزمن الـــشادي وحلـــم الكبريـــاء

وحـــديث في فـــم الأيـــام موصـــول العطـــاء

عـــن صـــبا الإســـكندرية فتنـــة الـــشرق الوضـــية

والليـــــــــــــالي الـــــــــــــشاعرية

كلما فتحت الإنـسام زهـرة تتثنى وتحيى كليوبـاترا

* * *

أقبلـــت في خطـــوك الأمجـــاد ألوانـــا وجـــاءت

وشـــدت في صـــهوة المـــوج المعـــالي وأضـــاءت

تكتـــب العـــز وتحمـــي كـــيفما شـــئتِ وشـــاءتْ

تتغنـــــى بالهويـــــة والمقـــــادير الأبيـــــة

والأمـــــــــــــانيّ الوطنيـــــــــــــة

أمـــــل لا يبتغـــــي الأحـــــرار غـــــيره

مـــــثلما غنتـــــه يومًـــــا كليوبـــــاترا

شعر الوجدان القومي
(١٩٥٢ ـ ٢٠٠٤)

نشيد البعث الجديد

بنى مِصرَ قد راح ليلُ العبيدْ فكونوا لمصرَ الضِّياءَ الجديدْ

***

بَنى مصرَ قد لاح فجرُ المَنَى
وسارتْ إلى النصرِ أيامُنا
فضُمّوا سَنا الشمسِ في أرضنا
وغنّوا مع النورِ هذا النشيدْ

بنى مِصرَ قد راح ليلُ العبيدْ فكونوا لمصرَ الضِّياءَ الجديدْ

***

بنى مصرَ هذى عيونُ الورَى
تكادُ تساءَلَ عما ترَى ...
هو البعثُ في أرضنا قد جَرى
يدكّ الظلامَ .. يُذيبُ القيودْ

(1) مجلة الهلال/ نوفمبر ١٩٥٢م، تغنى بها الموسيقار فريد الأطرش.

ويهتـفُ .. قـد راحَ ليـلُ العبيـدْ   فكونـوا لمـصرَ الـضِّياءَ الجديـدْ

***

بنـــى مـــصرَ في مِهرجـــان العُـــلا

نـــداءٌ تـــسامى ، وصـــوتٌ عَـــلا

يـــضيءُ لموكبِنـــا الْـــمُجْتَلى

مـــشاعلَ يـــسعى إليهـــا الخلـــودْ

ويهتـفُ .. قـد راحَ ليـلُ العبيـدْ   فكونـوا لمـصرَ الـضِّياءَ الجديـدْ

***

بنـــى مـــصرَ للنيـــلِ جـــيشٌ غَـــدا

طلائـــعَ مجـــدٍ ســـناها بـــدا

فـــضمُّوا الـــصفوفَ وكونـــوا يـــدا

هـــو الحـــقَّ ســـيفٌ يهـــزّ الوجـــودْ

ويهتـفُ .. قـد راحَ ليـلُ العبيـدْ   فكونـوا لمـصرَ الـضِّياءَ الجديـدْ

***

بنـــى مـــصرَ بـــالعلم نغْـــزو الحيـــاةْ

وبـــالخَلُقِ الـــسمحُ نـــرضِى الإلـــهْ

فكونـــوا هـــداةً ، وكونـــوا أبـــاةْ

وكونـــوا عـــلى الأرض شـــعبًا يُريـــدْ

ويهتـفُ .. قـد راحَ ليـلُ العبيـدْ   فكونـوا لمـصرَ الـضِّياءَ الجديـدْ

***

بنـــي مـــصرَ ولّى زمـــانُ الوسَـــنْ
فقـــد مـــلأ الحـــقّ أرضَ الـــوطنْ
وطـــوَّحَ بـــالظلمِ خَلـــفَ الـــزمنْ
فـــلا تنظـــروا نحـــو أمـــسٍ بعيـــدْ

وقولـوا معـي : راحَ ليـلُ العبيـدْ	وكونـوا لمـصرَ الـضياءَ الجديـدْ

* * *

بنـــى مـــصرَ والغَـــدُ منّـــا قريـــبْ
لـــهُ مـــنكمُ أمـــلٌ لا يَخيـــبْ
فكونـــوا ســـواءً لـــدفعِ الخطـــوبْ
فـــمَا بَيْننـــا ســـيِّدٌ أو مَـــسُودْ

وقـدْ راحَ يـا شـعبُ ليـلُ العبيـدْ	فَـدُمْنا لمـصرَ الـضياءَ الجديـدْ

رجال الغد

دعـــا الفجـــر هيـــا رجـــال الغـــد

وهبـــوا فإنـــا عـــلى موعـــد

***

عـــلى موعـــد فـــوق هـــام الـــسحاب

لنغـــزو فيـــه بيـــوت النجـــوم

ســـنجعلها غنـــوة للـــشباب

وننـــشر فيهـــا الهـــدى والعلـــوم

فهيـــــا بنـــــا

أعيـــــدوا لنـــــا

رؤى مجـــــدنا

وهبّـــوا فإنّـــا عـــلى موعـــد

***

عـــلى موعـــد فى ســـجل البيـــان

ســـنملأ صـــفحاته الخاليـــة

لتقـــرأ فيـــه عيـــون الزمـــان

عزيمتنـــا الحـــرة العاليـــة

فهيـــــا بنـــــا

أعيـــــدوا لنـــــا

رؤى مجـــــدنا

وهبـــوا فإنـــا عـــلى موعـــد

(1) قيلت وسط أجواء ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وغناها الموسيقار فريد الأطرش.

علـى موعـد نحـو عهـد جديـد
نُـرّقش أحلامـه بالـضياء
سـنزرعه بالكفـاح المجيـد
لنحـصد منـه المنـى والرجـاء
فهيـا بنـا أعيـدوا لنـا رؤى مجـدنا
وهبـوا فإنـا عـلى موعـد

***

عـلى موعـد في حنايـا الـصدور
أمـام ضـمائرنا المرهفـة
نهـزّ الـضفاف شـعاعا ونـور
تـألّق بـالعلم والمعرفـة
فهيـا بنـا
أعيـدوا لنـا
رؤى مجـدنا
وهبّـوا فإنّـا عـلى موعـد

الأعين الساهرة

لنـا الأمـر يـا عُـرْبُ .. إنـا هنـا ترفـرفُ بالنـصر أعلامنـا
وغـضبةُ قواتنـا الـضّاربة إلى الكـونِ تُعلـن .. إِنـا هنـا

***

سـقى الـشعبُ أيامنـا الظّـافره وسـدَّد خُطوتنـا الآمـره
فقمنـا لأيامنـا ثـائرينْ وكُنـا لهـا الأعـين الـسّاهره
إلى الكـون نُعلـن ... إنـا هنـا

***

مواكبنـا مهرجـان الفـدا وصـيحتنا للأعـادي ردي
فـنحن المقـادير للطـامعين ونحـن الـصواعق عنـد النـدا
إلى الكـون نعلـن: إنـا هنـا

***

عـلى الأرض نحـن الرجـالَ الرجـالْ إرادتنـا تتحـدى المحـال
لنـا قولـةُ الحـقِ عنـد اللقـا ويـومَ يُـدوِّي نـشيدُ النِـضال
إلى الكـون نعلـن ... إِنـا هنـا

***

مـن الـشمس تـشربُ هـذى الجِبـاه جِبـاهُ الكـرام الحَـماةِ الأبـاه
ونرفـعُ للمجـدِ أسـمى شِـعارْ حيـاةُ العروبـةِ فـوق الحيـاه
لنـا الأمـرُ يـا عُـرْبُ ... إِنـا هنـا

موكب الخالدين

أقبل ندى الغار حلو الموكب ... واسكب رحيق النور للفجر الصبي

واخطر على هذي الضفاف وطر بها ... ركبا من الإشراق .. واللحن الأبي

النيل دفاق العبير مغرد .. ... والخلد في بردي صدى المترقب

يملى حديث الشرق .. فأسمع يا زمن ... ولتقرأ الدنيا لنا .. ولتكتب

**

يا صانع التاريخ من أيامنا ... شعلا تعانق في حناياها السّنا

يا زارع الأهداف للشرق الظمى ... سلمت يداك وبارك الله الجنى

هذا ضحاك يرف منضور الخطى ... بالحق .. بالبعث المقدس .. بالمنى

والعزة السمحاء تهتف ههنا ... أني على كفيك أحيا .. ههنا

**

أقبل سلاح الحق إن ضفافنا ... نهضت رماحا مشرعات للفدى

في النيل .. في بردى هتاف أحبة ... يشدو بأنباء السلام المفتدى

فإذا العروبة .. مقبل ومصافح ... وإذا الشتيت يعود قلبا ويدا

وإذا العروبة أنت قد وحّدتها ... ونسجت أنت لبردتيها الموعدا

(١) تغنت بها الفنانة سعاد محمد بتلحين الموسيقار رياض السنباطي بمناسبة وحدة مصر وسوريا عام (١٩٥٨).

نشيد الكليّة الفنّية العسكرية

تأليف الشاعر: أحمد خميس

تلحين الموسيقار: محمد عبد الوهاب

بـــــوعي انطلاقاتنــــــا الثـــــائرة وعـــــزم ســـــواعدنا القـــــادرة
نهـــضنا مـــشاعل فـــوق الطريـــق لتهـــــدى مواكبنـــــا الظـــــافرة

بـــــوعي انطلاقاتنــــــا الثـــــائرة

رفعنــا عــن العلــم قيــد الحــصار لنطلقـــــه عـــــزة وانتـــــصار
ففـــي الأرض أمجادنـــا تزدهـــى وفي البحـــر والجـــو نـــور ونـــار

بـــــوعي انطلاقاتنــــــا الثـــــائرة

بحـــق الجهـــاد وحـــق الكفـــاح نهـــضنا لنـــصنع حـــر الـــسلاح
وطـــارت إلى الـــشمس راياتنـــا لـــتعلن أنـــا غـــزاة النجـــاح

بـــــوعي انطلاقاتنــــــا الثـــــائرة

بعـــزم الجنـــود وخطـــو الأبـــاه رفعنــا ضــياء العلــم فــوق الحيــاه
وسرنـــا إلى شرفـــات الخلـــود لنقـــضي عـــلى ظلـــمات الطغـــاه

بـــــوعي انطلاقاتنــــــا الثـــــائرة

سنمـــــضي وتعتـــــز أيامنـــــا وأنـــشودة النـــصر في خطونـــا
ونقـــسم يـــا أرضـــنا أننـــا فـــداء لمـــصر بأرواحنـــــا

بـــــوعي انطلاقاتنــــــا الثـــــائرة

« أغنية الضياء »

ضياء من الشرق هز الضياء ... فغنت له جنبات السماء
وطوّف بالأرض من قدسه ... هتاف على النيل حلو النداء
ودقت شعاعاته كل باب ... فألقت به الخفقات الوضاء
تعاليمه مطلقات السماح ... ونجواه ما قالت الأنبياء
جرى .. فالضفاف ينابيع نور ... أفاضت على موعد .. ولقاء
ودار على شفة الكادحين ... يزف الأغاني ويحيى الدعاء
وراح يفتح قلب الصخور ... ويسكب فيها الشذى والنماء
ويمسح بالحب شوق الصحاري ... فتضحك فيها عيونُ الرَّخاء
وقام يهز غفاة الأماني ... ويوقظ حتى سبات الرجاء
ونادى على عزمة الثائرين ... فقامت لتبني وتعلي البناء
وسار يضم تحايا الطريق ... ويجمع أفئدة .. ووفاء
يتيه السلام على راحتيه ... ويخلد فوق سناه الاباء
يدق عن الفجر قيد الليالي ... ليرفع عن مقلتيه المساء
ينير الطريق .. طريق السهارى ... ويعزف للنصر لحن البقاء
ويعبر كل حدود المحال ... فكل حدود المحال ... هواء
يقول .. وصيحته كبرياء ... أنا الحب .. والحق .. والكبرياء
له قبلة المجد كل صباح ... وكل صباح لنا الخيلاء ...
بلادي جرى العز في ضفتيك ... وطار الصباح إلينا ... وجاء
بلادي سيهتز فيك الربيع ... ويختال فوق رباك الضياء

ضياء من الشرق هز الضياء

* * *

---

(1) غناء سعاد محمد تلحين رياض السنباطي ، وكان من المفترض أن تغنيها أم كلثوم .

هنا القاهرة

أقــــول لهـــا .. هَهُنـــا القـــاهِرَهْ
فهُـــزِّى فُـــؤادَكِ يـــا شـــاعِرَهْ

وَمُــدّى إلى الــشّمْسِ روحَ المَشُوقِ
وعُبِّـــى سَـــنَا الجنّـــةِ الآسِرَهْ

ودُورِى عَـــلَى سَـــبحَاتِ الفُتُـــونِ
مُفتَّحَـــةَ القَلْـــبِ .. والبَـــاصِرَهْ

أحَادِيـثُ .. لَيْـسَت بِبَـدْءِ الحَـدِيثِ
وأنْبَاؤُنـــا مـــا لَهَـــا آخِـــرَهْ

وَيـأتِي الزَّمَـانُ .. ويَمْـضِي الزّمـانُ
وتَبْقَـى عَـلى الـزَمَّنِ .. القَـاهِرَهْ

***

هُنـا .. عَـانَقَ النّـورُ طِفْـلَ الزَّمـانِ
وعَلّمَـــهُ الخَطْـــوَةَ البَـــاكِرَهْ

وشَـــبَّتْ مِـــنَ الـــضّفّتينِ الحَيْـــاةُ
لتـــصْنَعَ أيامنَـــا البَـــاهِرَهْ

وقَامَـــتَ مَـــشَاعِلَ راياتِنـــا
علـى الحـبِّ .. والحَـقِّ .. والمَقْـدِرَهْ

تَمُـدَّ إلى الكـوْنِ خِـصْبَ العَطَـاءِ
لِيَنْهَـلَ مِـن فَـضْلَةٍ .. غَـامِرَهْ

وَيـأتِي الزَّمَـانُ .. ويَمْـضِي الزّمـانُ
وتَبْقَـى عَـلى الـزَمَّنِ .. القَـاهِرَهْ

***

هُنـا .. صَـافَحَ العَقْـلَ بـابَ اليَقِـينِ
فَـــأشْرَقَ بالحِكْمَـــةِ الزّاهِـــرَهْ

ونَـادَى عـلى وَاحـدِ الخَـالِقينَ
ونَـادَى عـلى الهَـدي والمَغْفِـرَهْ

وأرسـىَ عـلى النِّيـلِ وَحْـىَ الإلَـهِ
وأنْـــذَرَ بالبَعْـــثِ .. والآخِـــرَهْ

فـنَحْنُ الأوائِـلَ .. نَحْـنُ الخَلـودُ
ونَحْـنُ البَـوَاكِيرُ .. والحَـاضِرَهْ

وَيـأتِي الزَّمَـانُ .. ويَمْـضِي الزّمـانُ
وتَبْقَـى عَـلى الـزَمَّنِ .. القَـاهِرَهْ

***

هُنـا .. كَـمْ تَمَطّـى خَيّـالُ الطّغـاةِ عَـلَى مَـذْبَحِ النَّـزْوَةِ الكَـافِرَهْ
فقَـامُوا ونـامُوا .. ومَـدّوا الخَيـالَ إلى عَتَبـاتَ المَنـى العَـاثِرَهْ
ومَـا صَـدَّقوا أنّ هَـذا الثّـرَى سَـينْهَضُ بالـضّربةِ البَـاتِرَهْ
فَـدَارتْ بِهـم لَعَنَـاتُ الـشّقَاءِ وألْـسِنَةُ العِـبْرَةِ الـسّاخِرَهْ
وَيـأتِي الزّمَـانُ .. ويَمْـضِي الزّمـانُ وتَبْقَـى عَـلى الـزّمَنِ .. القَـاهِرَهْ

* * *

هُنـا .. عَرْبَـدَتْ في الـرّوَابي الـذّئَابُ وماتَـتْ .. وأنيابُهـا كـاشرَهْ
وحَاقَـتْ بِنَـا الكَارِثَـاتُ الـشّدَادُ فَـما صَـبَرَتْ أرْضُـنا الـصّابِرَهْ
وبِتْنَـا نُعَـالِجُ أصْـفَادَنَا ونَثْـأرُ للطّعْنَـةِ .. الغَـادِرَهْ
ونَـصْحو .. كـأنْ لَمْ تَزُرْنـا الخَطَـوبُ ولاعَرَفَـتْ مِـصْرَنا الطّـاهِرَهْ
وَيـأتِي الزّمَـانُ .. ويَمْـضِي الزّمـانُ وتَبْقَـى عَـلى الـزّمَنِ .. القَـاهِرَهْ

* * *

هُنـا .. سِـدْرَةُ المَاجِـدِينَ الأبَـاةِ وصَـانِعَةُ القُـدْرِة القَـادِرَهْ
بأبوابِنـا .. يَنْتَهِـي الطّـامِعُونَ وتَنْهـارُ أوهـامُهم خـاسِرَهْ
وفَـوقَ ثَرانَـا .. يَـذُوبُ العُتَـاةُ وتَعْلُـو أصـالَتُنا .. ظَـافِرَهْ
عَراقَتُنَـا .. جَـذْوَةُ الكِبرِيـاءِ ومَلْحَمَـةُ الـسِّيرَةِ العَـاطِرَهْ
وَيـأتِي الزّمَـانُ .. ويَمْـضِي الزّمـانُ وتَبْقَـى عَـلى الـزّمَنِ .. القَـاهِرَهْ

* * *

هُنـا .. يَرْتَقِـي البَـذْلُ والتّـضْحياتُ ويُـدْرِكُ أوّلُـها .. آخِـرَهْ
ويَـسْخُو عـلى أرْضِ مِـصْرَ العَطَـاءُ لتَتّـصِلَ الوَقْـدَةُ الثـائِرَهْ
يَغِيـبُ الـشّهِيدُ .. لِيَحْيَـا صَـلاةً ورُوحًـا مُـضَوّأةً .. خـاطِرَهْ

يَغِيـــبُ وُجُــودًا .. ولكــنَّها ... مَبادِئُـــهُ بَيْنَنَــا .. حــاضِرَةْ
وَيــأْتِي الزَّمَــانُ .. ويَمْـضِي الزّمــانُ ... وتَبْقَــى عَــلى الــزَمَّنِ .. القَــاهِرَةْ

* * *

هُنــا .. يَـصْطَفِي اللهُ خَـيْرَ الـشّعُوبِ ... ويَرْعَـــى كِنانَتَـــهُ الـــشّاكِرَةْ
وتَعْلَـــو تَقَالِيـــدُنا للـــسَّماءِ ... سَـــوَامِقَ حَامِـــدةً ذاكِــــرَةْ
ويُـــورِقُ مُجْتَمَـــعُ الكَـــادِحِينَ ... ويَزْهـــو بــأثْمارِهِ النَّــاضِرَةْ
كَــذَلِك قَالــتْ ألــوفُ الــسِّنِينَ ... وغَرْسَـــةُ أجْـــدادِنا الغَــابِرَه
وَيــأْتِي الزَّمَــانُ .. ويَمْـضِي الزّمــانُ ... وتَبْقَــى عَــلى الــزَمَّنِ .. القَــاهِرَةْ

* * *

أقـــول لهـــا .. هَكَـــذَا القَـــاهِره ... وتَـــارِيخُ أيَّامِنــــا العَـــامِرَةْ
مَوَاكِـــبُ يَحْـــدو خُطاهــا الــضّياءُ ... ويَجْلُـــو بأحْـــداثِها الـــذّاكِرَةْ
إلى مَفْـــرِقِ العِـــزِّ فـــوْقَ المَحــالِ ... إلى المَجْـــدِ.. مُعْلِنَـــةً جَــاهِرَةْ
وقَــدْ تُمْهِــلُ الخَطْــوَ حِينًــا وحِينًــا ... ولكنَّهــــا أبــــدًا ســــائِرَةْ
وَيــأْتِي الزَّمَــانُ .. ويَمْـضِي الزّمــانُ ... وتَبْقَــى عَــلى الــزَمَّنِ .. القَــاهِرَةْ

توشكى

يَســـسْألونَ اليـــومَ عنّـــى .. « مَـــن أنـــا » ؟
قُـــلْ .. « أنـــا توشـــكى .. أنـــا عُليـــا الـــدّنا »

* * *

أنـــا هـــذا الـــشّعبُ .. عُـــشّاقُ المعـــالي .. والـــنّماءْ
وتباشـــــيرُ الأمـــــاني للغـــــدِ .. المُرْتَقَـــــبِ
وأياديـنـــا عـــلى الفجـــرِ .. ســـلامٌ .. وضـــياءْ
تَنـــشرُ الحـــبّ ولاءً فـــوقَ صـــدرِ الموكـــب
ولمـــنْ يبـــسألُ عنّـــي .. « مَـــن أنـــا » ؟
قُـــلْ .. « أنـــا توشـــكى .. أنـــا عُليـــا الـــدّنا »

* * *

عجبًـــا يـــا نيـــلُ .. تـــأتي بالعطـــاءِ المُغْـــدِقِ
وتَبُـــلّ الـــشّوق في صَـــهْدِ الرّمـــالِ الظّامئـــه
يـــا عِناقًـــا .. ضَـــمّ أحـــضانَ الحبيـــبِ الـــشّيّقِ
فأحـــال الرّمـــلَ وجـــدانًا .. وروحـــا .. ورِئـــه
تُخْـــبرُ العـــالَمَ أنّـــى .. « مَـــن أنـــا » ؟
قُـــلْ .. « أنـــا توشـــكى .. أنـــا عُليـــا الـــدّنا »

* * *

عَـــزْمُ أبنـــائيَ مـــا أبقـــى عـــلى الـــدّربِ مُحـــالْ
فَنهـــضنا أمّـــةً ترْقـــى إلى مـــا أنْجـــزَه
لَمْ يكـــنْ وهمًـــا .. ولكـــنْ بعـــضُ أحـــلامِ الخيـــالْ
ثـــمّ أضْـــحى في فَـــمِ الـــدّنيا نـــشيدَ المُعجـــزه
تُـــشهِدُ الأيـــامَ أنّـــى .. « مَـــن أنـــا » ؟
قُـــلْ .. « أنـــا توشـــكى .. أنـــا عُليـــا الـــدّنا »

« الرّوابي الخضر »

يـــا ليــــالي الـــــشرق هـــل عادتــــك أشـــواقُ الغنـــاءِ

فـــالرّوابي الخـــضرُ تـــشدو .. والـــسّنا حلـــو الـــرُّواءِ

والأمــــــــانيُّ .. هتــــــــافٌ عزفتـــــــه الــــــضّفتان

فجـــــرى في مقلـــــة الأرض .. وفي قلــــب الـــسماءِ

وجثـــــا التـــــاريخ يـــــستروح أمجـــــاد الغـــــدِ

فــــوق وادٍ .. عـــــاطر التربـــةِ .. فيـــاض الـــسّناءِ

فأفاقــت مــصر .. شُــطآنا .. وعــشبا ..ونخــيلا ونخــيلا

تـــنفض الظلمــــةَ عـــن فجـــرٍ عزيـــز الكبريــــاء

***

درّةَ الــــشرق .. رعــــــاك الله مــــــا دام وجـــــود

ورعـــى شـــعبًا .. عريـــق المجـــد .. موفـــور الإبـــاءِ

وأقـــــام العـــــزّ خفّاقـــــا بواديــــك الحبيــــب

خالـــــدًا في صـــــفحةِ الأيــــام .. في عمــــر البقــــاءِ

فـــانهلي يــــا مـــصر مـــن إشراقــة العهـــد الرّغيـــد

واســــلمي يــــا مـــصر .. تفـــديك قلـــوب الأوفيـــاءِ

(1) قصيدة الروابي الخضر غناها الموسيقار محمد عبد الوهاب.

أغنية للشام

للمتُ حبي واحتضنتُ هُيامي ... وأتيتُ تسبقُ فرحتي.. أنغامي

جاءت بركبي كلُّ أشواقِ الصِّبا ... مجلوةَ الهاماتِ والأعلامِ

تغفو على أمل اللقاء جوانحي ... وأفيقُ .. ترقصُ بالمنى أحلامي

حتى التقينا.. واللقاءُ رغيبةٌ ... تحدو أهازيج الفتى المقدامِ

ويقول لوامُ الأحبَّةِ عاتبا ... كيف ارتضيت الحب.. بالإحجام

النيلُ في واديكَ دفءُ مشاعرٍ ... والضفتانِ مفاخرُ الأيامِ

بل كيف أغفلت المودة والهوى ... يا ابن الرَّوابي الخضر والأهرامِ

فأقول يا أهل الغرامِ رُويدَكُم ... وتمهلي يا لومة اللوامِ

ما كنتُ ضياعا لوعد في الهوى ... طوعًا.. ولم أخفرِ عهودَ ذمامي

ولقد سعيتُ وفي فؤادي قبلةُ ... المشتاقِ تحدو بي إلى أرحامي

أرضِ النبالة والبسالة والفدا ... وملاحمِ الفُرسانِ والأقلامِ

في كلِّ عين آية وقصيدةٌ ... للمجد.. تَنشُر عَرفها وتُسامى

قبس الزمانُ هنا مشاعل عزَّةٍ ... فتباركتْ في جذوةِ الإقدامِ

كم هزت الدُّنيا انتفاضةُ ثائر ... للحق.. للوطن السليبِ الدامي

فإذا الشقيقُ يعودُ مُخضل الرُّؤى ... وإذا الأغانيُّ ابتسامُ سلامِ

وإذا الدّوالي مُشرئبات الجنى ... وإذا الرُّبا مزهوةُ الأنسامِ

يا أيها الشعب الأبيُّ تحيّتي ... وتحيّةَ الإكبارِ والإعظامِ

الدارُ داري.. والوجوهُ أحبتي ... والعهدُ من شرفِ الشآم غرامي

من رباعيات الروابي

الإهداء

مع التقدير والحب الخالص
إلى : ليلى أحمد موسى
رندة أحمد خميس

أحمد خميس
سبتمبر٢٠٠٨

* هتفَـــتْ بي في منـــامي هَمْـــسةٌ
« لا تُـــضِعْ ليلَـــك في نـــومٍ سَـــقيمْ
قـــدْ حَلَـــتْ فـــوقَ الـــرَّوابي جَلْـــسةٌ
فأعِـــدْ شَـــذوكَ ... واللّحـــنَ القـــديمْ »

***

* قُـــمْ خَـــلِيَّ البـــالِ .. تجْلُـــوَّ الـــرُّواءْ
واغتـــسل قَلْبًـــا .. ونَفْـــسًا .. ومُنَـــى
فـــالرَّبيعُ الطِّفْـــلُ بالآمـــالِ جـــاءْ ...
والـــرَّوابي الخُـــضرُ تَـــشْدو للـــسَّنَا

***

* أطلَـــقَ الفَجْـــرُ حُبَيْبَـــاتِ الـــذَهَبْ
وجَـــرى بـــاللّحْنِ في كُـــلِّ جَنـــاحْ
فَتَهيَّـــا يـــا نـــديمي للطّـــرَبْ
واســـقِنا .. قبْـــلَ نِـــداءاتِ الـــرَّواحْ

***

* يـــا نـــديمَ العُمـــرِ .. هيَّـــا نَجْتَـــلِ
صـــبوةَ العُمـــرِ التـــي لا تَخْلُـــدُ
واغتـــنمْ صَـــفْوَ الزَّمـــانِ الحَـــوَّلِ
قـــبْلَما يُـــودى بِنـــا .. أو يَجْحَـــدُ

***

* هـــاتِ .. زِدْني مـــن أفـــانينِ الحيـــاه
يـــا أخـــا الـــرُّوحِ .. ودَعْنـــى مـــن غَـــدى
قـــدْ غَفَـــا الأمـــسُ عـــلى صَـــدْرِ سِـــواه
وغـــدٌ .. مـــا زالَ رَهْـــنَ المَوْلِـــدِ ..

***

*عجبًـــا يـــا ليـــلُ .. تـــأتي كـــل يـــومْ
تـــسكبُ الأوهـــامَ في كـــأسِ الخـــلىّ
لِمَ لا تأســـو جراحًـــا لَمْ تـــنمْ
يـــا نـــديم الـــدمعِ في حـــانِ الـــشّجىّ ؟

***

*لا تَلُمْنـــى إنْ بـــدا نـــورُ الـــصَّباحْ
وأنـــا لاهٍ بكـــأسي .. لا أُفيـــقْ
سُـــنَّةُ العـــيشِ .. غُـــدوٌّ .. فَـــرَواحْ
وغَـــدًا .. تـــشتاقُنا هَـــذى الطَّريـــقْ

***

*عـــشتُ للحـــب وأحـــلامِ المنـــى
وحبيـــبٍ يـــزرع الأيـــامَ نـــشوه
ويُفيـــقُ الكَـــونُ حـــولى .. وأنـــا
نَـــشوتي تفـــضلُ عنـــدي ألـــفَ صـــحوه

***

* تِــهْ عــلى صــدرِ الرَّبيــع النّــاضِرِ
واخْتَلِــبْ مُتْعَــةَ كاســاتِ المَــرَحْ
إنّــما خَفْــقُ الفُــؤادِ الــشّاعِرِ
حَبَــبٌ يطفــو عــلى سَــطْحِ القَــدَحْ ..

***

* اســقنيها مــن أبــاريقِ الــسَّنا
عَذْبــةً .. تَزْهــو بأصْــلِ المَنْبِــتِ
وتَمَهَّــلْ يــا نــديمي ههنــا ..
عَلّهَــا تــوحى بــسِرِّ القــدْرَةِ

***

* فِكْــرَةٌ مــن عَــالَمِ المــاضي القَــديمْ
رَقَــصَتْ آلهــةُ الفَــنِّ لهــا ..
وغَــدَتْ خمــرًا عــلى ثَغْــرِ النَّــديمْ
فــرأى العــالَمَ في ياقوتهــا

***

* ذلــك الغِرِّيــدُ في مَهْــدِ النَّــدى
عــامِرَ اللّحْــنِ .. تَــسَامى وزَهــا
كيــف يغــدو ذا الطّليــقَ المُنْــشِدا
لــوْ جفــا مِنقــارُهُ حَبَّاتِهــا ؟

***

* هــــذه الأرواحُ في رَكْـــبِ الــــشّقاءْ
قَيَّـــدتها في يـــد الـــسَّعي .. ظنـــونْ
وانطـــوى فيهـــا صَـــفاءُ الأبريـــاءُ
فَمَـــضَتْ تَرْقُـــبُ إقبـــالَ المَنـــونْ ..

***

* لَـــوْ دعاهـــا أشـــقرُ الكـــأسِ .. أفاقـــتْ
تَـــنْفِضُ الأوهـــامَ عـــن هـــذى الجِبـــاه
وأعَـــادت مـــن صِـــباها مـــا أراقَـــت ..
فهـــي مـــا زالـــتْ .. قلوبًـــا وشِـــفاه

***

* هاتِهـــا جَلْـــواءَ .. كالوَجْـــهِ الـــصَّبيحْ
واهجـــرِ الـــنَّفسَ الحَقـــودَ المـــاكِرَه
إنّ شرَّ الخَلـــقِ نَـــمّامٌ .. جَـــريحْ
وعـــلى البـــاغي تـــدورُ الـــدّائرَه

***

* هاتِهـــا نَـــبْضَ اللّيـــالي الواعِـــده
وهَـــاتَ الوامِـــقِ الـــمُغْتَرِبِ
جَـــدَّدَ القلـــبُ عليهـــا مَوْعِـــدَه
فأضـــاءَتْ كأسَـــها بالحَبَـــبِ ..

***

* هاتِهـــا مـــن خـــاطِرِ الغَيْـــبِ الســَّحيقْ
تُطلِـــــقُ المَكنـــــونَ مـــــن أسرارِهِ
وتُثـــيرُ الفَجْـــرَ في ليـــلِ الطّريـــقْ
وَهـــي تَجلـــو الـــوَهْمَ عـــن أخبـــارِهِ

***

* هاتِهـــا .. بَـــلْ هـــاتِ لألاءَ الـــضّيا
قطـــراتُ النَّـــورِ .. أو ذَوْبُ الـــشّفَقْ
كانـــت الرَّشْـــفةُ وَحْيًـــا راضـــيا
صـــادَقَ الخُلْـــدَ عليهـــا .. واتّفَـــقْ

***

* غَفْـــوَةُ الحِـــسِّ .. ونِـــسيانُ الأمـــلْ
خـــيرُ مـــا تمنحُـــهُ كـــأسُ الرِّضـــا
فـــاشْربِ الآنَ عـــلى جَـــرْسِ القُبَـــلْ
قبـــلَ أن يُـــدْركنا حُكـــمُ القَـــضا ..

***

* كُـــلّ مـــا حـــوليَ دَفّـــاقُ الجَـــمالْ
وانطلاقـــاتٌ .. وآيـــاتُ فُتـــونْ
ونـــداءُ الحُـــسنِ يـــدعوني .. تعـــالْ
مـــا علينـــا إن هُمُـــو قـــالوا .. « مُجـــونْ »

***

* مَـــدَّت الـــدَّنيا لَـــدُنياكَ اليَـــدا
وانْجلـــتْ حُـــسنًا وقالـــتْ « هَيْـــتَ لـــكْ »
فلـــــماذا تتجـــــافَى الموعِـــــدا
أيُّهـــا الـــضَّارِبُ في تَيـــه الحَلَـــكْ ؟

***

* أمْـــــسُنا وَلّى .. وأحـــــلامُ الـــدَّدِ
وضـــياءُ اليـــومِ .. كـــأسٌ وانِعتـــاقْ
وغـــــدٌ .. أوّاهُ مـــــن ذاكَ الغـــــدِ
مـــا لنـــا فيـــه ســـوى مُـــرِّ الفِـــراقْ

***

* أوَتَـــذْرى أنّنَـــا نَحْيـــا دُمَـــى
مَـــسْرَحِيّونَ .. ولكـــن بُلَهـــاءْ
لاعِـــبُ المَلْهـــاةِ وجهًـــا وفَـــمَا
هُـــوَ أُســـتاذُ المـــآسي والـــشّقاءْ

***

* مـــا أعـــاد الـــدّمعُ يومًـــا باســـما
لجهـــولٍ أســـلمَ الـــدّهرَ الأمـــانْ
وأنـــا مـــا عِـــشتُ غِـــرّا .. إنّـــما
حكمـــةُ العُمـــرِ وحُـــزني توأمـــان

***

* صَادِقِ الأشْعارَ والألحانَ واطْرَبْ
وانْأ عنْ قالوا وقُلنا .. وتَجَنَّبْ
دَمْدَماتُ الطَبْلِ تُؤذي وهي أقْربْ
وصَداها المَنْتِهِي في البُعْدِ .. أعْذَبْ

***

* لا تُجالِسْ مَنْ إذا قالَ افْتَعَلْ
ورَمَى بالكُفْرِ آياتِ الرِّجالْ
حَظّهُ في الخَيْرِ لا يعدو (لَعَلْ)
وهو في الدارَينِ مَلْعونُ المآلْ

***

* عِشْ كما تَحيا فَراشاتُ الزَّهَرْ
تَلْثُمُ العِطْرَ .. وتلهو بالسنا
ما تَراها بينَ أهوالِ السَّفَرْ
تَمْزِجُ النُّورَ بمغسولِ الجَنى

***

* سَلْسِلِ الأنغامَ في قلْبِ الرُّبا
واسْكُبِ الأفراحَ فَوْقَ السُّنْدُسِ
فالرّبيعُ السَّمْحُ دفّاقُ الصَّبا
والمَنَى تَشْدو لعُرْسِ الأكْؤسِ

***

* مَنْطِـــــقُ الأيـَـــامِ ريٌّ .. وظَــــمَا
وهــــــيَ في غَفْلاتِنـــــا تَخْـــــدَعُنا
فانْتَبِـــه ـــــ مـــا دُمْـــتَ تَحْيـــا ـــــ قَـبْلَها
تَـــسْرِقُ الأيَـــامُ أحْـــلى مـــا بِنـــا

***

* ســـاءلتْني عـــن مَـــصيري روحِيَـــه
وهـــيَ دَوْمًـــا تَتغـــشى وَحْــدتي
قلْـــتُ .. والـــدَّمعُ يُـــروِّي عينيَـــه
مـــا مـــصيرُ العطّـــرِ بغْـــدَ الزَّهْـــرةِ

***

* زَهْـــرةُ العُمـــرِ إذا لمْ تَـــسْقِها
بالرُّضَـــابِ الحَلْـــو .. واللّحْـــظِ الجميـــلْ
انثنـــتْ تَـــنفُضُ عـــن أوراقِهـــا
وهـــي تَـــستعجِلُ أيَّـــامَ الرَّحيـــلْ

***

* كَـــمْ خَـــلِيٍّ قَهْقَهَـــتْ .. أحْلامُـــهُ
فـــأراقَ العُمْـــرَ لَهْـــوًا .. واغْـــتَرَفْ
فـــإذا مـــا آذَنَـــتْ أيَّامُـــهُ
وَدَّعَ الكَـــأسَ .. وحيَّـــا .. وانْـــصَرَفْ

***

* صِــحْتُ والــشّمْسُ عــلى خِــدرِ المَغيــبْ
آيـــةٌ تغفـــو .. لِتـــصْحو آيـــةٌ
أيْـــنَ تَمْــضي دَوْرَةُ الكَـــوْنِ العَجيـــبْ
وهـــوَ في عَـــزْمِ المنايـــا .. غايـــةٌ

***

* هُـــزَّ كـــأسي بِالـــسُّلافِ الغـــابِرَه
وانْظَـــرِ الـــدُّنْيا اللّعـــوبَ المَـــضْحِكَه
فَغَـــدًا .. تَـــصْحو الـــورودُ النَّـــاضِرَه
تَتغَـــذّى .. مِـــنْ بَقَايـــا المعْرَكَـــه

***

* زارني في وَحْـــدَتي طَيْـــفُ الرَّبيـــعْ
راقِـــصًا يحمـــلُ ضِـــحْكًا .. وعُطـــورْ
ورَمـــى في كـــأسِ أحلامـــي الـــصَّديعْ
نَظْـــرةً حَـــيرى .. وشـــيئًا مـــن زُهـــورْ

***

* يـــا ربيعًـــا بـــات رهـــنَ الـــذكرياتْ
صَرَعـــت أوراقَـــهُ كَـــفُّ الخريـــفْ
لم تَعُـــد إلا بقايـــا خـــامِلاتْ
وصَـــدى عطـــرٍ مـــن المـــاضي الوريـــفْ

***

* تَحْتَ مَوْجِ الوَهْم .. في بَحْرِ الحياه
مُهَجٌ غَرْقى .. وأحْلامٌ حُطَامْ
كُلّما نادت على طَوْقِ نَجَاه
ذَهَبَتْ صَرْخَتُها بين الزِّحامْ ..

***

* جُمِّدَ المِصباحُ والضَّوْءُ العَليلْ
في عُيونٍ خانها طَيْفُ الكَرى
ذَهَبَ العُمْرُ بماضيها الجَميلْ
وهي ما زالت .. لهاثًا مُبْصِرا

***

* هَكَذا تأتي الأماني .. هَكَذا
مِنْ سَماءِ الحُلْمِ في الوَشْيِ الجَميلْ
ثُمْ تَمْضي مِثْلَما جاءتْ .. إذا
قُضِيَ الأمرُ .. ونادانا الرَّحِيلْ

***

* يا فُؤادي هَلْ مَعَ الماضي رَجاءْ
والتَّغَنِّي بالّذي كانَ .. وضاعْ
أعَزاءٌ ؟ .. أنْتَ لا ترضَى العَزاءْ
أمْ تَعِلّاتٌ .. ووَهْمٌ .. وضَياعْ ؟

***

* قَــالَ لِي قَلْبِــي .. تَأَمَّــلْ .. واسْــقِني

فنِثــارُ الحُــسْنِ تــدْعو بــالجَنى

قُلْــتُ يــا قلبِــي .. كَفانــا .. خَلِّنــي

حَــسْبُنا يــا قَلْــبُ دمْعًــا .. حَــسْبُنا

***

* غــيرُ مجــدٍ في يقينــي واعتقــادي

صــخَبُ الــوعظِ ودعــوى الفلــسفاتِ

فأنــا بــين جنــاني وفــؤادي

مــؤمِنٌ لكِــنْ بــما تُمليــهِ ذاتي

***

* رقــصت في حانــة اللّيــل النّجــومْ

وانتــشت حتــى غِــلالاتُ القمــرْ

فكــأن اللّيــلَ بــستانُ كــرومْ

وقلــوب تتهيّــا للــسمرْ

***

* قُــمْ إلى الحــانِ إذِ الحــانُ دَعــا

لا تَقُــلْ « عُمْــرُ التّــشَهّى فــاتَنى »

حَــسْبُنا مــن أمْــسِنا مــا ضَــيَّعا

فــانْعَمِ اللّيلــةَ بــالعُمْرِ الهنــى

***

* عَرْبَـــدَ اللّيـــلَ وأزْكـــى شُــعْلَتَه
وهَفَـــتْ روحـــي لأنخـــابِ المَــدامْ
فـــانْطِلِقْ بالكـــأسِ .. أطْفِـــئْ غُلّتَــه
يـــا « خَليعًـــا » جُـــنَّ بالكـــأسِ .. وهَـــامْ

***

* في ضَـــميرِ الكَـــأسِ عَـــيْنٌ ســـاحِرَه
تـــارةً تَحْنـــو .. وأخـــرى بَـــيْنَ بَـــيْنْ
غَرَبَـــتْ شَـــمْسُ ضِـــياها الآسرَه
ثُـــمَّ صـــارَتْ .. أثَـــرًا مِـــنْ بَعْـــدِ عَـــيْنْ

***

* يـــا نـــديمي هـــاتِ أقـــداح الـــسّنا
وامتثـــل للحـــب .. فالحـــبُّ أمـــرْ
طلعـــةُ المحبـــوب في ليـــل الهنـــا
فاقـــت الـــشمسَ بهـــاءً .. والقمـــرْ

***

* في ضَـــميرِ الكـــأسِ دِفْءٌ .. وشَـــفَه
سَـــكِرَتْ مِـــنْ خَمْـــرَةِ العُمْـــرِ الجَميـــلّ
داعَبَـــتْ حُلْـــمَ العُيـــونِ الرّاشِـــفَة
ومَـــضَتْ قَـــبْلي ولكـــنْ .. بقَليـــلّ

***

* في ضَـــــميرِ الكــــأسِ روحٌ تَــــــشْتَهي
وعـــــــذابٌ ودمــــــــوعٌ ونَـــــــدمْ
آه لــــــو تُـــــدرِكَ كَـــــفُ المَـــــشتهى
مــــا حَوَتْهـــا مــــن عُـــصاراتِ الألمْ

***

* عابِـــدَ الـــنَّجْمِ الـــذي هـــامَ .. وتَـــاه
وأثَـــارَ اللّيـــلَ سُـــهدًا .. وضَـــنى
قـــدْ خَبـــا الـــنَّجْمُ .. وأغفَـــتْ مُقلَتـــاه
فَـــأفِقْ يـــا صـــاحِ مـــنْ وَهْـــمِ المَنـــى

***

* خُطَـــــواتُ العُمْـــــرِ .. في إقبالِهـــــا
قَـــدَّرَتْ يـــومي وخَطّـــتْ مَـــضْجَعي
خُطَـــــواتُ العُمْـــــرِ .. في تِرْحالِهـــــا
سَـــــطَرَتْ قَبْـــلَ مجيئـــي .. مَـــصْرِعي ..

***

* أيْـــنَ مَـــنْ كـــانوا عـــلى هَـــذى الرُّبـــا
قَبْلَنـــا جَـــاءوا .. بـــآلافِ الـــسِّنينْ
مِـــثْلَما جَـــاءوا إلى هَـــذى الرُّبـــى
مِـــثْلَما راحـــوا .. بـــآلافِ الـــسِّنينْ

***

* أيْــــنَ أصــــحابي .. وخِـــلاّنُ الـــسَّمَرْ
وشَـــبابٌ ضـــاحِكُ العُمْـــرِ .. طَلِيـــقْ
كُلّهُـــمْ راحـــوا عـــلى نَفْـــسِ الأثَـــرْ
ومَـــضَوْا كُلّهُمُـــو نَفْـــسُ الطّرِيـــقْ

***

* كُـــنْ حكيـــمًا .. واســـتَمِعْ للعارفينـــا
فَهُـــمُ الـــزادُ .. وهُـــم نِعْـــمَ الرَّفيـــقْ
أهرَقـــوا العُمْـــرَ التياعًـــا .. وحنينـــا
ثـــمّ صـــاحوا .. « أيُّهـــا الحَمْقـــى .. أفيقـــوا »

***

* كُـــنْ حَكِيـــمًا .. وخُـــذِ الأسرارَ عَنّـــى
فلقَـــدْ كـــان الثّـــرَى أصْـــلَ البِدَايَـــه
وذِهـــابُ العُمْـــرِ قـــد أعْلَمَنـــي
أن في حُـــضنِ الثـــرى كُـــلّ النِهايـــة ..

***

* حَـــيْرَةُ الإنـــسانِ في الـــدُّنيا .. قَـــضَاءْ
ولَقَـــد جِئْـــتُ ككُـــلّ النَّـــزلاءْ ..
فتَلَقّتْنـــي طَـــواحِينُ الهَـــواءْ
جِئـــتُ كـــالنَّهرِ .. وأمـــضى كَالهَبـــاءْ

***

* قَـــدَرْ خَطّـــتْ أياديـــهِ لنـــا
رَهَـــقَ المَهْـــدِ .. وإِعيـــاءَ المَغِيـــبْ
نحـــن مـــا اخْتَرْنـــا .. ومـــا كانـــتْ بِنـــا
حاجـــةٌ للبَعـــثِ .. لليـــوْم الرَّهيـــبْ

***

* عـــازفٌ قيثـــارهُ في كَفِّـــهِ
بـــارِعُ النَّغْمَـــةِ .. صَـــنَّاعُ الأداءْ
نحـــنُ أوتـــارٌ عـــلى مِعْزَفِـــهِ
أصْـــدَر الأمْـــرَ .. فَرَدَّدْنـــا الـــدَّعاءْ

***

* صَـــاحَ بي طَيـــفُ الـــشَّبابِ الـــذّاهبِ
أوَلَمْ تَبْلُـــغْ عَلِيَّـــاتِ الأمَـــلْ .. ؟
قلـــتُ .. يـــا طيـــفَ الـــشَّبَابِ الـــذّاهبِ
ليتنـــي مـــا كُنْـــتُ عَبْـــدًا للأَمَـــلْ ..

***

* كـــانَ حُلْـــمًا .. والـــصِّبا يُغْـــرى بِنـــا
أنْ نَـــرَى الأيَّـــامَ عُمْـــرًا باسِـــما
فـــإذا العُمْـــرُ .. كـــمَا عَوّدَنَـــا
والتَّمنّـــي .. كـــان حُلْـــمًا .. وَاهِمـــا

***

* إن يَكُـنْ ذا يـا هــوى .. حُكْـمَ الهــوى
نَــرْتَضِ الحَكْـمَ لِـيَرضى .. عَلّنـا
يَرْفُــقُ الــدّهرُ بـما تُبقِـى النّــوَى
أوْ نُجــازي حــين نَحْيـا .. بَعْــدَنا

***

* غــايتي في العــيشِ شــوقٌ .. ومنــى
وحبيـــبٌ يــزرعُ الأيـامَ نــشوه
ويُفيــقُ الكــونُ حــولي .. وأنـا
نــشوتي تَفــضُل عِنـدي ألــفَ صــحوه

***

* في رَوابي العِــشْقِ .. في وادي الغَــزَلْ
بــينَ أَعطــاف الجَـمالِ المُمْتَثِـلْ
وشِــفَاهٍ .. تَتمنّاهــا القُبَــلْ
ضَــاعَ عقــلي يـا صِــحابي .. واخْتَبَـلْ

***

* هــذه البـسمةُ والوجــهُ الــصّبوحْ
قُبلــةُ النّــورِ عــلى خــدّ القمــرْ
وانعطــافُ الجيــد .. والـصّدرُ الطّمــوحْ
قــدرٌ .. يعطــفُ أحكــامِ القــدرْ

***

* مَــرَّ بي كالــشّمسِ عُنْفـــا .. وســـقى
قَلبِـــيَ النّـــارَ .. و .. أوْمـــا .. و .. رَنـــا
ومـــشَى فـــوقَ فـــؤادي مـــا اتَّقـــى
واَهِـــنَ الجِـــسْمِ ومَكْلـــومَ المَنـــى

***

* إنْ يَكُـــنْ هَجْـــرُكَ أجْـــرى مَـــدْمَعي
وعرَفْـــتُ الـــصَّبْرَ مِـــن صـــبْري مَعَـــكْ
فأنـــا .. يـــا طالمَـــا غَنَّـــى معـــي
ضـــاحكُ الوَصْـــلِ .. الَـــذي كـــم أمتَعَـــكْ

***

* يـــا حبيبًـــا مـــالَ عنّـــيَ طَيفُـــهُ
أرْسَـــلَ الطّـــرْفَ .. وأغفـــى .. وانتـــشَى
فَكَـــأنَّ الـــشّوقَ لا يَعْرِفُـــهُ
وكَـــأنَّ الـــسُّهْدَ عنَـــى مـــا وَشَـــى

***

* ســـيِّدي .. والحَـــسنُ وَلاكَ العُـــلا
كَـــمْ سَـــعَى حُـــسْنُكَ فينـــا .. وأذَلّ
غَـــيْرَ أنَّ العتـــبَ حَـــقُ المُبْـــتَلى
وعِتـــابي لـــكَ .. تَـــسْليمٌ ودلّ

***

* وغَـــــزالٍ خِلْــــــتُ أني صِــــــدْتُهُ
وأرَحْــــتُ القَلْـــبَ مـــن شُـــغْلِ الغَـــزَلْ
كُلّـــــما عــــــاتبَني .. ألفَيْتُـــــــهُ
لَمْ يَـــزَلْ يَرْعَـــى بقلبـــي .. لَمْ يَـــزَلْ

***

* يـــا فـــؤادي نَـــضُبَتْ كـــأسُ الهـــوى
وكـــؤوسُ الـــشَوْقِ مـــا زالـــتْ ظِـــما
كَـــم عـــلى فَيْـــضِك غَنَّـــى وارْتَـــوى
مُـــنْعَمٌ بالحـــبِّ .. لاقـــى المَـــنْعِما

***

* إنْ وَهَـــتْ بَـــيْنَ المـــآسي عَزْمَتـــي
وشَرِبـــتُ العُمْـــرَ نهـــرًا دامِعـــا
فأنـــا مـــا زلـــتُ بـــالحِسِّ الفَتِـــي
دافِـــئَ الوِجْـــدانِ صـــبًّا .. مولَعـــا

***

* لا تلومـــوا صَـــبْوتي يـــا إخْـــوتي
فَلهيـــبُ الـــشّوْق يعـــدو في دَمِـــي
كَيْـــفَ أبـــرا مـــن حُمَيّـــا عِلّتـــي
وأنـــا المَـــدْمِنُ خَمْـــرَ العَلْقَـــمِ .. ؟

***

* آهٍ يـــا قلبِـــي .. وآهٍ يـــا هـــوَى
عاشـــقٌ .. دَرْبي عـــلى الأشـــواقِ طـــالْ
أتُـــرَى أقْـــوَى عـــلى هـــذَا الجَـــوَى
بعـــدَ مـــا أصـــبَح حـــالي ألـــفَ حـــالْ ؟

***

* هـــاتِ يـــا شَـــوقُ فـــما زال الهَـــوَى
وامِـــضًا مِـــلْءَ فـــؤادي .. مـــا وَهَـــى
واسْـــقِني عنـــد لهَاثـــاتِ الجَـــوَى
عَبَـــقَ الغِيـــدِ .. وأنْفـــاسَ المَهـــا

***

* قَـــدْ نَهِلْنـــا الحَـــبَّ .. سِـــحْرًا مُعْلَنـــا
مِـــنْ فَـــمٍ وَرْدٍ .. وأهْـــدابٍ حَريـــقْ
ثـــم عُـــدْنا .. والهَـــوى مـــا عَلّنـــا
نَـــشْتَهي النَظْـــرَةَ في بَعْـــضِ الطّريـــقْ

***

* يـــا لعينيـــكِ .. وعمـــقِ المُنتهـــى
وزحـــامِ الـــصمْتِ .. في دربِ الأبـــدْ
كلّـــما صَـــلّيْتُ في أشْـــجانها
فَنِـــيَ العابِـــدُ فـــيما قـــد عَبَـــدْ

***

* يـــا فَريـــدَ الحُـــسْنِ .. يـــا عَـــذْبَ المُنـــى
رَوِّ قلبـــي .. مـــن مُحَيَّـــاكَ النَّـــضِرْ
فَغَـــدًا .. تَنْهـــلّ مـــن أجـــسادِنا
بَـــسْمةُ العُـــشْبِ وضِـــحْكاتُ الزَّهَـــرْ

***

* أيُّهـــا الواعِـــدُ قلْبـــي .. كُلّـــما
شـــاقَكَ اللّهْـــوُ .. وأغْـــراكَ الـــسَمَرْ
لَمْ يَـــدُمْ وَصْـــلُكَ إلاّ .. رَيْـــثَما
وَمَـــضَ الفَجْـــرُ بأهـــدابِ الـــسَّحَرْ ..

***

* عُنْـــوَةُ الحُـــسْنِ التـــي كانَـــتْ .. وكـــانْ
رَقَـــصَتْ فَـــوْقَ شَـــبابي .. ألْـــفَ رَقْـــصَه
يَـــوْمَ كُنـــا .. حِيـــنَها كـــانَ الزَّمَـــانْ
وأنـــا قَلْـــبٌ .. ومَـــلاّحٌ .. وقِـــصَّه

***

* إيـــه يـــا دُنيـــا .. وكـــمٌّ العمـــرِ فـــاتْ
والبـــواقي لمْ تَعُـــدْ تَـــروى الغَليـــلْ
أوَ حقّـــا عـــشتُ تلـــك الـــذكرياتْ
وتنعّمـــتُ مـــع الأمـــس الجميـــلْ ؟

***

* لَيْـــتَ دَمْعـــي في الهَـــوَى يَـــشْفَعُ لي
عِنْـــدَ مَـــنْ دَوَّرَ بالحَـــسْنِ القَمَـــرْ
الـــذي مَثّـــلَ بالقَلْـــبِ الخَـــلِي
ونَهَـــى بـــاللّحْظِ فينـــا وأمَـــرْ

***

* يـــا ضَـــنِينًا بالّرضـــا .. بَعْـــضَ الرِضَـــا
قـــد يعـــيشُ العـــودُ مـــن قَطْـــرَةِ مـــاءْ
وأنـــا أسْـــلَمْتُ قلبًـــا للقـــضا
مُعْـــدَمًا .. يـــسالُ جُـــودَ الكُرمـــاءْ

***

* لـــستُ أخْـــشى أن تُنَـــادي ســـاعَتي
ويجـــفّ العِـــودُ في كَـــرْمِ الزّمـــانْ
إنّـــما يُحزِنـــي يـــا إخْـــوتي
أن يـــضيعَ العمْـــرُ مـــن قَبْـــلِ الأوانْ ..

***

* يـــا نَـــديمي .. نَحْـــنُ أبْنـــاءُ الـــتّرَابْ
وكِلانـــا .. يَعْـــتَلى أقْـــدامَ ضَـــيفْ
أيْـــنما سِرْنـــا .. سَـــيدْعونا الإيـــابْ
فلِـــماذا ؟ .. وإلى أيْـــنَ ؟ .. وكيـــفْ ؟ ..

***

* قُلْتُ للأيَّام .. هذى دَوْلتي
وأنا الشّاعِرُ .. وهيَ النَّاطِقَه
وغدًا أمْضى .. وتبقى سيرتي
سيرةٌ تحيا .. وذِكرى سامِقَه

***

* أيُّها السَّائلُ عنْ ذاكَ الشّجي
إخْفِضِ الهَمْسةَ كيْ لا يَنْفَطِرْ
ما تَرى خَلْفَ أساهُ المُرْتَجي
مَلَكًا يَحْمِلُ آلامَ البَشَرْ .. ؟

***

* خُطْوَةُ الشّاعِرِ في الأرْضِ عَطاءْ
أينما حَلّ .. وأيَانَ ارْتَحَلْ
عبقريُّ الحُزْنِ .. مَشْبوبُ الرَّجَاءْ
يَزْرَعُ الحُبَّ .. ويَقتاتُ الأمَلْ

***

* طائرُ الخَلدِ الذي غَنَّى الهَوى
وسَعَتْ بينَ جَناحَيْهِ الفُنونْ
لَمْ يَزَلْ يَنْهَلُ من كأسِ الجَوَى
طاوِيًا أشْجانَهُ خَلْفَ الظّنونْ

***

* رَقَـــصَ الحَــسْنُ عـــلى ألحانِـــهِ
ورَمــــى الــسِّحْرَ بأهـــدابِ العُيـــونْ
وسَـــقى روحَ الـــرُبي في حانَـــهِ
فانْتـــشَتْ حتـــى وُرَيقـــاتُ الغُـــصونْ

***

* أيُّهـــا الرَّاصِـــدُ نَجْـــمَ الـــشّعراءْ
خُلِـــقَ الـــشّاعِرُ مـــنْ رُوحِ الـــصَّفاءْ
آدَمِـــيٌ .. فيـــه نَـــبْضُ الأنبيـــاءْ
ورِســـالاتٌ .. وسُـــهْدٌ .. وعَنـــاءْ

***

* شُـــعْلَةُ الإحـــساسِ في وُجْدانِـــهِ
تَـــسْتَقِي جَـــذْوتَها مـــن قَلْبِـــهِ ..
وانتفـــاضُ الـــوَحْيِ في شَـــيْطانِهِ
صَـــحْوَةٌ .. يـــدْنو بهـــا مـــن رَبِّـــه

***

* زَفْـــرَةُ الوَجْـــدِ التـــي أشْـــعَلَها
لَفَحـــتْ كُـــلّ خيـــالٍ قَـــدْ عَـــبَرْ
وصَـــدى الآهِ الّتـــي صَـــعَّدَها
لَمْ يَـــدَعْ للنَـــوْمِ ذِكْـــرًا .. أو خَـــبَرْ

***

* أيُّهـا الشّاعِرُ .. طِـرْ فَـوْقَ الزّمـانْ
وافْـتَحْ الأيّـامَ للنّـورِ الرّفيـعْ
وانْطَلِـقْ بَـيْنَ القَـوافي والبَيـانْ
كُلّمـا أرْهَـفَ قَلْـبٌ .. وسَـميعْ

***

* قِـفْ بنـا يـا صـاحِ .. واسـمَعْ ههُنـا
سِـيرَةَ الأمْـسِ الّـذِي ولّى .. و راحْ
طَلَـعَ الفجـرُ عليهـا بالسَّـنا
فَـصَحا فـوقَ البُكـا .. ضِـحْكُ الصَّباحْ

***

* في عُبـابِ الـوَهْمِ .. في بَحـرِ الحَيـاه
مُهَـجٌ غَرْقـي .. وأحْـلامٌ حُطـامْ
كُلّمـا نـادَتْ عـلى طَـوْقِ نَجـاه
ذَهَبَـتْ صَرْخَتُهـا بـينَ الزّحـامْ

***

* قِـفْ بأشْـلاءِ المَجـالي الدارِسَـه
وتأمّـلْ فَعْلَـةَ الـدّنيا .. بهـا
عَجَبـا .. تَنْعـى الحَطـامُ اليابِسَه
سـيرَةَ المـاضي .. عـلى أبوابِهـا

***

* مَـــرَّ بي .. والكـــأسُ يَـــشْدو في يَـــدِي
وثَنَايَـــــاهُ .. شُـــــعاعاتٌ تَـــــدُورْ
وأنـــــا .. هَـــلْ أنْتَهـــى أمْ أبْتَـــدِى
مَـــرَّ بي .. كـــالطّيْفِ .. عـــرَّافٌ وَقُـــورْ

***

* نَظَـــرَتْ عَيْنـــاهُ في كَفّـــيَ .. مَليـــا
ثُـــمَّ أخْفـــى دَمْعـــةً .. لا تَـــسْتَجيبْ
وطَـــوَى كَفّـــى .. ومـــا أوضَـــحَ شـــيًّا
ومَـــضَى .. في دَمْعـــةِ الـــصَّمْتِ المَريـــبْ

***

* قَـــارِئَ الغَيْـــبِ .. ألا نَبَّـــأتَني
بَـــضَميرِ الغَيْـــبِ .. بالـــسِّرِ الكَبـــيرْ
لَمْ تُـــذِعْ سِرًّا إذا خَبَّرْتَنـــــي
فـــالنُّبوَّاتُ .. بَـــشيرٌ ونَـــذيرْ

***

* أيُّهـــا العَـــرَّافُ حَـــدِّثني .. وقُـــلْ
صَـــمْتُكَ المَـــشْفِقُ فَـــوقَ المَـــرِّ .. مُـــرّ
إنْ مـــا تَغْنيـــهِ بـــالأمْرِ الجَلَـــلْ
لَـــيسَ في زَعْمِـــيَ إلاَ بَعْـــضَ أمـــرْ

***

* إنّ في أعْـــماقِ روحِـــي راصِــــدا
يَحْمِـــلَ الإثْـــمَ .. ويُـــضْنِيني مَعَـــه
مـــا شَرِبْـــتُ الـــرَّاحَ إلا أنْـــشَدا
قِـــصَّةَ الطّهْـــرِ .. ولَـــحْنَ الـــصَّومَعَه

***

* مـــا شَرِبْـــتُ الـــرَّاحَ سَـــعْيًا لِلـــذّنوبْ
لا .. ولا شَـــوْقًا لِوَقْـــدِ الحَبَـــبِ
إنـــما في الكـــأس آلامـــي تـــذوب
ومُعَانــــاةُ الفــــؤادِ المُتْعَــــبِ

***

* مـــا غَفَـــا قابيـــلُ عـــن هابيـــلَ .. لكـــنْ
أوْرَثَ الإنـــسانَ فـــوقَ الأرْضِ شَرَّه
ثُـــمّ أوْصى بَـــيْنَ صَرْخـــاتِ الـــضَّغائنْ
بِلِقـــاءٍ بَـــيْنَ مَعْتُـــوهٍ .. وذَرَّه

***

* مـــا رِدُ الأحقـــادِ بالـــشَّرِّ انطلَـــقْ
عارِمًـــا يَغْتـــالُ أحْـــلامَ البَـــشَرْ
نحـــنُ باركنـــاه عِنـــدَ المُنْطَلَـــقْ
وهـــو لَـــنْ يُبْقِـــي علينـــا .. أو يَـــذَرْ

***

* أيُّهــــا الهَـــامِسُ في نـــــايِ العَـــدَمْ
أنـــتَ يـــا إنـــسانُ .. يـــا ابـــنَ الكَلِـــماتْ
قَــــدَمًا تَنْقُـــلَ .. أو بَعْـــضَ القَـــدَمْ
ثُـــم تَهْـــوى .. في بِحــــارِ الظُلُـــماتْ

***

* نحـــن أهـــلَ الكهـــفِ مـــا طَـــال الـــسُّرى
يــــومَ نَغفــــو لا نُعـــــاني ألمـــــا
لـــو سُـــئلنا كـــمْ لَبِثْـــا في الكَـــرى
لأجَبْنــــا .. بعـــضَ يـــومِ .. رُبـــما

***

* لَـــوْ أتـــى مـــن عـــالَمِ الغَيْـــبِ شَـــهيدْ
لَـــوْ أعـــادَ المَـــوْتُ خِـــلاً أو صَـــديقْ
لَعَرَفْنــــا .. ووَعينـــا مـــا نُريـــدْ
علّهـــا تَـــرْضى خُطانـــا .. أوْ نُفيـــقْ

***

* لا تُطـــعْ نفـــسكَ فـــالنفس هـــوى
إن تُطعْهـــا ضِـــعْتَ في دنيـــا النـــدمْ
وَلكَـــمْ أغـــوتْ شـــبابًا .. فهـــوى
وانطـــوى بـــين ديـــاجير العـــدمْ

***

* هَذْهَــــذَ الـــصَّبْرُ جِراحــــاتِ المَواجِــــعُ
وسَـــما فَـــوْقَ التَّـــداوِي و (الأطِبَّـــةَ)
إنَّـــما الأرواحُ في الـــدُّنيا .. وَدائـــعْ
أيّهــــا البـــاكي عـــلى فَقْـــدِ الأحِبَّـــه ..

***

* راعنــــي مــــا روّع القلـــبَ العميـــدْ
وهــــو يــــستهدي عـــلى الـــدّمع أســـاه
هـــل يطيـــبُ العـــيشُ .. أو يحلـــو النـــشيدْ
لـــو مـــضى الـــسّمارُ .. أو عـــزَّ الأســـاه ؟

***

* في سِـــجلِّ العُمْـــرِ .. والـــسِّفْرِ النَّحيـــلْ
كـــلُّ حـــيٍ عـــاكِفٌ .. يُكْمِـــلُ سَـــطْرَهْ
وسَـــواءٌ كـــانَ بَعْثَـــا .. أو رَحيـــلْ
لَـــنْ يَزيـــدَ البَحْـــرُ أو يَـــنقُصَ قَطْـــرَهْ

***

* أمَـــلُ الهـــانِئِينَ بالخُلْـــدِ المُقيـــمْ
أمَـــلٌ .. أوْدَى بــــأحْلامِ الجُـــدودْ
واهِـــمٌ مَـــنْ يَـــرِثُ الـــوَهْمَ القَـــديمْ
فـــإلى الأرضِ كَـــما جِئْنـــا نَعُـــودْ

***

* تَعِبَ النَجمُ .. وأضناه السُّرى
والليالي سَئمتْ من لهونا
آه من يقظِتنا بعد الكَرى
يوم نَدري ما علينا أو لنا

***

* عاشِقُ الإغْراقِ في أسبابِهِ
يَقْطَعُ الرِّحْلَةَ باللّحْنِ الحَزينْ
ويُذيبُ العُمْرَ في مِحْرابِهِ
شاحِبَ النَّبْرة .. مَخْنوقَ الأنينْ

***

* لا تُرِدْ قَصرًا .. ولا تَسأل فلاهْ
أيُّها المَخْلوقُ مِن طِينٍ .. وماءْ
إنَّ ما تَبْنِيهِ مِنْ عِزٍ وجاهْ
سَوْفَ تُهدِيهِ لأنيابِ الفَنَاءْ

***

* قُلْ لمن أفْنَى الليالي بددا
مُتَعُ العيشِ ابتلاءٌ وألمْ
ولمن أطلقَ في الدنيا اليدا
بسمةُ الدنيا .. خداعٌ .. وندمْ

***

* ولأنّـــى جئـــتُ في عَـــصْرِ الحِكَــمْ
فلقـــدْ ســاءلتُ « هـــلْ يَحْيـــا العَـــدَمْ ؟ »
فتَـــصَدّى بَعْـــضُ أرْبـــابِ القَلَـــمْ
بِجـــوابٍ .. لَمْ يكـــنْ « لا » أوْ « نعـــمْ »

***

* حِكْمَـــــةُ الإبْـــــداعِ في عَلْيائهـــــا
عَطّـــرَتْ بـــالنّورِ فَجْـــرَ الـــسُّعَداءْ
ولِكَـــــيْ تَـــــسْمُوَ في إبـــــداعِها
وَسَـــدَتْ بالّـــشوْكِ لَيْـــلَ الأشْـــقياء

***

* آيـــة الكـــون الـــذي يمـــضي بنـــا
معجـــزاتٌ خطّهـــا كيـــف يـــشاءْ
حِكَـــمٌ تـــسمو عـــلى إدراكنـــا
وقـــضاءٌ لا يدانيـــه قـــضاءْ

***

* ثـــارَ في أعْماقِـــيَ الحَـــيْرى سُـــؤالْ
أيُّهـــا الـــدّاني .. عـــلى بُعْـــدِ المَـــدى
آدني الـــشّوْقُ .. وأعْيـــاني الخَيـــالْ
أضَـــلالٌ يَحْتَـــويني .. أمْ هُـــدى ؟

***

* كَـــمْ غَـــزا الإدْراكَ أفْـــلاكَ الأثـــيرْ
فـــإذا مـــا زادَ تِيهًـــا .. وارْتَفَـــعْ
هالَـــه الإعْجـــازُ .. والفَـــيضُ الكَبـــيرْ
فـــإذا بـــالطّيْرِ يَعْلـــو .. ليَقـــعْ ..

***

* لَـــذّ بـــما يُـــوصِي الفـــؤادُ المَـــسْتَنيرْ
واتّبِـــعِ هَـــدْىَ الحَيـــاةِ المُرتجَـــاه
فَهْـــوَ مِفْتَاحُـــكَ في اليَـــوْمِ العَـــسِيرْ
أيُّهـــا الطّـــارِقُ أبْـــوابَ النَّجـــاه

***

* رقـــرقَ الإيـــمانُ في روحـــي ضِـــياه
وجـــرى بـــالنورِ حمـــدًا وصـــلاه
كيـــف تُغـــويني ضـــلالاتُ الحيـــاه
وبـــأعماقي مـــصابيحُ النجـــاه ..

***

* فاطْلُـــبِ الحِكْمَـــةَ واطْـــرُقْ بابَهـــا
وبأعْتـــابِ المعـــالي .. حـــاذِرِ
يَغْفِـــرُ اللهُ إذا العَبْـــدُ سَـــها
ويَـــرُوعُ اللهُ يَـــوْمَ الكـــافِرِ

***

* سيدي .. يا خيرَ خلقِ الله طَرّا
جئتَ والدنيا لَهائاتُ الحيارى
فزرعتَ النفسَ إيمانًا وطُهرا
وكسوتَ الأرضَ عزًّا وفخارا

***

يا شفيعَ الخلقِ .. أنت المَرتجى
والمَداوي .. حين لا يُرجى طبيبْ
لي بساحِ المصطفى كلّ الرجا
يومَ يُدعى الخلقُ لليومِ الرَّهيبْ

***

* جئتَ والأقوامُ صرعى بائده
بين ظلمِ الشِرْكِ والجهلِ الدفينْ
فأقمتَ الدينَ بُشرى واعده
ونَظمتَ النور في فُلك اليقينْ

***

* رَبِّ إنّي مُودِعٌ قلبي لَدَيْكْ
وهْوَ يَشْنَى برفيعِ النَّدمِ ..
أوَ تَرْضَى .. وهوَ من صُنْعِ يَديكْ
أنْ يُردّى في جَحيمِ الألَمِ ؟

***

* كُلّما أوْرَقَ للفَجْرِ عَبيرْ
نَهَضَ الفَجْرُ يُحيّي نِعْمتَكْ
ومَشى بالنّورِ هَدْيًا وبَشيرْ
باسِطًا للكونِ نعْمى رَحْمَتِكْ

***

* كُلّما مَرَّتْ على غُصْنٍ يَداكْ
أشْرَقَ البُرْعُمُ .. واهْتَزَّ العَبيرْ
وإذا ما عانَقَ الرَّوْضَ نَداكْ
لَبِسَ الرَّوْضُ شُعاعًا وحريرْ

***

* كُلّما صَفّقَ للفَجْرِ جَناحْ
يَرْفَعُ الحَمْدَ .. ويَجْلو صَنْعَتَكْ
رَقَصَ الحُسْنُ بآياتِ الصَّباحْ
مُعْلِنًا فَوْقَ الرَّوابي طَلّعَتَكْ

***

* لَمْلَمَ الأفْقُ جَناحَ العائدْ
وزَها الياقوتُ في جيدِ الشّفَقْ
وتَعالَتْ هَمَهَماتُ العابِدْ
تَحْمَدُ الله على ما قَدْ رَزَقْ

***

* حِــرْتُ بــينَ الخَلْــقِ أرجــو قَبَــسَا
يَسْتَــضِي منــه الفُــؤادُ المُتْعَــبُ
قــالَ « يــا مُــشْتاقُ .. لا تَهْلِــكْ أســى
فــسَماءُ النّــورِ عِنْــدي أرْحَــبُ »

***

* كُلّــما أبْــصَرْتُ حُــسْنًا مُــشْرِقا
صِــحْتُ يــا رَبّــي .. تَعالَــتْ حِكْمَتُــكْ
أنــتَ صَــوَّرْتَ الجَــمالَ المونِقــا
فَكَــما قَــدَّرْتَ .. جَلّــتْ قُــدْرَتُكْ

***

* لَمْ يَــضِعْ ليــلٌ ولا راحَ نَهــارْ
أيُّهــا الفــانونَ في حُــبِّ الإلــه
لا .. ولَمْ تَــذْبُلْ عــلى الغُــصْنِ الــثِّمار
إنّــما الحَــبُّ .. بَقــاءٌ .. وحَيــاه

***

* في جَنــاحي .. مَوْعِــدٌ للياسَــمينْ
وبِقَلبــي .. عَــبَراتُ التّــائبينْ
هَكَــذا جِئــتُ عــلى دَرْبِ اليَقــينْ
حــافِيَ الوجْــدانِ .. مُبــيّضَ اليمــينْ

***

* مَوْعِدي يا حُبُّ .. هذا مَوْعدي
حيثُ تَعْلو بالضّراعاتِ يدي
فهُنا .. بيتُ الفُؤادِ العائدِ
وهنا المَسْعَى .. وهذا مَسْجِدي

***

* أيُّها السَّاعي إلى بيتِ الحَبيبْ
عَبْرةً جَذْلى .. وروحًا عاشِقا
مَوْعِدُ الطِّيبِ غَدا مِنّا قَريبْ
فَتَماسَكْ .. وتَهَيَّا لِلّقا ..

***

* غَايَةُ العُبَّادِ أعْتابُ الرِّضا
ونَوالَ الفَوْزِ بالغَيْبِ الرَّفيه
وأنا ما غايَتي رَدُّ القَضا
لا .. ولكنّي رَجَوْتُ اللّطْفَ فيهْ ..

***

* كُلّما ضَيَّقَتِ الدُّنيا السَّبيلْ
وانزوى الحَقّ .. وعَزَّ المَقْصِدُ
أدْركَتْنا رَحْبَةُ الفَيْءِ الظّليلْ
راحِمٌ .. أبْوابُه لا تُوصَدُ ..

***

* إنْ يَغَـــي الـــدَّهْرُ .. وأعْيَتْـــكَ الحِيَـــلْ
وتَمَـــادى الـــشَّرُ في إثْـــمٍ طويـــلْ
فاسْـــتَعِنْ بـــالله .. واسْـــتَغْفِرْ .. وقُـــلْ
حَـــسْبِيَ الله .. ويـــا نِعْـــمَ الوَكيـــلْ

***

* يـــا ضِـــيا الأعْـــيُنِ .. يـــا شُـــغْلَ النُّهـــى
حـــارَتِ الأفهـــامُ في هـــذا الجَـــمالْ
واشْرَأبَّـــتْ نَحْـــوَ أفْـــقِ المُنْتَهَـــى
فـــإذا قُـــدْراتُها دونَ الكَـــمالْ

***

* كُـــلّ شيءٍ يَنْتَهـــي .. إلاّ ضـــياكْ
ثُـــمَّ يُـــدْعَى كُـــلُّ حَـــرْفٍ .. للحِـــسابْ
فـــإذا الرَّحْمَـــةُ فَـــيْضٌ مِـــنْ سَـــناكْ
هكـــذا أنْزَلْـــتَ في أمِّ الكِتـــابْ ..

***

* سِرْتُ بَـــيْنَ الـــرَّوضِ .. أنْـــسَى مـــا بِيَـــه
وأرُدُّ الـــرّوحَ .. روحًـــا شـــاعِرَه
فَرَأيْـــتُ اللهَ .. عينًـــا صـــاحِيَه
ويـــدًا تَحْنـــو .. وأخْـــرى قـــادِرَه ..

***

* جَنَّـــــةُ اللهِ الّتــــي قَــــدْ أبْـــدَعَتْ
جــــاوَزَتْ كــــلّ الأمــــاني والــــصُّوَرْ
مــــا رأتْ عَــــيْنٌ .. ولا أذْنٌ وَعَــــتْ
لا .. ولَمْ يَخْطَــــرْ عــــلى قَلْــــبِ بَــــشَرْ

***

* عنــــدما سِرْتُ عــــلى هَــــذْي خُطــــايْ
وسَرَحْــــتُ الفِكْــــرَ خَلْــــفَ البَــــشَرِيَّه
رَدَّني العَجْــــزُ .. وضَــــمَّتْني يَــــدايْ
وتَجَــــلّى اللهُ فَــــوْقَ العَبْقَرِيَّــــــه

***

* يــــا جَميــــلَ العَفْــــوِ .. هَــــذى عَــــبْرَتي
تَرْفَــــعُ التَّوْبَــــةَ مِــــنْ بَحْــــرِ الأسَــــفْ
فَتَقَبَّــــلْ يــــا إلهــــي تَــــوْبَتي
واعْــــفُ يــــا رَحْمَــــنُ عَــــمَّا قَــــدْ سَــــلَفْ

***

* لَمْ يَكُــــنْ خَلْــــقُ الــــوَرَى مِــــنْ صُــــدفَةٍ
للّــــذي سَــــبَّحَهُ كُــــلّ نَبِــــى
الّــــذي أوجَــــدَني مــــن نُطْفَــــةٍ
ورَآني قَبْــــلَ أمــــــي وأبي

***

*قبـــل البَـــدْءِ يـــا اللهُ .. كُنـــتَ
بَعْـــدَ كُـــلِ الكُـــلَ لَـــنْ يَبْقـــى سِـــواكَ
إنّـــما الأولَ والآخِـــرُ أنْـــتَ
قَـــدْ حَوَيْـــتَ الكُـــلّ .. لا شيء حَـــوَاكَ

***

* أيُّهـــا التَّائـــهُ في كُنْـــهِ الوجـــودْ
فاتَـــكَ العُمْـــرُ وأضـــناكَ المَـــدارْ
عَبَثًـــا تَـــسْعى إلى سِرَّ الخَلـــودْ
يـــا مُقـــيمَ اللَّيـــل بَحْثًـــا .. عَـــنْ نَهـــارْ



لقطة تجمع بين أحمد خميس وزوجته السيدة/ ليلى أحمد موسى

إلى الأخ العزيز
صاحب مشاعل الفنان والإخلاص
والحب والفهم
الأخ العزيز محمد محمود رضوان
تحية واعزازا وتقديرا

١٩/٥/٧٤

محمد رضوان

الفهرس

الموضوع	الصفحة